الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الكرد في سوريا

دوريــة . أدبيــة . ثقافيــة . فكريــة . مستقلــة

القلم الجديد

Pênûsa nû

رئيس هيئة التحرير: خورشيد شوزي
نائب رئيس التحرير: د.محمود عباس

السنة السابعة - العدد (76) // أيلول / سبتمبر - 2018م

تأسست في 22 نيسان 2012

كلمة العدد

شمس لاتغيب في ذكرى رحيل شاعر ملهم

خورشيد شوزي

"الناس صنفان: موتى في حياتهم، وآخرون ببطن الأرض أحياء".....أحمد شوقي

الشعر الكردي بجذوره الأصيلة ، الإنسان والأرض ، تعتبر نماذج إبداعية عملاقة ليس في سماء الأدب الكردي فقط ، بل في سماء الأدب الإنساني ، والأدب الكردي ، استطاع ، في جزء مهم منه ، أن يتغلب على ظروف محوه ، كافة ، ويحافظ على جزء من نصوصه المنقولة -شفاهاً -ومن بينه ما سينقل بأقلام بعض المستشرقين ، أو بعض أبنائه ، رغم ضياع جزء كبير من نفائس الأدب والإبداع الكرديين ، رغم أن الكردي الذي آثر سواه على نفسه ، وآمن بشراكة العيش معه ، سها عن تشكيل كيانه ، والاستئثار بجغرافيته ، ليجد ذاته في دوامة الذوبان ، بعد أن طرأت سياسات غريبة على مكانه ، وجدت أن دورتها لا تكتمل ، إلا بإزالة أي أثر له.

لكن هل هذه الحالة أبدية ؟ لا ، بكل تأكيد ، إنها حالة عابرة في تاريخ شعبنا ، ولا بدّ أن تزول بزوال أنظمة الاحتلال والقهر ، ولا بدّ أن نعود إلى لغتنا وتعود إلينا عودة الحبيب إلى الحبيب.

شهدت سماء كردستان عدداً كبيراً من الشعراء والأدباء المبدعين ، الذين ولدوا على أرضها ، وأكلوا من طيب تربتها ، وتلفحوا بأريج هوائها ، وتذوقوا عذوبة مائها ، والتصقوا بصخور جبالها صديقهم الوحيد في السراء والضراء ، شعراء وأدباء عرفوا بجودة السبك ومتانة الأسلوب ، وسبب ذلك عشقها السرمدي ، وكأنها صرخات قلب مقطع ، وأنات صدر موجع مكلوم.

ولأن الشعراء طبقة مثقفة ، تضع الأمور في نصابها الصحيح ، وفي موازينها المستحقة ، ولأنهم كانوا يتحسسون عظم المصاب وشدة ألمه ، دواخل نفوسهم وما يعانونه من برم وضيق بحال الدنيا وسلوك الناس ، فهم يستخلصون العبر لهم وللآخرين ، لأنهم وعوا فلسفة الوجود وسبر غور معانيه ، وأيقنوا في قرارة أنفسهم أنه لا خلود في الحياة الدنيا إلا لأرضهم المعطاءة.

في الزمن الجميل - لا أدري سابقاً أم الآن - كانت البيوت تمتلئ لتعبش شعراً أو ندوة ، كان يومها للشعر والشعراء والإبداع عموماً قيمة كبيرة. يتبادلون الكلام حول الشعر والشعراء ، الكتابة ، هموم ومشاكل المثقفين والوطن ، عن الآلام والآمال ، عن الأوهام والأحلام. كانوا يحاولون أن يهزموا اليأس والإقصاء من قبل السلطات الجاثمة على صدورهم ، بتبادل الآراء وإلقاء القصائد التي تعتبر وسيلة تفريغ وأداة ترميم داخلي لما هم فيه.

في البداية تساءلت هل يكفي الكلام عن مبدع عزيز غادرنا إلى الأبد؟ مع العلم بأننا كلنا موتى مؤجلون إلى حين ، لأنها سنة الحياة.. في اعتقادي أن الوفاء أسمى من الرثاء ، والوفاء يملي علينا أن نفتح بعضاً من صفحات كتاب حياة وكفاح معلمنا الأكبر الراحل "جكرخوين" ، ونبين مدى تأثره وتأثيره على شعبه وقضاياه الثقافية والوجدانية والوطنية.

قليل هم الشعراء الذين يحسون ويلمسون ما حولهم بكامل حواسهم البشرية ، والشعرية ، ويستطيعون أن يسجلوا ذلك في قصائدهم بتلقائية شعرية ، وبراعة فنية..

كان جكرخوين دائم الاهتمام بالسياسة ونشدان الحرية ، والتي تركت آثاراً كبيرة على نتاجه الشعري والأدبي ، متمثلة في قصائد تعدّ من أروع قصائد الشعر السياسي الكردي ونصوص الحرية وحب الوطن ، والتي تتميز في كثير من الأحيان بطابع إنساني ، يأبى أن يخمد في ظلّ الظروف الحالكة وسيطرة التعسف والعنف والصهر من قبل محتلي أرضه ومستعمري شعبه.

هو شاعر وإنسان متمرد ، زادُه الحرف ، ورداؤه الكلمة ، تحيط بك لتتحسسه بفؤادك ، انه الفنان الذي صاغ من الحرف وطن ، والوطن صاغه مبدعاً صادقاً لم يكل من فتح نوافذ الضوء ، لتهز بجذع الصدى ، فتتنزل الكلمات تميمة شفيفة تنام عارية ملتحفة بسحر روحه المتقدة ، وقلبه الكبير يظلل أشتات الأنفس والأفكار بشفافية.

والآن ، وبعد أربعة وثلاثين عاماً ، لا أدري هل يستطيع قلمي أن يجود ببعض...... ص (4) ....

طقوس الكتابة عند "جكرخوين"

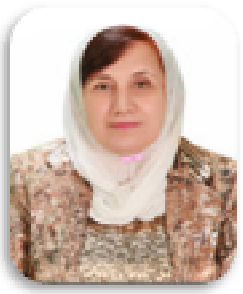

نارين عمر

كنتُ طفلة عندما زارنا الشّاعر واللغويّ الكرديّ جكرخوين في البيتِ ولمرّتينِ متتاليتين. وقد لفتَ نظري الاهتمامَ الملفتَ من قِبل الجميع بهذا الرّجل الممتلئ ، ذي الحاجبين العريضن والطلة البهيّةِ ، فرسمَ فكري وحسّي صورة لهذا الرّجل في عمقِ مخيّلتي ؛ وكنتُ صغيرة أيضاً حينما رافقتُ جماعة من أهلي في زيارةٍ إلى بيتِ جكرخوين. وكنتُ حينها أتعلّمُ ألف باءَ الأبجديةِ الكرديةِ ، وأحاولُ الولوجَ إلى محرابِ شعره ، وبصعوبةٍ كنتُ أقرأ المكتوب في طيّاتِ صَفحاته. ... ص (5)...

إيران .. عدوّة الحرية ومصدّرة الإرهاب

زهرة أحمد

من ساحة جارجرا "القناديل الأربعة" في مهاباد ، وأنين المشانق إلى قصف "كويه" في شرقي كردستان ، تاريخ من الإرهاب ، تنسج طهران خيوطه الإجرامية بدماء الأبرياء من الشعب الكردي.

ساحات الإعدام المقيتة شاهدة على إرهاب ممنهج ، إذ إن أروقة طهران تعج بالنفاق السياسي ، ومحاولات إجرامية مؤامراتية ليخيم ملف حقوق الإنسان بظلام استبدادهم ودكتاتوريتهم المتوارثة.

تمارس حكومات الدول التي تتقاسم الخريطة الجيو سياسية لكردستان أبشع أنواع الاضطهاد القومي ، مستهدفة كل مشروع قومي يعبّر به الشعب الكردي عن مصيره وحقه ... ص (6)...

نادية مراد بين نوبل وشنكال

د. محمود عباس

كللت سفيرة النوايا الحسنة لدى الأمم المتحدة "نادية مراد الكردية الإيزيدية الناجية من جرائم التكفيريين المسلمين (داعش) ، الضحية من بين آلاف ضحايا الفرمان الـ 74 ، بجائزة نوبل للسلام العالمي ، لهذا العام 2018م ، مع الطبيب الكونغولي دينيس موكويجي ، وذلك لـ "جهودهما لإنهاء استخدام العنف الجنسي كسلاح في الحروب والصراعات المسلحة" حسبما قالت لجنة نوبل النرويجية المانحة ، وأضافت أن نادية مراد أظهرت **"شجاعة غير معتادة في رواية معاناتها"** مع داعش.

وجائزة نوبل هذه تأتي بعد منحها العديد من الجوائز العالمية ومنها جائزة فكلاف هافيل لحقوق الإنسان وجائزة كلينتون العالمية للمواطن ، وجائزة السلام من رابطة الأمم المتحدة في إسبانيا ، وجائزة ساخاروف العالمية مع صديقتها الناجية لمياء بشار

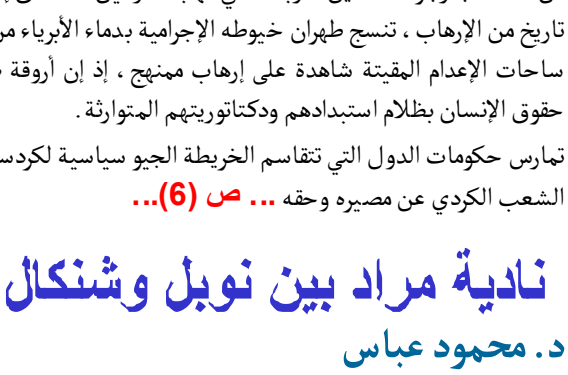

نادية مراد ، أصبحت غنية عن التعريف ، بتفانيها من أجل شعبها ، وجرأتها ، وإصرارها على المضي في نضالها، فهي الفتاة الناعمة البريئة التي تحمل همومها وهموم الإيزيديين عامة أينما حلت ، اجتمعت خلفها مجتمعات تعاني مرارة القهر والظلم ، يدعمونها ، إلى أن أرضخوا الدول والمنظمات العالمية بالاستماع لآهاتها ، وبالتالي الوقوف معها ومع قضيتها وإيصالها إلى نوبل ، وربما أكثر ، المسيرة التي يحاول البعض من الكتاب المنافقين الإسلاميين الطعن في مصداقيتها والتشكيك بمن يقف وراء نجاحها وحصولها على الجائزة ، متناسين ، أو جهلاء في معرفة ، أن نجاحها وتفوق بسطاء الناس من أمثالها ، تختلف عن صعود جميع... ص(2)...

وعي الأمة بأمانيها وأهدافها

د.مهدي كاكه يي

على الكادر الكردي فتح مراكز لتقوية الوعي القومي على حساب الإيمان الديني: الثقافي ، الاجتماعي ، الطبي ، الهندسي بأنواعها ،الجيولوجي ، الديني ، السياسي.

1-الوعي القومي:

الكرد يسعون في استعادة هويتهم القوية الطائعة التي لا يخالف الطبيعة ولا يأباه الوعي القومي ولا تمنعه الشريعة الإلهية.

المرحلة الأولى القائد ، والثانية الروح القومي: في أي بحث عن أي أمة ووعيها القومي علينا المساهمة في انطلاق ثقافته وليس بالضرورة استخدام تاريخيه الحديث وإنما تاريخه ... ص (3)...

تاريخ الأكراد في عمان

د. محمد علي الصويركي

يعتبر الربع الأخير من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين الفترة الزمنية التي قدم بها الأكراد الى شرقي الأردن خلال العهد العثماني الأخير ، وقد جاء القسم الأكبر منهم من حارتهم المعروفة

باسمهم (محلة الأكراد) أو (صالحية الأكراد) أو (حيّ الأكراد) في مدينة دمشق ، وعملأغلبهم في سلك الدرك والجيش (الزاندارمة) ، وفي جباية الأموال الأميرية ، والتزام الأعشار ، والتجارة مع السكان المحليين ، وامتهان الزراعة ، وممارسة الحرف المختلفة ، ومع مرور الأيام استقروا في البلدات والقرى الأردنية في عمان وإربد وعجلون والسلط ، وتظهر عقود الزواج في (سجلات المحاكم الشرعية) أن الأكراد تزاوجوا مع السكان المحليين ، ولم ... ص(22)...

نادية مراد بين نوبل وشنكال

وجائزة نوبل هذه تأتي بعد منحها العديد من الجوائز العالمية ومنها جائزة فكلاف هافيل لحقوق الإنسان وجائزة كلينتون العالمية للمواطن ، وجائزة السلام من رابطة الأمم المتحدة في إسبانيا ، وجائزة ساخاروف العالمية مع صديقتها الناجية لمياء بشار.

نادية مراد ، أصبحت غنية عن التعريف ، بتفانيها من أجل شعبها ، وجرأتها ، وإصرارها على المضي في نضالها ، فهي الفتاة الناعمة البريئة التي تحمل همومها وهموم الإيزيديين عامة أينما حلت ، اجتمعت خلفها مجتمعات تعاني مرارة القهر والظلم ، يدعمونها ، إلى أن أرضخوا الدول والمنظمات العالمية بالاستماع لآهاتها ، وبالتالي الوقوف معها ومع قضيتها وإيصالها إلى نوبل ، وربما أكثر ، المسيرة التي يحاول البعض من الكتاب المنافقين الإسلاميين الطعن في مصداقيتها والتشكيك بمن يقف وراء نجاحها وحصولها على الجائزة ، متناسين ، أو جهلاء في معرفة ، أن نجاحها وتفوق بسطاء الناس من أمثالها ، تختلف عن صعود جميع العظماء حتى المجرمين منهم والطغاة والحاصلين على المراكز والأوسمة والجوائز ، وكذلك الأنبياء والرسل ، هؤلاء الذين وراءهم جماعات ومنظمات ، معظمها ثلل تبحث عن مصالحها وبانتهازيةفاقعة ضاربين بعرض الحائط كل القيم الإنسانية. والبعض الآخر من الكتاب يجدونها الأيقونة التي عرّت الإسلام بمحافلها ودعاته السلفيين. وهي التي نشرت كتاباً بعنوان **"The Last Girl- الفتاة الأخيرة"** تتحدث فيها عن مآسيها ومآسي مجتمعها الإيزيدي ، وتشدد فيها على فكرة أن العدالة والحق والسلام لن يستقرا في المنطقة والعالم ما لم يتم القضاء على التكفيريين الدواعش.

هي التي طالبت من على المنابر العالمية ، وأمام رؤساء العالم ، محاربة داعش وأمثالهم من الإرهابين المختفين تحت عباءة الإسلام ، وإنقاذ أهلها ودينها من الأشرار ، فكلمتها أمام البشرية من قاعة مجلس الأمن نبهت دول العالم وخاصة الكبرى ، لإحدى أبشع المنظمات الإرهابية في العالم الحاضر ، حركت حينها ضمائر قادة سياسيين كانت نائمة حتى البارحة. كما وهي القائلة في حفلة التكريم أثناء نيلها جائزة ساخاروف **"هذه الجائزة تمنحني حافزاً أكبر بالاستمرار في حملة المدافعة عن الايزيديين والأقليات الأخرى الذين تعرضوا للإبادة الجماعية وجرائم ضد الإنسانية"** كما وطالبت حينها من البرلمان الأوروبي **"تقديم المزيد من الدعم للايزيديين والمضطهدين كافة"**، ولهذا فنحن على قناعة أن نوبل هذه ستزيدها تصميماً على إيصال الصوت الإيزيدي إلى العالم ، للحد من احتمالية تكرار أمثال الفرمانات المتتالية على مر التاريخ ، ولحماية مجتمع إحدى أعرق الديانات في التاريخ (الأزداهية) من الإرهابيين التكفيريين المسلمين أو المختفين تحت غطائها.

أثبتت اللجنة القائمة على جائزة نوبل للسلام العالمي ، من جهة ، مثلما قالت مسؤولة السياسة الخارجية بالاتحاد الأوروبي (فريدريكا موجيريني) **" قوة وشجاعة ورؤية "** بمنحها الجائزة لنادية مراد والطبيب الكونغولي. ومن جهة أخرى ، للعالم وللإيزيديين ولنا وللأنقياء من البشر أن دعاة السلام اليوم انتصروا على حملة رايات الإرهاب والإجرام ، ودعاة نشر الإسلام بالغزو والسبي. علماً أن السلام لا يزال غائباً عن أهل (نادية مراد) وعن أخواتها الإيزيديات اللواتي لا زلن في غياهب الضياع ، وداعش وأخواتها من القوى الإسلامية ، لا يزالون يعيثون في المنطقة إجراماً ، ويستمرون في سبي النساء ، وإرضاخ الأطفال المخطوفين من الإيزيديين والأقليات الدينية الأخرى في المنطقة ، على ترك دينهم واعتناق الإسلام ، لمحاربة أهلهم على دينهم ، تيمناً بالسلف الإسلامي ، وتطبيقاً حرفياً لأجزاء من النص.

وخلف كل هذه المآسي والكوارث والجروح التي لربما لن تندمل يوماً ، نفتخر بما حصلت عليه خوشكا (نادية مراد) ونهنئها ونهنئ كل إيزيدية في أمتنا الكردية. ليس فقط لحصولها على الجائزة بل لصبرها وجرأتها وعدم تقاعسها على محاربة داعش والمنظمات الإرهابية المماثلة لها بكل ما أوتيت من القوة والإمكانيات ، وفضح الذين لا يزالون يعبثون بمصير شعوب المنطقة ، وينشرون المفاهيم الموبوءة ، ويستخدمون الأساليب القذرة للعبث بحياة المسالمين من الناس ، ونهنئها على تنبيه البشرية على معاناة الأخوات والإخوة الذين لا يزالون في الأسر ، من الديانة الإيزيدية والمسيحية ، والتركيز على تبيان مآسي الآلاف من أهلنا الإيزيديين المشردين ضمن المخيمات المنتشرة بين كردستان إلى اليونان

وغيرها من دول العالم ، رغم تحرير مناطقهم المدمرة بمقدساتها ، وحيث لا تزال قراهم ، ومن بينهم قرية الناجية ذاتها ، المانحة للجائزة (نادية) كوجو وشنكال ، خالية من أهلها وناسها ، وأطفالها.

وخلف كل هذه المآسي والكوارث والجروح التي لربما لن تندمل يوماً ، نفتخر بما حصلت عليه خوشكا (نادية مراد) ونهنئها ونهنئ كل إيزيدية في أمتنا الكردية. ليس فقط لحصولها على الجائزة بل لصبرها وجرأتها وعدم تقاعسها على محاربة داعش والمنظمات الإرهابية المماثلة لها بكل ما أوتيت من القوة والإمكانيات ، وفضح الذين لا يزالون يعبثون بمصير شعوب المنطقة ، وينشرون المفاهيم الموبوءة ، ويستخدمون الأساليب القذرة للعبث بحياة المسالمين من الناس ، ونهنئها على تنبيه البشرية على معاناة الأخوات والإخوة الذين لا يزالون في الأسر ، من الديانة الإيزيدية والمسيحية ، والتركيز على تبيان مآسي الآلاف من أهلنا الإيزيديين المشردين ضمن المخيمات المنتشرة بين كردستان إلى اليونان وغيرها من دول العالم ، رغم تحرير مناطقهم المدمرة بمقدساتها ، وحيث لا تزال قراهم ، ومن بينهم قرية الناجية ذاتها ، المانحة للجائزة (نادية) كوجو وشنكال ، خالية من أهلها وناسها ، وأطفالها.

لا يصح الحديث عن رسولة السلام ، وحاملة جائزة النوبل العالمية ، دون التنويه إلى الدور الكبير الذي قدمه إبن الإيزيدية البار (مراد إسماعيل) أحد مؤسسي منظمة (يزدا) والذي تخلى عن رسالته الدكتوراه وقد كانت في أواخر مراحلها ، ليتفرغ لخدمة شعبه بعد الكارثة ، فقد كان ولايزال له ولمجموعة الإخوة المؤسسيين والعاملين في المنظمة خدمات جليلة في إيصال صوت (نادية مراد) والمجتمع الإيزيدي قدر الإمكان إلى الهيئات والمنظمات العالمية ، فهم كانوا بجانبها ومن داعميها في كل المناسبات ، طرقوا لها أبواب العالم ، ورافقوها في جميع جولاتها ، وترجموا لها وساندوها معنوياً ونفسياً في معظم إن لم نقل في جميع لقاءاتها ، ضمن المحافل الدولية ، ومع رؤساء الدول ، وفي المراكز الإعلامية وغيرها.

هذا الإسناد المعنوي والعملي إن دل على شيء ما ، فهو يدل على أن توحيد الصوت الإيزيدي الكردستاني سيؤدي إلى انتصار الخير على الشر ، وأن توافقهم وتكاتفهم ستسهل لهم فتح الأبواب الدولية ، وستوصل قضيتهم إلى مراكز القرار ، وسيكونون مثالاً لكل الشعب الكردي. وهذا ما تم إثباته اليوم ، فبمشاركتهم وتعاضدهم ، نجحوا ، وأكدوا أن العدالة ستتحقق يوماً ما وبشكل ما على الأرض ولصالح الأديان والأقليات المضطهدة ، وأنه: هناك من يثمنون الجهود المشتركة لأجل السلام ، تدعمهم شعوب حضارية تعمل بصدق للإنسانية ، رغم هزال هذه الثقافة بين شعوبنا كالتي تعيش بينهم مجتمع الناجية (نادية مراد) عزيزة الأزداهية ، المكللة بأثمن جائزة معنوية في العالم (نوبل للسلام).

وتبقى الجائزة رغم هذا بداية مرحلة الانتصار لعزيزتنا (نادية مراد) ولأهلنا الإيزيديين ، علماً أن الرحلة النضالية شاقة وطويلة ، والتي اضطرت على خوضها مع مجتمعها الإيزيدي ، منذ لحظة غزوة حثالة البشر لشنكال وقريتها الآمنة المسالمة كوجو ، وهروبها من براثن حثالات البشر ، إلى يوم تمثيلها لأخواتها من الأطفال والنساء السبايا في قاعة مجلس الأمن ، وهيئة الأمم المتحدة ، والبرلمان الأوروبي ، والكونغرس الأمريكي ، ومكاتب العديد من رؤساء الدول ، والمراكز والهيئات الدينية المتعددة ، من جامعة الأزهر إلى الفاتيكان إلى معابد الهندوس إلى السيناكوكات اليهودية ، وأثناء حواراتها العديدة مع المراكز الإعلامية العالمية. ولانتصاراتها هذه على الأشرار وحملة الثقافات الفاسدة ، تعرضت إلى الكثير من الانتقادات والتهجم المغرض ، خاصة عندما لبت طلب الكنيست الإسرائيلي ، ورئيس وزرائها ، وسافرت إلى إسرائيل وهي تحمل هموم أمتها ، وأهلها ، دون التمييز بين الأديان والصراعات السياسية المنافقة ، وقد كتبنا حينها مقالاً تحت عنوان (زيارة نادية مراد لإسرائيل صائبة) على حلقتين ، رداً على المنافقين والمطلبين باسم الإسلام.

وتبقى الجائزة ، دون سوية تعويضها جزء من آلامها ، رغم مكانتها ، وأهميتها ، وتأثيرها على الرأي العام العالمي ، ودورها في معرفة هول الكوارث التي حلت بأهلها والديانة الإيزيدية ، أو تعويض شذرات من مآسي أخواتها السبايا ، والمخطوفين من الأطفال ، والأهل المقتولين والمشردين ، أو فتات من عزتهم وكرامتهم. فكما ذكرتها الشاعرة (أفين إبراهيم) من على صفحتها في الفيس بوك **"مبروك يا نادية، مع أني أعلم جيداً أنه لا من جائزة على وجه الأرض تستطيع أن تجعل جرحك الكبير يبتسم"**.

لا نوبل ولا ساخاروف ولا العشرات من الجوائز العالمية تستطيع أن تزيل من الذاكرة لحظة من لحظات المعاناة والمآسي المعاشة ، ولن تحل مكان الألم والقهر المغروز في الأعماق ، والتي ستبقى هناك على مدى التاريخ حاضرة بكل أثقالها ، كالآلاف من الحوادث ، المؤلمة والكوارث الإنسانية ، المماثلة لها على مر القرون الماضية ، وبأيدي الجحافل المشابهة لداعش وأجدادهم التكفيريين المسلمين.

د. محمود و أفين إبراهيم و نادية مراد في شقة مراد إسماعيل بهيوستن، بعد كلمتها في مجلس الأمن.

وعي الأمة بأمانيها وأهدافها

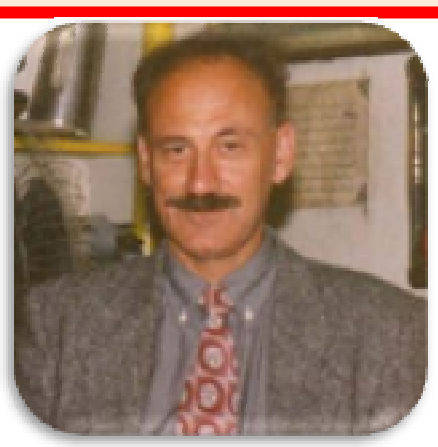

د.مهدي كاكه يي

على الكادر الكردي فتح مراكز لتقوية الوعي القومي على حساب الإيمان الديني: الثقافي، الاجتماعي، الطبي، الهندسي بأنواعها، الجيولوجي، الديني، السياسي.

1-الوعي القومي:

الكرد يسعون في استعادة هويتهم القوية الطائعة التي لا يخالف الطبيعة ولا يأباه الوعي القومي ولا تمنعه الشريعة الإلهية.

المرحلة الأولى القائد، والثانية الروح القومي:

في أي بحث عن أي أمة ووعيها القومي علينا المساهمة في انطلاق ثقافته وليس بالضرورة استخدام تاريخيه الحديث وإنما تاريخه القديم المنسي.

كل أمة عانت وتعاني هي من نقص الوعي القومي، ولن يستسلموا لحقيقة التقسيم عكس الدول التي قسمت إلى أجزاء وخلقت شخصيتها القومية أو الوطنية الجديدة، فتاريخها لها ماض وليس لها مستقبل.

فالكرد يذهبون إلى ما بعد أصغر أمة ضمن النظام العالمي، لأنهم لم يكتشفوا المواجهات المباشرة مع واقعهم الداخلي والمحيط بهم مباشرة، وخاصة مع القوى الجهادية التجارية، وأقول ليست مستحيلة، فعلى الكرد اللجوء إلى الإغواء بدلاً من المواجهة، لأن الأنظمة العالمية الرأسمالية الصناعية تعتمد على الآليات وليس الأهداف، ومن المستحيل إغواء الشعوب المتضامنة تضامناً قوياً والمتماسكة في الرؤية القومية أو الدينية.

وعلى قيادات المجتمع والشعوب المضطهدة أن تصارع الهجمات الداخلية شكلياً أو معنوياً، وأن تهاجم الظروف والممارسات الخارجية المضرة للمكون الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وأن لا تتهرب من الحقيقة، ولأن تظل في تعارضها ولعبها وحركتها إلى ما لا نهاية لتقوية الوعي القومي، وتشكيل الذات القومية، وهما معاً يشكلان الوعي القومي الكردي ثم الحس الديني.

ويجب أن نعلم أن هذا الخطاب سائد في عموم أوربا قبل الحرب العالمية الثانية، إذاً هو المطلوب من الكوادر الحزبية والمستقلين، والعمل من أجل مؤتمر لوضع الأهداف الأساسية للوطن القومي، وتقوية وتنمية الوعي القومي الكردي بأجزائها والثقافية لتمهيد الموافقة الدولية.

إن وضع الآليات كإطار مرجعي للحركات الكردية الكوردستانية هي كدعوة ملزمة لإثبات الكيان القومي الكردي، وترسيخ للدعوة العالمية والإخاء وزيادة الوعي القومي وزيادة الاحساس بأن الأمة كيان عضوي متماسك، لأن أية أمة عضويتها هو العرق لأنه الحاكم الأكبر والمحرك التاريخي.

ومن التجارب الغربية، والتي اعتمدوا عليها في البداية، هو عدم تجاهل العنصر القومي والعرق، وهما أمران مترادفان في وجدان الشعب الكردي، ولأن الانتماء القومي هو جوهر الانتماء العرقي، وكل أمة تفقد وحدتها(العرقية) في ظهور النزاعات الإقليمية والقومية فتفقد خصوصية ذاتها، وقد انتقلت المفاهيم الغربية إلى البلاد النامية والعربية والإسلامية والشرق أوسطية ومنها بلاد الكرد(كوردستان) عن طريق الاحتكاك الثقافي وزرع المقصود، وقد برز الغرب في أقوى قدراته في القرن التاسع عشر الميلادي.

والوعي القومي على درجات، يبدا من مرحلة العاطفة الوطنية أي حب البلد (مسقط رأسه) بلد الآباء والأجداد، بلد يحن إليه ويحميه في السراء والضراء، وينتهي بمرحلة التفكير القوي وليس لهذه المرحلة حد، بل في جمع شمل أبناء الأمة المنتمية والاخلاص لها، وبذل كل الجهود في إقامة الدولة المستقلة ضمن الاطار الجغرافي واللغة القومية.

ان روح القومية هو الشعور العاطفي والتضامن والتآلف والتناصر بين أبناء الأمة الواحد، والشعور بالامتياز يقوي الشعور بالكرامة الوطنية والشرف القومي والحس بالمصير القومي.

2-الحرية المفهوم والقيمة:

بدون الحرية لن يكون إنسان، هكذا اقتضى منطق التطور الارتقائي البيولوجي، وهكذا اقتضى منطق النشوء الاجتماعي والتطور الحضاري، أو هكذا الإنسان: الفرد و المجتمع، معاً في التاريخ وجهان لبنية تكوينية تاريخية واحدة متداخلة العلاقات، حيث لا وجود لأحدهما بدون الآخر، تماماً مثل الذاتي والموضوعي، إنه وجود واحد ذو وجهين، ومن ثم العلاقات بين الفرد والمجتمع حقيقة أصيلة متضايقة لا ينفي وجود أحدهما وجود الأخر ولا يتجاوزه، أنا والآخرون معاً في تمايز ووحدة تاريخية متكاملة، والحرية في إطار هذا التصور هي ملحمة الوجود الإنساني، مناط الصراع والارتقاء، ملحمة خالدة خلود الوجود الإنساني ذاته:

شوق أبدي، ومكابدة لا تنتهي وإن ظلت ترتقي أو يتسع نطاقها بارتقاء الإنسان حضارياً حصاد يزيد مع الزمان ولا يكتمل سخر لها الإنسان كل قواه، وأمضى سلاح في هذه الملحمة:

العقل الواعي وإنجازاته، ومن ثم الحرية معاناة دائمة للروح البشري الممتد عبر التاريخ، وسعي أبدي ليتحقق وجود الإنسان من حيث هو إنسان ليحقق ذاته في إبداع متجدد، وهي وعاء ومناخ السلوك أو الطاقة العاقلة وبدونها تسقط أو تنعدم صفة العقلانية بالنسبة للسلوك، فكأن الحريةَ شرطُ إنسانية الوجود، وجود (الفرد/ المجتمع وجوداً حضارياً فاعلاً، وشرط عقلانية السلوك أو الفعل الحضاري، وبها يتحقق الاستقلال الذاتي للإنسان، الفرد/ المجتمع، أي أن يكون وجوده وسلوكه نابعين منه وله، فلا يكون مستلبا أو مغترباً وإنما منتمياً صادق الانتماء إنه هو الوجود الحق، أو يكون هو عين وجوده ذاتا فرداً ومجتمعاً.

وانعكست هذه المسيرة في أجلى وأرقى صورها حتى الآن لدى الإنسان على هيئة جهاز عصبي راق له نشاطه المميز يؤهل للإنسان: (الفرد/ المجتمع/ التاريخ) ما اصطلحنا على تسميته وعياً وقوة عقلية وقدرة ذهنية لتحديد أفعاله لهذا فإننا حين نسلب الإنسان إمكانات استخدام هذه القدرة في اختيار وتحديد أفعاله، في إطار علاقات اجتماعية نشطة، إنما نسلبه إنسانيته، ونسقط مرحلة الارتقاء التطوري التي تميزه عن سواه من الكائنات، وليس غريباً ما نشهده في مجتمعات تعطّل إمكانات الفعل العقلاني الحر إذا بها مجتمعات راكدة متخلفة، أو بعبارة أخرى عاطلة من الحرية، أو بعبارة ثالثة عاجزة عن الحركة والعطاء، مجتمع متدهور عقيم، وهذه هي سمة الانهيار الحضاري.

وتكشف هذه الحرية في الفعل وفي غياب كل من القسر والاطراد العشوائي عن قدرة وأهلية الإنسان على تأصيل أفعاله، أعني أن يعيش حياة الأصالة دائماً، وهي أن ينشئ انطلاقاً من ذاته ومن ظروفه المعنوية والمادية، أي يبدع في سياق حر عملاً من أعمال الوعي متمثلاً في فكر مجرد وإنجاز مادي يعبران معاً عن الوجود من حوله ومقتضياته من سلوك ملائم، فالذات الاجتماعية الأصيلة هي وحدها مصدر الفعل الحر، وهي دائماً، وبسبب هذه الأصالة، متجددة دوماً تشذ عن اطراد التماثل، وإنما تنزع إلى اطراد الارتقاء الذي يستوعب الماضي ويتجاوزه، ولهذا يمكن أن نقول: إن التاريخ، بمعنى من المعاني، هو صناعة الإنسان/ المجتمع، لأنه محصلة الفعل الاجتماعي الحر، فهذا وحده هو الفعل الإبداعي، وليس التاريخ محصلة اطراد عفوي متماثل، إن التقليد أو التطابق مع السابق، أو محاكاة الماضي لا يصنع تاريخاً ولا يمثل أصالة، وهذا على نقيض من يرون الأصالة في اطراد الحياة أسوة بحياة السلف فكراً وسلوكاً، فهؤلاء يدعون إلى حياة أشبه بحياة الكائنات الأدنى اطراداً عشوائياً قياساً على الماضي، وعجزاً عن الإبداع، أو بمعنى آخر حياة تعطل إنسانية الإنسان المجدد في إطار الوعي الحر اطراداً للانهيار الحضاري ولا تجديد، وإنما الحياة نص مكرور.

ويبدو واضحاً من هذا أن أكثر الأفعال في مسيرة حياة الفرد/ المجتمع هي أفعال غير حرة: إذ أن الناس يعيشون في الغالب الأعم حياة تقليدية التزاماً بمنطق التماثل، وبفضيلة العرف المتواضع عليه بينما مشكلة الحرية هي مشكلة اختيار بين بدائل، وصراع وتجاوز، أعني أن الفعل الحر عن أصالة هو إبداع وخلق، لأنه ثمرة صراع ومواجهة ليس صراع فرد أعزل أو معتزل متوحد أو معلق في فراغ، بل الفرد/ المجتمع والتاريخ الذي يمثله من بين ما يمثله موروث فكري أو واقع أيكولوجي ومحيط عقلي Noosphere شاملاً الإنسان/المجتمع/ البيئة/ الإطار المعرفي والإرث الفكري والنشاط الإنتاجي إنه الكل في واحد كياناً بيولوجياً راقياً فاعلاً نشطاً بكل ما يحمل من آلية وفكر، وجدان وعقل وعلاقات تصب جميعها في فعل اجتماعي نشط وصولاً إلى هدف.

ولهذا فإن الحرية هي حرية من أجل شيء من أجل هدف أو لنقل إنها مطلب إنساني أبدي من أجل فعل إبداعي هادف، وحسب هذا المعنى تغدو الحرية قيمة أبستمولوجيا وأنطولوجية أي وجودية وقيمة أخلاقية، وحيث أنها قيمة فهي تاريخية بمعنى أنها ظاهرة إنسانية، ومفهوماً يمثل أحد مكونات وجهي النسق المعرفي القيمي الحاكم للسلوك الإنساني في مواجهته لتحديات واقعه وعصره، والذي يحدد محتواها وإطار استخدامها والحدود التي ترسمها أو ترخص بها لاستجابات الإنسان وفعاليته في تكامل مع إطاره المعرفي، وهي بهذا متغيرة في الزمان والمكان وليست أبداً مفهوماً صاغته عقيدة أو أسطورة أو مذهب فكري مرة وإلى الأبد، ولكنها مفهوم إنساني منبعاً ومصباً، مصدراً وغاية، وهي مجلى لتاريخية الفعل والعقل والموروث الثقافي في تطوره.

وتاريخية الحرية تعني أن حرية الحاضر لم يتحدث عنها السلف، وأن الماضي ليس هو المثل الأعلى المنشود، فلكل عصر قيمه الحاكمة، وأطره الفكرية السائدة، ومشكلاته المطروحة أو المفروضة ثمرة حراك المجتمع ولا تأتى حلها إلا في إطار فهم جديد لمحتوى ونطاق الحرية إنها متغير تاريخي مع تغير الحضارات والمجتمعات، وحيث أن الإنسان والمجتمع نشوء تكويني تاريخي، فكذلك المفهوم، كل مفهوم هو صناع ثقافة وذو تاريخ نشوئي تكويني قرين هذه الثقافة ويتعذر فهمه دون الإحاطة بعناصر ومكونات الثقافة التي هي بدورها انعكاس لحياة وواقع وعلاقات، بل وجغرافيا ونشاط المجتمع في متصل تاريخي، والمفهوم صياغة إنسانية تعبر عن رؤية الإنسان إلى المجتمع والحياة ابتغاء تحقيق منافع، ومن ثم يكون أحد عناصر الأيديولوجيا، ويصدق هذا على مفهوم الحرية الفردية، معنى هذا أن مفهوم الحرية ليس مقطوع الصلة بصورة الكون والحياة والوجود في المجتمع وما تمليه هذه الصورة من إشكاليات وقضايا تطرحها على الباحث المتأمل، أو ما تفرضه من محرمات.

والحرية قيمة أبستمولوجية لأن الفعل الحر فعل هادف، ومن ثم فهو رهن المعرفة محتوى وحجماً ومصدراً وأداة ومصداقية، أو من حيث أن المعرفة هي حق إنساني، وحدود هذا الحق في مسيرة التطور التاريخي للمجتمع والمجتمعات معاً، بل إنها قيمة ابستمولوجية أيضاً من حيث تعارضها مع التقليد، حيث إن التقليد مصادرة لحرية الإبداع المعرفي وترسيخ لمقولة (التقليد وحده وعاء المعرفة الجامع).

والحرية قيمة أنطولوجية من حيث هي فعل نشط هادف إلى تغيير الشروط الوجودية لحياة وعلاقات الإنسان/ المجتمع، أي تغيير البيئة التي تجرى في إطارها الحياة وتنعكس في صورة معارف وقيم محدودة للسلوك وهذا الفعل الحر هو تحقق تاريخي لوجود الإنسان، وهو علة إنسانية لهذا الوجود وتطوره الحضاري.

إن الحرية بهذا المعنى قرين الطبيعة البشرية وصورة الإنسان وموقف منه من حيث هو قيمة في ذاته، أي من حث هو فعل مستقل عن أي قوى خارج نطاق وجوده الفاعل.

وهي بهذا نقيض الجبرية التي تجعل الفعل الحر خارج الإنسان، وأن التحديد العليّ مرده إلى علة كونية شاملة تصادر على حرية الإرادة.

وحيث إن الحرية فعل فإنها قيمة أخلاقية أيضاً، وبذا لا تكون فضيلة باطنية ضميرية تبرر التوحد والابتعاد عن المواقف بل هي موقف، أو هي الإنسان الموقف. والمشروع الوجودي رهن الاختيار والالتزام والمسؤولية لبناء حاضر تأسيساً لمستقبل.

3-وعي الحرية:

بدون الحرية لن يكون إنسان، ولا وجود لأحدهما بدون الآخر، والحرية في إطار هذا التصور هي ملحمة الوجود الإنساني، وهي أهم مشكلة اجتماعية وفلسفية في تاريخ البشرية، ذلك لأنها تؤثر مباشرة على وعي الإنسان، وتطابق سلوكه الفردي والاجتماعي، بل وعلى وجوده ذاته، الحرية هي وحدها شهادة جدارة واستحقاق للوجود بالمعنى الإنساني الذي يتجاوز الوجود الحيواني أو الطبيعي الذي هو استمرار نمطي، والحرية ليست نمطية وإلا فقدت ماهيتها، أو لنقل فقد الإنسان ماهيته، وانعكست هذه المسيرة في أجلى وأرقى صورها حتى الآن لدى الإنسان على هيئة جهاز عصبي راق له نشاطه المميز يؤهل للإنسان: (الفرد/ المجتمع/ التاريخ) ما اصطلحنا على تسميته وعياً وقوة عقلية وقدرة ذهنية لتحديد أفعاله لهذا فإننا حين نسلب الإنسان امكانات استخدام هذه القدرة في اختيار وتحديد أفعاله، في إطار علاقات اجتماعية نشطة، إنما نسلبه إنسانيته، ونسقط مرحلة الارتقاء التطوري التي تميزه عن سواه من الكائنات. وليس غريباً ما نشهده في مجتمعات تعطّل امكانات الفعل العقلاني الحر إذا بها مجتمعات راكدة متخلفة، أو بعبارة أخرى عاطلة من الحرية، أو بعبارة ثالثة عاجزة عن الحركة والعطاء، مجتمع متدهور عقيم، وهذه هي سمة الانهيار الحضاري.

.....يتبــع .....

الكورد بين سوريا التحجر والتفجر

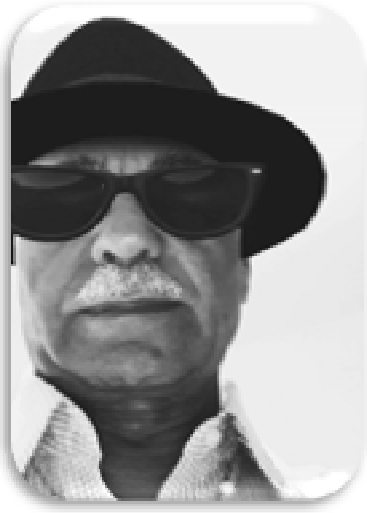

جان كورد

يسعى النظام الحاكم في دمشق لفرض سيطرته العسكرية والإدارية على مجمل التراب السوري ، من جنوب البلاد إلى شمالها ، ويوافقه على هذا المسعى كل من روسيا وإيران ، بشرط أن يبقى طموحه بأكمله ضمن الشروط والصياغات التي يصوغها كل من جهته.

إن إيران تعتبر سوريا مخفراً أمامياً لها على الحدود مع اسرائيل ، والحرب السورية فرصة ذهبية لنشر عقيدتها الدينية المخالفة كلياً لعقيدة غالبية الشعب السوري ، ولتثبيت أقدامها في مواقع سورية حساسة حول العاصمة السورية دمشق. وروسيا تدعم الأسد في هذا المسعى لأنها حصلت على ما تريد من امتيازات استراتيجية وعقود طويلة الأمد لشراء الأسلحة وقطع غيارها ، وللتعامل مع روسيا معاملة الولد الضعيف مع أبيه القوي.

وتركيا موافقة أيضاً على خضوع سوريا للنظام بشروطها العديدة التي منها منع الكورد في سوريا من التمتّع بأي حقوق في إدارة أنفسهم ، لأن تركيا تجد في الكورد أعداءً تاريخيين لأسباب تتعلّق بالنزعة العنصرية للطورانية المتجذرة في الوعي السياسي والعقيدي التركي منذ قرون ، إلاّ أن لتركيا طموح آخر هو التمدد على الأرض في الشمال السوري ، عسكرياً الآن بهدف ضم أجزاء من سوريا لأراضيها بذريعة أن تلك المدن والأرياف كانت تابعة للدولة العثمانية قبل تأسيس الدولة السورية ، إضافةً إلى استمرارها في التدخل السافر في الشأن السورية بذريعة حمايتها للمعارضة السورية والمنظمات المتطرّفة ، حيث استفادت من تواجدها على الأراضي التركية بتحقيق الكثير من المنافع المالية ، والأمل معقودٌ على أن تتولى تركيا إعادة تفعيل الأسواق السورية وشحنها بمنتوجاتها بحيث تصبح سوريا تابعةً لها اقتصادياً ومالياً عقوداً من الزمن وفي ذلك أرباح هائلة للاقتصاد التركي الذي شهد مؤخراً انهياراً مفاجئاً للعملة الوطنية أمام العملات الصعبة ، وبالتالي سيكون لذلك فوائد جمة لسياسة الحكومة التركية التي فقدت معظم الأصدقاء والحلفاء في العالم بسبب سياساتها المضطربة داخلياً وخارجياً.

سيحاول الأسد بعد الاستيلاء على محافظة ادلب عسكرياً الصعود إلى الجزيرة التي تعتبر عملياً تحت السيطرة الأمريكية أو قبل ذلك إلى منطقة عفرين التي يسيطر عليها الجيش التركي وآلافٌ من مقاتلي ما يسمى بالجيش السوري الحر ، الذي يجده الكورد بسبب السلب والنهب والتقتيل والتهجير والتعريب الذي يمارسه بشكل منهجي تحت أنظار الجيش التركي قوة غاشمة لا علاقة لها بحرية الشعب السوري أو بالوطنية ، كما يعتبره السوريون المعارضون للتمدد التركي متواطئاً مع المحتل التركي بذرائع دينية خاطئة ، فإن لتركيا طموحٌ صارخ في تتريك المنطقة على مستوى التعليم والتربية أولاً وإداريا أيضاً.

فهل سيقف الكورد مع القوى التي تحارب نظام الأسد الطامح في استعادة مناطقهم وفرض سياساته المتحجرة كما اعتاد عليه السوريون منذ استيلاء البعث على الحكم في البلاد في عام 1963. وإن وقفت مع هذه القوى فماذا سينال الكورد من موقفهم هذا ، أفلا يكفي درس عفرين لأخذ العبرة من ممارسات هذه القوى ضد الشعب الكوردي؟ بل بماذا تختلف نظرة زعماء المعارضة السورية وقادة (سراق الدجاج) عن نظرة البعث للقضية الكوردية عامةً وللقضية الكوردية في سوريا خاصةً؟ أم سيقف الكورد مع النظام الذي في استمرار بقائه استمرار لسياسة الاضهاد القومي والتمييز والتنكر للوجود القومي الكوردي وسائر السياسات المعادية للأمة الكوردية؟ أفلا يعني هذا العودة إلى عهد "التحجّر" و"التصحر" السياسي –الثقافي بالنسبة لشعبنا؟

فماذا يجب القيام به ؟

هناك تركيا وايران اللتان تعاديان الأمة الكوردية بشكلٍ صارخ ، وللكورد معهما تجارب تاريخية أليمة وعديدة، تخضبت كوردستان في ظل حكوماتهما المتعاقبة بدماء شعبنا ، ولا يمر وقتٌ قصير إلاّ وتشهد مقابر كوردستان كوكبة جديدة من الشهداء الذي يسقطون بأسلحة هاتين القوتين أو بحبال المشانق وبرصاصات الاغتيال... ولكن هناك على الأرض السورية دولتان عظيمتان ، هما الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا ، وإذا كنا نرى الدولتين في حالة عداءٍ مستعرٍ الآن ، بسبب سياسات الرئيسين ترامب الأمريكي وبوتين الروسي ، فإن للدولتين مصالح مشتركة ، عديدة ومتشابكة ، سواءً في أوروبا أو في الشرق الأوسط أو في أنحاء أخرى من العالم ، والخلافات على سوريا لا تعني أبداً إنزلاقهما السريع إلى حربٍ فعلية مباشرة بينهما ، كما يعتقد بعض الباحثين ، فالطرفان يعرفان جيداً أن مثل هذه الحرب لن تنفع أحداً وقد تؤدي إلى كوارث عالمية رهيبة لمختلف الشعوب والأوطان ، ولذلك لن تخاطرا من أجل نظام الأسد أو الرقعة الجغرافية لسوريا بالولوج في النفق المظلم ، إلاّ أنهما ستدفعان بالموالي في المنطقة من عربٍ وتركٍ وفرسٍ وكوردٍ للتصادم الدموي لفترةٍ محدودة ، تجرّب فيها أنواعٌ مختلفة من الأسلحة المتطوّرة ، ضمن إطار توافقي خطير ، فهل سيدخل الكورد في حلبة الصراع الدموي هذه ليصبح بسبب تقجيرٍ كبير ما تبقّى من وطنهم الممزّق دماراً شاملاً؟

لا أستطيع - شخصياً - طرح أجوبة عن هذه الأسئلة حقاً، فالموضوع أخطر من أن أغامر بأجوبةٍ قد تأتي بنتائج وخيمة للسياسة الكوردية ، ولذا لابد لنا من مشروع معهدٍ للدراسات الاستراتيجية يلتقي في إطاره خبراء من مختلف الاختصاصات السياسة والعلمية والعسكرية والاقتصادية والاعلامية والنفسية ، ليقدموا من خلال مشاوراتهم ودراساتهم للسياسيين الكوردستانيين خريطةً واضحة المعالم للمستقبل وأجندات حركية وتنظيمية ودبلوماسية متلازمة مع التطورات المتسارعة على مستوى العالم والمنطقة التي تعيش فيها أمتنا الكوردية .

مأثرة شباب مدينة خانقين

محمود الوندي

عاش الشعب العراقي تحت القمع البعثي منذ أن استلم السلطة مرة أخرى عام 1968.. وحّول جميع مؤسسات المجتمع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وحتى الدينية إلى مؤسسات أمنية تابعة للنظام الحاكم للسيطرة على مقدرات المجتمع العراقي من خلال ممارسات قمع بوحشية لكي تقتل أمل العيش والحرية لدى الناس.. وفقدان الثقة بين العراقيين ، بحيث لا يستطيعون العمل معاً ، وتجلى ذلك في تحدي العراقيين في هز أركان ومن ثم إلى سقوط النظام البعثي.

وكان الشعب الكوردي في مقدمة الشعوب التي تصدت لدكتاتورية البعث من خلال قيامه للحركة المسلحة ، ولترسيخ وجوده المشروع على أرض أجداده التي حولتها القوى الاستعمارية إلى أجزاء مقسمة على الدول التي خدمت مصالحها ، ولم يكتف الشعب الكوردي بالنضال المسلح في ترسيخ وجوده وإنما التجأ إلى الطرق السلمية وللغة الحوار لنيل وتثبيت حقوقه المشروعة وفق مبادىء القانون الدولي.

وقد تمخض نضاله المسلح إلى توقيع اتفاقية سلام مع قيادة النظام العراقي ومنها اتفاقية 11 آذار في عام 1970.. وبعد مرور أربع سنوات على توقيع الاتفاقية وتنصل القيادة العراقية من تنفيذها ، وإلغاء الاتفاقية المذكورة وبدء الصراع المسلح بين القوات الكوردية وقوات النظام ليتحول إلى صدام مسلح بينهما. بدل اعترافه بحقوق الشعب الكوردي المشروعة. وإيقاف الحرب المدمرة معه ، شرع النظام إلى اتخاذ أسلوب آخر لحسم المشكلة هو تنازله المهين عن نصف شط العرب ومئات كيلو مترات من الآراضي العراقية إلى الحكومة الإيرانية. مقابل فشل المقاومة الكوردية من خلال توقيع اتفاقية الجزائر 1975.

بعدها عاشت كوردستان تواجداً عسكرياً حكومياً مكثفاً وتوتراً لمنع نشوء بوادر الحركة الكوردية المسلحة ، ورغم بطش النظام ووحشية أساليب أجهزته القمعية ظهرت مرة أخرى طلائع المقاومة الكوردية في جبال كوردستان الشماء. وفي ظن النظام الفاشي كان يتوقع أنه قضى على طموحات الشعب الكوردي من خلال تلك الاتفاقية وتنازلاته المشينة للحكومة الإيرانية. وأخذ يحتفل بهذا الانتصار سنوياً وتضامناً مع ميلاده في كل سنة.

في ليلة 7 نيسان عام 1977 التي تصادف عيد ميلاد حزب البعث ، وكعادته يحتفل العراق في هذه المناسبة كل عام. ومن الطبيعي أن يحتفل حزب البعث في مدينة خانقين أيضاً حالها حال بقية المدن العراقية. وأخذ الحزب يزين شوارع وأزقة مدينة خانقين ، بيافطات تعبر عن شعارات الحزب ، وتهيأ إلى حفلات لليوم الثاني. لقد بادرت مجموعة من شباب المدينة الذين كانوا في التنظيم السري الجديد. قيامهم بعملية تمزيق اللافطات تحديداً للنظام.. واجتمع كل من الصحفي علي مراد ميخان (روز نامه نووس) ونبيل مُحَمَّد حسين والشهيد عبد الكريم شكر. ودرسوا الموضوع جيداً من كل الجوانب ووضعوا خطة محكمة لتجنب الفشل عملهم. وفي حالة كشف أمرهم حيث حددوا أن يلتجؤوا إلى بستان المرحوم أحمد قنة. وكان المكان أوفر وآمن لهم وأبعد عن عوائلهم. ويكون الانسحاب خلال فروع المدينة وأحيائها صوب نهر الوند وطرق البساتين لإخفاء أنفسهم وعدم وقوعهم في قبضة الأجهزة الأمنية أو الحزبية.

لقد حددوا ساعة في منتصف الليل لبدء العمل مع حلول ظلام دامس بعد حصولهم على دبة بلاستك سعة خمسة لترات من التيزاب من محل والد نبيل (كون والده يداول مهنة بيع البطاريات والتيزاب) ومع آلية رش المبيدات ، ولحسن الحظ كانت زغات مطر خفيفة تسقط في تلك الليلة ، مما كانت تساعدهم لإتلاف اليافطات.. وانطلقوا لتنفيذ العملية. لقد قاموا رش التيزاب على اللافطات المرفوعة داخل مدينة خانقين.. وفي اليوم التالي هز عرش النظام في خانقين. وقام بإلقاء القبض على الكثير من شباب المدينة وحقق معهم ، ولكن لم تستطيع الأجهزة الأمنية والحزبية الوصول إلى الفاعلين الحقيقيين.

هكذا جازف أبناء مدينة خانقين بحياتهم من أجل قضيتهم المشروعة وهي حقوق الشعب الكوردي والحفاظ على طبيعة مدينتهم أن تبقى كوردستانية.

المجد والخلود للشهيد كريم شكر* ، وعمر مديد لكل من نبيل مُحَمَّد حسين والصحفي علي مراد ميخان (روز نامه نووس).

(*) الشهيد عبد الكريم شكر شقيق كاتب المقالة.

طقوس الكتابة عند "جكرخوين"

نارين عمر

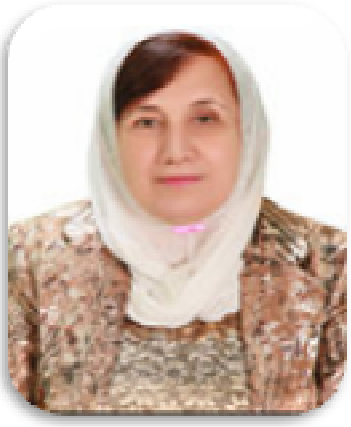

كنتُ طفلة عندما زارنا الشّاعر واللغويّ الكرديّ جكرخوين في البيتِ ولمرّتينِ متتاليتين. وقد لفتَ نظري الاهتمامَ الملفتَ من قِبل الجميع بهذا الرّجل الممتلئ ، ذي الحاجبين العريضن والطلة البهيّةِ ، فرسمَ فكري وحسّي صورة لهذا الرّجل في عمقِ مخيّلتي ؛ وكنتُ صغيرة أيضاً حينما رافقتُ جماعة من أهلي في زيارةٍ إلى بيتِ جكرخوين. وكنتُ حينها أتعلّمُ ألف باءَ الأبجديةِ الكرديةِ ، وأحاولُ الولوجَ إلى محرابِ شعره ، وبصعوبةٍ كنتُ أقرأ المكتوب في طيّاتِ صَفحاته .

بمجرّدِ دخولنا إلى غرفته ، أوّلُ ما أثارَ انتباهي في الغرفةِ وجود آثارِ كتابةٍ على جدارها ، لم أتمالك نفسي وبخجلٍ واستحياءٍ طرحتُ السّؤالَ على أختي ، بعدَ أن ارتسَمَتْ ابتسامة على وجهها أجابتني وبصوتٍ مسموعٍ :

ولماذا لا تطرحينَ السّؤالَ على "سيدا" نفسه فهو وحده مَنْ يستطيعُ الإجابة على سؤالكِ؟ وقد انتبه جكرخوين إلى ذلك ، وبعد أن أبدى إعجابه بهذا السّؤالِ الذي يُطرَحُ عليه من فتاةٍ صغيرةٍ ، أجابَ بابتسامةٍ ما زلتُ أتذكّرُ طيفها :

من عادتي أن أضعَ القلمَ والدّفتر إلى جانبي كلّما ذهبتُ إلى النّوم ، فقد تخطرُ لي فكرة أو خاطرة توقظني من نومي فأسرعُ إلى تدوينها على الورقةِ لئلا أنساها في الصّباحِ ولكنّني أحياناً لا أجدُ الورقة أو الدّفترَ ، فأكتبُ ما خطرَ في حلمي على الحائطِ.

ما كان من الحاضرين إلا أن رحّبوا بالفكرة ليطرحوا عليه أسئلة طالما تضجُ في أذهانهم من دونِ أن يجدوا لها إجابة .

من أبرزِ الأسئلة التي أتذكرّها ما طرحه عليه أحدهم:

إذا خضتَ في أيّ موضوعٍ أدبيّ أو ثقافيّ أو تاريخيّ نجدكَ تعطي الموضوعَ حقهُ بالكامل وكأنّكَ عشتَ الأحداثَ بتفاصيلها ، فمثلاً عندما تكتبُ عن الكوجر يظنّ القارئ أنّكَ كوجريّ أبّاً عن جدّ ، وحينَ يكونُ الفلاحُ محورَ موضوعك لا يراودنا شكّ بأنّكَ فلاحٌ بدونِ منازع ، وكذلك حينما تتحدّثُ عن العامل والقروي والحضَري والفقير والغنّيّ وبقيّةِ أفرادِ وشرائح المجتمع .

أجابَ جكرخوين:

قبلَ أن أخوضَ في أيّ موضوعٍ أدبيّ أو ثقافيّ أو حتى تاريخيّ أدرسهُ من كلّ جوانبِهِ ، وربّما أناقشه مع الآخرين حتى تتكوّنَ لديّ فكرة جيّدة عنه ، ثمّ أبدأ بكتابتهِ وعرضه. مثلاً:

عندما أكتبُ عن الكوجر فإنّي أزورُ مضاربَ الكوجر كما أزورهم في بيوتهم ، وأستفسرُ منهم عن كلّ الأمورِ التي تتعلّقُ بموضوعي وتخدمه ، وقد أظلّ عندهم لأيّام حتى أتمكّنَ من الحصولِ على ما أريد. وكذلك الأمرُ إذا كانَ الموضوعُ يتعلّقُ بالفلاح ألجأ إلى عدّةِ فلاحينَ ، أسألهم عن الأدواتِ التي يستخدمونها في فلاحتهم ومختلف طرقِ ووسائل الفلاحةِ وأفضلُ الطّرقِ بالنّسبةِ لهم. وكذا الأمرُ بالنّسبةِ لمختلفِ شرائح وفئاتِ المجتمعِ الأخرى. ثمّ أضافَ :

أفعلُ ذلكَ لأنّ الكتابة بالنّسبةِ إليّ يجبُ أن تستندَ إلى المصداقيةِ ، وهذه المصداقية تأتي من المرجعياتِ المتعلّقةِ بهذا العمل الكتابيّ أو ذاك .

وفي ردّه على سؤالٍ من أحدِ الحاضرين عن حضور المرأة في كتاباته وخاصة في شعره أجاب:

المرأة هي نصفُ المجتمع ، ولن يتقدّمَ أيّ مجتمع إن لم يتعامل مع المرأة على أنّها كائنٌ يستحقّ الحياة التي تليقُ بها.

لأنّها أمّي وزوجتي وحبيبتي ، هي حاضرة في كلّ ما أكتبُ ، ولمْ ينسَ أن يثني على زوجته كثيراً.

بمناسبة رحيله ونيلِهِ وسامَ الخلودِ في القلوب أحببتُ أن أستذكرَ هذه الذكرى العطرة بهذه العباراتِ المتواضعة.

تتـــمة كلمة العدد

من ألمه على رحيل شاعر فذ ؟.. مع أني لم أترك لغير مشاعري تخط لحظات الشعور بالفقدان.. هكذا هي الروح عندما تستجيب بتلقائية لبلورة حزنها.. فالدموع ليست كافية.. والصمت أحياناً قد يجرح ضمائرنا المعذبة ونحن نقرأ بعضاً من حكايات رحيل أصحاب البصمات التي لا تغيب في الساحة الشعرية الكردية.. نودع جيل الرواد ، ولكن الشعر سيبقى ينتج دوماً ما هو لائق به.. قررت أن أساهم بكلمات متواضعة جداً في رثاء صادق في الذكرى الثلاثين لرحيل شاعر كبير عظيم.. مع أني على يقين بأن العظماء لا يرحلون بل يولدون من جديد كل لحظة في قلوبنا..

قلما نجد شاعراً نظم مثله صورة صادقة لعمق النفس الإنسانية والعلاقات الاجتماعية وحب الأرض ، وجعله مرآة تنعكس عليها العاطفة المشبوبة تجاه الوطن المسلوب. لأنه استمد مادته من القلب وعبر عن الشعور ، فنجد فيه الشاعر المتسق المكنون قلبه بالألم والأشجان ، المؤطر بالأفكار والآراء ذو الدلالات العميقة ، تعبر عن مكنونات أنفاس بني قومه ، وما يعانونه من ويلات ونكبات ، فيرسم ذلك بريشة جميلة على صورة أبيات تنير الدرب بأضواء تفتح المغاليق.

رحلت عنا جسداً ، لكن فكرك وإبداعاتك ستبقى خالدة بقلوب وعقول أبناء الكرد ، وأبياتك تطرق مسامعهم ، وتزيح وشاح الحزن عن حياتهم ، فنحن نراك في كل حضور وفي كل مقام ينطق بحروف صادقة ، فيصبح الموت حياة من خلال الكلمة.

ظاهرة تفريخ الأحزاب الكردية وأسبابها..؟

عماد يوسف

"افتح مقهى في الصباح ، تجد من يشغل كراسيها في المساء ، وعلى المنوال نفسه ، أعلن عن حزبك اليوم وستجد من يتولى القيادة وتجييش الحضور ومن سيصفق ويزغرد ويمجد النهج الذي تنتمي إليه في مقاعد أو جمع عام ما دامت القضية قضية استثمار وليس مشروع نضالي وحضاري وتاريخي".

بات أمراً طبيعياً أن تستيقظ كل يوم على قراءة بيان من حزب جديد بالشعارات والتقاليد الحزبية نفسها التي انتهجتها وحملت لواءها بقية الأحزاب الكردية التي نشأت وتفرخت في سوريا منذ عام 1957 ، حتى بلغت حسب بعض الإحصائيات إلى أكثر من ستين تنظيماً ، بعضها حديثة التأسيس وأخرى تفرخت من أحزاب أخرى حتى أصبحنا نرى الإسم الواحد يطلق على عدة أحزاب ضمن تيار فكري وتنظيمي واحد ، مما يطرح علينا عدة تساؤلات حول سبب تأسيسها ، وما تحمله من برامج وأهداف ومدى تقيدها بتلك الأهداف..

في عموم أجزاء كردستان الأربعة ظهر قطبان كرديان هما الحزب الديمقراطي الكردستاني في العراق ، وحزب العمال الكردستاني في تركيا ، حاولا بسط سيطرتهما واتساع نفوذهما ورقعتهما الجغرافية والسكانية على الشعب الكردي عامة ، وبالتالي فرض نهجهما الفكري والتنظيمي على الأحزاب الكردية الناشئة أو المتفرعة منهما ، من خلال امتلاكهما لمصادر القوة المادية والعسكرية وقدرتهما على إثبات الوجود الإقليمي والدولي ، وزاد من بروزهما كقطبين رئيسيين اختلافهما في أمرين اثنين هما :

أولاً – الاختلاف الفكري والتنظيمي بينهما والذين أديا إلى اختلاف وسائل العمل النضالي والتنافس على التوسع في عموم كردستان .

ثانياً – الخلاف السياسي الناشئ عن اصطفافهما إلى جانب تيارات وتحالفات دولية كل حلف منها على عداء مع أحد الحزبين.

وقد برز هذا التنافس على أشده في كردستان سوريا تزامناً مع الثورة السورية ورغبة كل منهما في لعب الدور الأكبر وامتلاك الشارع الكردي وتمثيله أمام الراي العام السوري والدولي ، ويمكننا أن نلمس عدة فرضيات نحدد بها سبب هذه الكثرة الهائلة من الأحزاب الكردية في سوريا بشكل خاص ، وهي:

الفرضية الأولى – اتخاذ بعض مؤسسي الأحزاب شكل الوصاية على الحزب على أنهم الأحق بالاستمرارية في قيادته دون منح فرصة للكوادر الأخرى ، وهو خلل داخلي في الأحزاب نتيجة الاستبداد بالرأي .

الفرضية الثانية – عدم وجود ضوابط لتأسيس الأحزاب ورغبة التيارات الموجودة والمتمثلة حالياً بالإدارة الذاتية والمجلس الوطني الكردي بزيادة أعداد الأحزاب المنضوية فيها ، لذا منحت العضوية للعديد منها دون النظر في برامجها وشعبيتها.

الفرضية الثالثة – التنافس بين الأحزاب الكبيرة والتي عملت على تفتيت بعضها بدعم الانشقاقات في صفوفها إلى أن تفرخت عدة أحزاب من رحم حزب ، أعضاء كل منها من القيادة والقواعد لا يتعدون أصابع اليد ، فهي عملية مدبرة تقف وراءها الكتل السياسية الكبيرة ، لإضعاف من يعارضها من أحزاب وتيارات.

الفرضية الرابعة – التفريخ ، أي خلق مجال أوسع من الحزب للحفاظ على وجوده من خلال تفريخ أحزاب جديدة تنتمي إليها لتشكيل تيار أو مجلس أو إدارة ، وهذا الأمر واضح وجلي في تفرعات حزب الاتحاد الديمقراطي وبعض تفرعات الحزب الديمقراطي الكردستاني – سوريا.

إن هذه الظاهرة التي تسم الحياة السياسية الكردية في سوريا لا تخدم إلا الأحزاب الكبيرة الماسكة بزمام الأمور ، وهذا ما تعمل عليه وتشجعه وتوعز منتسبيها للقيام به ، لأن تلك المجموعات المبعثرة من الأحزاب لا جدوى منها ولا فاعلية لها في الحياة السياسية إلا اثبات وجودها الاسمي أو الوهمي غالباً ، والعيش تحت رعاية مموليها من الأحزاب الكبيرة .

ولا شك أن حزب الاتحاد الديمقراطي المتمسك بزمام الإدارة الذاتية والحزب الديمقراطي الكردستاني سوريا المنفرد بسلطة المجلس الوطني الكردي يدركان أهمية هذا الانفلات السياسي فشجعا على تزايد أعدادها تفريخاً وانشقاقاً لتغدو أحزاباً لا يعرف منها إلا اسمها فلا مكاتب لها تزار ولا فائدة منها ترتجى .

ما أشبه إنتاج الأحزاب السياسية في بلادنا بشركة مقاولات يقوم رعاتها وممولوها بتقديم الدعم والبيانات المناسبة لمقاساتهم هم ، دون أن يعيروا اهتماماً بالتكوين السياسي والتنظيمي ، بل بالمنطق الانتهازي الذي يتعمد توسيع دائرة التمييع والتفكك في الحياة السياسية الكردية واستثماره في خانة السيطرة والتفرد في الرؤى والتوجهات.

العراق والثلاثي المدمر

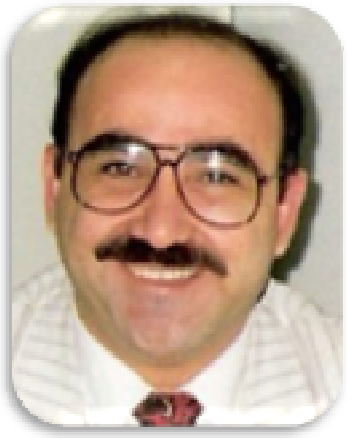

بيار روباري

الكثيرين من المعلقين السياسيين وأصحابي الرأي، كتبوا كثيراً حول نتائج الإنتخابات "العراقية" وتشكيل الكتلة الأكبر داخل البرلمان، وولادة الحكومة العتيدة، وما يرافقه من ضغوط إيرانية وأمريكية لتحديد هوية الحكومة القادمة.

من جانبي لن أركز على هذا رغم أهميته، وأرى أن هناك عوامل أهم وأكثر خطورة يعاني منها العراق اليوم، يجب الحديث عنها ومناقشتها. وفي معرض هذا المقال، سوف أحاول طرح الأسئلة الجادة أكثر منه الإجابة عنها. وكما هو معلوم إن طرح الأسئلة السديدة، أكثر صعوبة من الإجابة عليها. وقبل الدخول في طرح الأسئلة نحدد ما هو الثلاثي المدمر للعراق ثم ننتقل إلى قسم الأسئلة والرد عليها.

برأي الثالوث المدمر الذي أتى على كل شيئ في "دولة العراق" بمكوناتها الثلاثة "الكرد و الشيعة و السنة" هو: **الطائفية المسيسة، الإقطاعية السياسية، دولة الميليشيات**.

1- الطائفية المسيسة:

الطائفية، هو مفهوم مشتق من (طاف، يطوف، طواف، فهو طائف) فالبناء اللفظي يحمل معنى تحرك الجزء من الكل دون أن ينفصل عنه بل يتحرك في إطاره وربما لصالحه. والطائفية هو انتماء لطائفة معينة دينية أو اجتماعية ولكن ليست عرقية فمن الممكن ان يجتمع عدد من القوميات في طائفة واحدة بخلاف أوطانهم أو لغاتهم.

وفي عصرنا هذا تم مزج مفهوم "الطائفية" ذات المكون العددي مع مفاهيم أخرى ذات مضمون فكري أو فلسفي أو عرقي أو مذهبي. فحوله القادة السياسيين إلى ما يشبه (معمل) لإنتاج العداوة والحقد تجاه المختلف الآخر، وجعله حصاناً لإمتطاء ظهره وتسخيره لتحقيق مصالحهم الشخصية، والوصول للحكم. وحلت هذه الصيغة الجديدة الخبيثة من الطائفية مكان "الملة والعرق والدين" التي كانت سائدة قبل ذلك، واختلطت كل هذه المفاهيم جميعاً في بيئة متزامنة فكرياً وسياسياً فأنتجت مفهوم "الطائفية السياسية" باعتبارها تعبيراً عن حالة أزمة دموية فاقعة وغير قابلة للإصلاح بسهولة يعيشها مجتمعاتشرق أوسطية مثل لبنان، سوريا والعراق والبحرين.

وفي إطار كل طائفة هناك صراعات دموية بين المتصارعين على زعامة الطائفة، وخير مثال على ذلك بين شيعة لبنان (حزب الله وحركة أمل) في ثمانينات القرن الماضي والصراع بين القوات اللبنانية والتيار العوني.

ونظرة متمعنة لأوضاع تلك البلدان التي ذكرتها، كافية لفهم مدى خطورة سرطان الطائفية المسيسة، وصعوبة إجتساسها من جسد المجتمعات المصابة بها.

2- الإقطاعية السياسية:

هو مفهوم قديم ولكن بلباس جديد، في القدم كان الإقطاع مرتبطاً إرتباطاً وثيقاً بملكية الأرض والعبيد، ومع تطور المجتمعات البشرية وتغير أنظمة الحكم وظهور الدول، تغير هذا المفهوم وأخذ شكلاً من الثلاثة التالية: **توريث تقليدي، أحزاب عائلية، المال السياسي**.

التوريث التقليدي:

هو توريث متوارث جيل عن جيل ينتقل زعامة "البيت السياسي" إلى النجل الأكبر ومن ثم للحفيد وحفيد الحفيد وهكذا. وهناك نوعين من البيوت السياسية:

النوع الأول: من أصل إقطاعي أو برجوازي، وخير مثال على ذلك بيت **بدرخان** في شمالي كردستان، و بيت **جنبلاط والجميل** في لبنان، و**نهرو** في الهند، و**بوتو** في باكستان. ويتمتع هذا الإقطاع السياسي بهامش من التنور والليبرالية والحرية.

النوع الثاني: ذات خلفية دينية، وتمتاز بنوع من التزمت والتخلف ورفض الآخر وتميل للعنف، وخير مثال على ذلك عوائل دول الخليج والسعودية، وعائلة **الحكيم والصدر** والبرزاني في العراق، وعائلة **المهدي** في السودان.

النوع الثالث: هي أصحاب رأس المال، وهي أكثر الأنواع لليبرالية وإيماناً بالحرية وقبولاً للآخر، وخير مثال على ذلك عائلة **الحريري** في لبنان، و**ال كندي** في أمريكا.

3- دولة المليشيات:

هي ظاهرة حديثة العهد، وهي منتشرة في دول عديدة حول العالم. وهي خطرة على نفسها والآخرين معاً. وهذه الظاهرة تنقسم إلى نوعين:

النوع الأول: مرتبط إرتباطاً عضوياً بغياب مؤسسات الحكم وإنهيار الدولة، وأخذ كل مجموعة منطقة معينة وحكمها وفرض فكرها وقوانينها الإجرامية عليها. وخير مثال على دولة "حزب الله" في لبنان، ودولة "عصائب الحق" الشيعية في العراق، ودولة "الحوثي" في اليمن.

النوع الثاني: هو الأكثر خطورة على المجتمع وكيان الدولة، عندما تتحول الدولة بذاتها إلى مليشيات مسلحة وتتصرف كعصابة، كما هو الحال مع عصابة بشار الأسد في سوريا، وعصابات علي صالح في اليمن في الماضي، وعصابات القذافي في ليبيا. وجماعة الطالباني في جنوبي كردستان، وحزب الإتحاد (ب ي د) في غربي كردستان يقترب شيئاً فشيئاً من هذه البوتقة.

والآن حان وقت طرح الأسئلة المهمة على القراء ومريدي ذاك الثالوث الرهيب، لكي يفكروا ملياً بما سنطرحه من أسئلة، ويحاولوا الإجابة عليها لأنفسهم هم.

*** ألم يكن الحكم بيد الإقطاعية السياسية الشيعية خلال العشر سنوات الأخيرة؟..... الجواب: نعم.**

السؤال هنا:

ماذا إستفاد الشيعة من وجود هذه الإقطاعيات بمختلف الوانها ومسمياتها في الحكم، وسيطرتها على موارد البلد الهائلة؟

الجواب لا شيئ سوى الحرمان والبطالة والتعتير والأمراض ومزيداً من الفقر، وخير دليل على ذلك ما تشهده مدينة البصرة، أغنى مدن العراق.

* ألم يكن الحكم في الماضي بيد الإقطاعية السياسية السنية خلال فترة الحكم الجمهوري، بدءاً بعبد الكريم قاسم وإنتهاءً بصدام حسين؟..... الجواب: نعم.

السؤال هنا:

ماذا إستفاد السنة من وجود هذه الإقطاعيات بمختلف ألوانها ومسمياتها في الحكم، وسيطرتها على موارد البلد الهائلة؟

الجواب: لا شيئ سوى البطش والقتل والتهجير وخراب البلد وفقدان كل مقدراته، وخير دليل على ذلك ما وصل اليه العراق في أواخر مراحل حكم صدام حسين؟

في الختام، أرغب قول التالي للكرد والشيعة والسنة العاديين، لن تحصلوا على شيئ من تلك العصابات الدينية، والحزبية، والعائلية المتاجرة بالدين والقومية والطائفية، أياً كان أسماء الحكام الجدد وهوياتهم.

عليكم هدم الكعبة على رؤوسهم والتخلص من هذا الثالوث المدمر إن كنتم فعلاً تريدون العيش بكرامة وأحرار. أعلم أن المهمة صعبة ولكنها ليست مستحيلة.

ونقطة أخيرة في نهاية هذه المقالة، برأيي بات من الصعب للغاية تعايش الكرد مع العرب في دولة واحدة، وهذه النقطة بحاجة لمقالة مستقلة لوحدها.

إيران .. عدوّة الحرية ومصدّرة الإرهاب

زهرة أحمد

من ساحة جارجرا "القناديل الأربعة" في مهاباد، وأنين المشانق إلى قصف "كويه" في شرقي كردستان، تاريخ من الإرهاب، تنسج طهران خيوطه الإجرامية بدماء الأبرياء من الشعب الكردي.

ساحات الإعدام المقيتة شاهدة على إرهاب ممنهج، إذ إن أروقة طهران تعج بالنفاق السياسي، ومحاولات إجرامية مؤامراتية ليخيم ملف حقوق الإنسان بظلام استبدادهم ودكتاتوريتهم المتوارثة.

تمارس حكومات الدول التي تتقاسم الخريطة الجيو سياسية لكردستان أبشع أنواع الاضطهاد القومي، مستهدفة كل مشروع قومي يعبّر به الشعب الكردي عن مصيره وحقه في الحرية والحياة الكريمة.

لا تتوانى دهاليز طهران الشوفينية من حبك المؤامرات الظلامية حتى مع ألد أعدائها ضد إرادة الشعب الكردي بتعاون إقليمي ومباركة دولية، حتى إذا كانت مناقضة لمبادئ تلك الدول التي تنادي بالحرية والديمقراطية ومواثيقها في حقوق الإنسان المشروعة، مادامت تحفظ مصالحها وترعاها مقابل صمتها المقيت أمام الجرائم اللاإنسانية ضد الشعب الكردي والتي وصلت بعضها إلى الجينوسايد.

ولاية الفقيه، مصدّرة الإرهاب وصانعته، ممولة التنظيمات الإرهابية، ومنبع ولادتها، تجاهد لخلق الفوضى واللااستقرار في المنطقة وبث سموم الإرهاب فيها، لاستمرار تدخلاتها اللامشروعة في شؤون المنطقة، وسوريا كانت إحدى ضحايا التدخل السافر لولاية الإرهاب.

استهداف مقرات الأحزاب الكردية المعارضة للنظام الإيراني في كويه انتهاك صارخ لحرمة إقليم كردستان العراق، استهداف للأمن والاستقرار في الإقليم وهو يشهد تحضيراته لدورة انتخابية برلمانية جديدة، وبعد الانتصار الساحق للحزب الديمقراطي الكردستاني في انتخابات البرلمان العراقي، وبعد أن قال الشعب الكردي كلمته التاريخية في الاستفتاء.

أزمات إيران الاقتصادية الخانقة، والفشل السياسي المقترن بممارسات قمعية للمعارضة، ومشاريعها التوسعية الفارسية الفاشية، دفعتها لتصدير إرهابها وجرائمها خارج حدودها، مستهدفة أمن كردستان واستقرارها، سواء من خلال أذرعها الميليشاوية الحشدية، أو من خلال مؤامراتها الخبيثة لخلق فتنة بين الأحزاب السياسية، كل ذلك للضغط على الإقليم للانضمام إلى الكتلة الانتخابية التي تدعمها، لتتوج حقدها البغيض بقصف جوي ومدفعي على مقرّي الحزبين المعارضين للنظام الفاشي، حزب الديمقراطي الكردستاني "حدك" وحزب الديمقراطي الكردستاني –إيران "حدكا" في صباح السبت 2018/9/8 لتخلف العشرات من الشهداء والجرحى من قيادي وكوادر حزبية أثناء اجتماعهم في مقراتهم في كويه التابعة لـ هولير، وسط إدانة خجولة من حكومة بغداد. إعدام الناشطين الكرد لايزال يتصدر سجل إيران الإجرامي، جحور ولاية الفقيه لا تزال تنطق بفرمانات دكتاتورية ترجمتها أعواد المشانق في ساحات الجريمة.

رامين بناهي لم يرتكب جرماً، ولا تزال والدة زانيار ولقمان مورادي تنتظرهم بدموعها، هؤلاء ناشطون سياسيون، ناضلوا بشرف من أجل حقوق شعبهم المشروعة، لتكون أعواد المشانق نهاية مؤلمة لنشاطاتهم وحياتهم أيضاً، وتكون نقاط سوداء في تاريخ ولاية الفقيه الإجرامي، شموخهم أمام الموت ملحمة بطولية. تاريخ يسمو على الخلود، والمجتمع الدولي يغض النظر أمام إرهاب يفترس شعباً بحقوقه، لتتوجه أنظارهم إلى انتزاع مصالحهم في بلاد الإرهاب.

لكن ؟!!

تتناسى إيران والحكومات المستبدة بأن الإعدامات لا تنهي الشعوب، ولا تضعف ارادة التضحية المتأصلة في التاريخ الكردي المفعم بالثورات، بل تزيد الشعب إصراراً، وتمده بأبجدية التحدي لسحق الاستبداد والنضال المستمر ليقرر الشعب مصيره بنفسه.

فالشعب الذي خرج من الجينوسايد شامخاً، سينتصر لا محالة.

حول الشرق الأوسط وسبل الحل

ريبر هبون

إن الفعل المعرفي المدرك هو الذي لا يستسلم لدغدغات الخرافة ويعمل على التحرر من قيودها، كما أن الإنجاز النهضوي يرقى بالمجتمعات وينقلها من طور الغيبوبة إلى طور النماء والتجلي، وبالرغم من تقشي التطرف في أوساط المجتمعات المحاصرة بأغلال الحرب، وتقشي أزمة السلطة القمعية فيها، فإن أدوار المعرفيين فيها هائلة وحقيقية وإن لم يسلط عليها الإعلام المغرض ويتمكن من حصرها أو تغييبها كلياً، وقد دأب العقل الشرق أوسطي الذي تغذى طويلاً من رحم الثقافة العربية وتلاوة أمجادها، على التكاسل والتحلق حول طاولة الحلم الماضي، وتلاشى رويداً رويداً أمام صناعة العنف المقدس وإعادة إنتاجه بما يخدم أصحاب المشاريع، ممن يعدُّون أنفسهم ورثة شرعيين لأراضي شاسعة لا يمكن لشعوبها فيها أن يوطدوا دعائم حكم مستقر وعادل ومزدهر.

فحرصوا على إغواء تلك الشعوب عبر تاريخ هش يرتكز على الأخطاء السلطوية المتمثلة بصراع السنة والشيعة والصراع بين الأكثرية التي ترى نفسها حاكمة وتستند إلى ميراث من الهيمنة في الحكم تاريخياً وبين الأقلية التي وجدت نفسها في العبودية والتبعية والإلحاق، والذي وطد التصارع بين الحقوق القومية التاريخية، وتم تغذية العقول بالقداسة الشاذة وتوطيد الورم السرطاني داخل الأدمغة الشرق أوسطية والعالم العربي، لتبقى تلك الشعوب رازحة بمخيلتها ولاشعورها الجمعي بين فكي كماشة التطرف الديني والطائفي الذي ينحو منحى استعداء كل جديد، وبين التحلُّق عبر إيديولوجيات الأحزاب الشمولية التي تقتات على الشعارات التصوفية وتمجيد الزعامة بروح قبلية وتأليه الموت، لتكون بديلاً وامتداداً للنظم المتهالكة التي بات سقوطها واقعاً محتملاً، فالتطرف المتجسد بين حالتين أصولية مقابل ما يضادها اليسارية التجديدية نتاج تلاقح مشوه أنجب جنيناً معاقاً ينازع الموت باستمرار لأجل لعب دوره الجديد في إخصاء وتهجير أصحاب الملكات من شعوبها التي تعاني المرارة جراء تفكك خلاياها ببطء.

وحينما يتم توجيه الفكرة نحو ترويج المنفعة، يتم تعريتها بسهولة ويبان القناع الهزلي، فإرادة المتبصِّر تكشف عن مواقع الزلل التي تعتري طبيعة الميول السياسية التي تخدم أهداف النخبة التي تتحكم بمصادر الإمداد وضخ الموارد لزيادة النفوذ، حيث أن الفئات التي تفتقد للقراءة الموضوعية للأحداث، سرعان ما تنقاد لأفخاخ السلطة ومفاهيمها التسويقية، بل ولعل تلك الفئات تدخل في عملية التسويق عن غفلة ونقصان دراية مما يعمُّ التشويه والاضطراب، وتصبح الأنشطة السياسية ضرباً من ضروب العبث بالبشر، وتمس قيمهم الطبيعية، مما يستدعي بالمعرفيين المتنبهين، التمسك بزمام التأثير الفعلي الإيجابي إزاء صراع مفروض عليهم، يتهدّد وجودهم، حيث أن تقشي الدعارة الفكرية والسياسية تحديداً بين الجماهير، فرض واقعاً مستفزاً وسلبياً على جميع الصعد، ولاشك أن أعقد المهام التي تسقط على كاهل المعرفي في أن يقود دفة التعقل والاتزان في أحلك المراحل والفترات.

إن العالم اليوم يسعى للارتباط الكوني بعضه ببعض عبر الإعلام والتكنولوجيا الحديثة وقنوات التواصل الاجتماعي العديدة، وذلك يبرهن على أن الحدود بين الشعوب هي حدود سياسية منفعية بحتة، إذ لا حدود بين عقل وعقل، بين نهضة وأخرى. من هنا أمكن لنا الحديث عن المعرفيين وأدوارهم الجديدة التي لابد وأن تظهر لحماية الوجود من التخريب ورواسب الإبادة الثقافية والمجتمعية، حيث أن الواقع الذي بات يعبر عن نفسه بمظاهر التسلح في الشرق الأوسط مرده رداءة السلطة وتبعيتها، وعشعشة التصورات الإيديولوجية التي غيبت عقول الجماهير وقوضت مدركاتها عبر تمركز الحكم الطائفي، والقومي الذي بفعله، عمّق المشاكل والهوة بين كافة المكونات، وهكذا يبقى المعرفي هو المستهدف والمستبعد، والملاحق بكافة الوسائل، وذلك ما يعوق الأداء الاجتماعي ويسهم في تفتيت العوامل الحية لدى كل مجتمع، مما عم الدمار، وباتت الحياة الإنسانية مقوضة تماماً.

ولعل الحراك المعرفي في الشرق الأوسط بات مشلولاً، الأمر الذي حال دون وصول المجتمعات لأمنها وتعايشها السلمي، إزاء نداءات تذكي الصراع والتصارع القديم الجديد، ولكن حقيقة الصراع بين المعرفيين وقوى العطالة، جلي حتماً عبر دعوات المنادين للسلم والدمقرطة والمحاربين للإرهاب، تجاه المكرسين للأزمات السلطوية، الذين راحوا يقطعون الطرق أمام وصول مجتمعاتهم لحياة خالية من التسلط والارتهان لفساد السلطات القامعة، من هنا يجب تعميم أن الحياة التي تعاش بمعنى وأحقية يجب أن يكرس لها كل المعرفيين عبر أصقاع الوجود حياتهم في سبيل بلوغها، ناهيك أن الأزمات المركزية التي تعانيها المجتمعات المنكوبة بسبب الحرب، تطال كل مؤسسة متحضرة، وبذلك فعدوى تلك الازمات ما يلبث أن تظهر ملامحها في البقاع المتحضرة أيضاً ولو كانت بعيدة جغرافيا عن ما يحصل (انفجار باريس).

ان ظاهرة التطرف ليست وليدة العصر الحاضر بقدر ما هي شرارة تم إذكاءها بمنهجية في ذوات العقول التي كان الفراغ وكانت العطالة تحاصرها، ما لبث أن وجدت ما يملئ عليها الفراغ عبر زجها في قوالب أكثر شناعة، عبر التنظيمات الجهادية التي بدأت تنشر ويلات الفزع والرعب، لتملئ الحياة شغباً وفوضى ودماء، مما يعني أنه من الاستحالة خلق حياة عصرية بنمط من التجاهل لأزمات الشعوب المنكوبة التي لم تكف عن عيش أدوار الضحية بصورة مختلفة وعبر مراحل، من خلال ترسيخ الأنظمة القومية الديكتاتورية على طول خارطتها وإنهاكها راهناً بالفوضى، وإفراغ مساحات أرضها عبر إجبارها على النزوح والهرب عبر موجات الهجرة نحو الشمال، مما يعني أن الحديث عن أي نظام يدعو للعصرنة مجرد ثغاء مالم يتم الحد من ويلات الكارثة الناجمة عن ظاهرة التطرف الديني وإقبال النخبة الشابة لأوساطها بازدياد، فشيوع العنف بمنهجية، أدى لحدوث أزمات لا تنتهي، ولربما غاصت ألماً في ذاكرة الشعوب الهاربة بصورة مأساوية.

كل ذلك وعبر مرأى المجتمعات المتحضرة التي كان ولابد الآن أن تتحمل مسؤولياتها في إعادة الاستقرار والأمان، للمناطق المتأزمة سياسياً، عبر إنهاء حكم الديكتاتوريات، ومكافحة التطرف، وكذلك تفعيل أدوات التخاطب والعمل عبر منظمات مدنية تعد جيلاً قوياً قادراً على العمل والبناء، فاستخدام لغة التحريض للعنف وعكس الحقائق وتشويهها، جعلت المجتمعات الشرق أوسطية تعيش في غيبوبة عن الخلاص، حتى أضحت السياسة وسيلة للتشويه والكذب والفساد، وأصبحت التعابير والاصطلاحات الممنهجة في سياقات تهويمية فاسدة وكاسدة، للإيقاع بعقول الشباب في سلسلة تخبطات لا تنتهي إثر التهويم المركز الذي يشل ويضعف من امكانية بروز العقل النقدي، مما تتجلى مظاهر الاغتراب بشكلها المأساوي، لتصبح الهجرة والنزوح عن الموطن خياراً لحماية المتبقى الزهيد والدفاع عنه، إزاء قوى تنشر التطرف بأشكاله، وترفع شعار حيث يعلو الرصاص، يخرس العقل وتجف منابع القلب والفكر، فمهما كانت القضايا على درجة متشابكة من التعقيد والتشعب، فإن العقل الحر لا يعدم الوسائل لفك تلك العقد البارزة، حينما تتكافل أدوار الناس في المحيط الاجتماعي وتتوطد علائقهم المعرفية المتآلفة عقلاً وقلب.

ولكن حينما نشهد التفكك، وتصبح العلاقات الاجتماعية محاصرة بأشواك الصراع الاستنزافي الذي تغذيه الأقنية الاعلامية المأجورة، حيث تغيب بضراوة الصراع جل معايير التماسك الكامنة في الحب، حيث ينسجم هذا التفكك الاجتماعي والفوضى الناشئة مع مصالح القوى الأنانية التي همها تعزيز النفوذ وتقاسم الورثة الاستعمارية جيلاً بعد جيل، وهنا يبرز معادل الانانية الرأسمالي، والذي يفصح عن نفسه بأشكال متعددة توحي أنها طبيعية وبديلة عن التصارع حيث تصبح فلسفة وروحاً، تضخ أكثر من ويلات التباعد والتشرذم، حيث ينعدم أخيراً المعنى من وجود التمدن الجوهري والاستقرار الاجتماعي والاحساس بالحياة، فباتت أزمة التلاعب بالمفردات إعلامياً، سلوكاً ممنهجاً للتحكم بالعقل والنفوس التي تسرع للتصديق والتسليم بعودة الصراع القديم الجديد، المستورد من التاريخ وعفونة السلطة، فبدأ الاعلام الحزبي يتقاسم مع الإعلام السلعي التجاري اللعبة ذاتها لأجل تمركزها ولعبها الدور المتحكم في الجماهير، وأمام هذا السباق تبرز العضلات التي تكاد تناطح قسوة الجدار المسلح بطبقات الاسمنت السميكة، ويبرز خيار المواجهة، أشبه بحرب ينهمك فيها المعرفي الساعي لإنقاذ مكتسبات أسلافه في الوجود، إزاء عبث أرباب الاقتصاد والدين بالوجود عبر انتاج الأزمات والحروب والجوع والتلوث.

والعقل الربحي النفعي بات الأكثر تفضيلاً عن العقل المدرك لماهية الإبداعات والعلوم الإنسانية، بل ومتحكماً في مفاصل مؤسساتها هشة البنيان، حيث أن كل بناء شاهق لا يدعمه يقين معرفي وزخم اجتماعي، يتعرض للزوال، حيث بدا لكيركيغار، أب الوجودية، تلك الحقيقة، ان كل إنجاز أو بناء شاهق محكوم بالزوال مهما امتد الزمن به، وإعمال المادة لزيادة الإحساس بالجشع والسيطرة يكلف على الدوام عواقب وخيمة، حيث لا نرى لروما وحضارتها أثراً بعد غناها وطموحها الفاحش، ولا نرى وجوداً للآشوريين المولعين بالتجارة والهيمنة، حيث أن استعباد المال والتكنولوجيا باعد بين الإنسان والقيمة وجعله آلة، وباتت الثروة وسيلة تصارع لا وسيلة انتفاع ورفاهية، وذاك جعل البشرية في سباق متواصل نحو التسلح وضخ الأزمات، مما يستدعي بالمعرفيين ممن هم من أصحاب القرار بالدعوة لعقد مؤتمرات عالمية تقف على شتى الظواهر التي تنتج الأزمات على الدوام والتي تهدد على المدى البعيد أمن وسلامة ورفاهية المجتمعات.

والمعرفيين المطالبين اليوم بالبناء هم كافة المعنيين بالوجود وأمنه وسلامته، وبالأخص الذين هم في مراكز صنع القرار، ولديهم صدى وتأثير على الرأي العام، في ضرورة العمل على إعادة الاستقرار والأمان الفعلي للشرق الأوسط الذي فيما لو أتيحت له الحياة فإنه سيمثل في الحقيقة، المنطقة الحلم لأجل المستقبل الأفضل، مما يعني أنها قادرة بأي شكل أن تعيد ريادتها الحضارية التنويرية على ما حولها والعالم برمته، بعد أن تتخلص من السلطات الفاشية المستوطنة فيها، من ديكتاتوريات واهنة وما خلفتها من ميليشيات مرتبطة بأجندات تخريبية خفية، الهدف منها إبقاء المنطقة مشتعلة ومصدر أزمات وفوضى، الأمر الذي يزيد من تفاقم المعاناة، فإلى متى ؟؟؟؟؟.

من هنا يجب الانطلاق بالحل عبر هذا التساؤل، ولاشك أن العقل المعرفي الحضاري يعد بالأفضل، عبر الإيذان بولوجه لحقيقة هذه المجتمعات، والوقوف على معضلاتها عبر نقاط أساسية لابد من معالجتها:

- فك الارتباطات الجائرة التي رسمتها معاهدة (سايكس بيكو)، والدعوة لرسم كيانات متحدة لا منفصلة (اقليم كردستان العراق نموذجاً) ولا تؤثر على مصالح الجوار السيادية عبر تبني صيغ منها الحكم الذاتي أو الفيدرالي أو الكونفدرالي، مما يمنح دول المنطقة انتعاشها الاقتصادي والمجتمعي، وتقاسم أدوارها بعيداً عن المركزية المتعالية وأساليب الحكم الفردي مما يضمن حقوق كافة الأقليات وكذلك الشعوب التي تتسم بكافة مقومات الدولة من أرض ولغة وثقافة.
- إرساء سياسة اقتصادية تنموية شاملة تتخذ من الإنصاف وتقاسم الثروة على الشعب وتتخذ من آلية المحاسبة والرقابة والفعل المؤسساتي ميزاناً للحياة التشاركية والتعاونية.
- مكافحة الطائفية وانتهاج سياسة علمانية معرفية والعمل على ترويج ثقافات شعوب الشرق الأوسط لزيادة تماسكها عبر مدارس ومعاهد تعمل على دراسة الإرث الحضاري لها، وفتح المجال الحر للمساهمة في نهضة المجتمع انطلاقاً من وحدة المصير والتعايش السلمي بين هذه الشعوب.
- فتح سبل التبادل الثقافي والاقتصادي والتقني بين شعوب المنطقة والعالم، مما يساهم في تعمير المنطقة ودعمها بكافة السبل لإعمارها ومساعدة المنكوبين للعودة إلى أماكنهم منعاً من تفريغ المنطقة وإرساء لسبل حياتها وأمنها وازدهارها.
- إتاحة مختلف المجالات أمام المرأة للعمل على رفع كافة المظالم التاريخية عنها ومساواتها مع الرجل في كل شيء.
- فصل الدين عن مراكز الدولة وكافة مؤسسات الحياة التربوية والاجتماعية فصلاً شاملاً، والعمل على ترسيخ حقيقة الدولة المدنية الاتحادية.
- محاربة الإرهاب وكافة التصورات التعصبية عبر تنسيق أمني واستخباراتي دولي، والدعوة لمؤتمرات تقف حول شيوع ظاهرة العنف بمختلف أشكاله ومسمياته وضرورة مكافحته فكرياً وعسكرياً.

من هنا يمكن القول أنه وبالوقوف على تلك الحلول والعمل عليها يمكن بروز مستقبل حقيقي واعد لأبناء المنطقة وعبرها يمكن الوصول لأسس رفيعة لحياة راقية، ولا شك أن تطلعات المعرفيين نحو حقيقة الحياة القائمة على الإعمار، هو حاجة تاريخية عبرها تلاقت أفكار وتطلعات ذوي الأقلام المستنيرة تاريخياً، للسير عبرها بالمجتمعات نحو إرساء أسس السلام والديمقراطية.

بعد مرور سبع سنوات على انطلاقة الثورة السورية

لماذا هذا المصير الدرامي؟

إبراهيم اليوسف

لايزال بعضهم يحكم على الثورة السورية، من خلال النتائج التي آلت إليها، وجاء أكثرها طبقاً لما تشدق به أكثر من ممثل للنظام السوري، في ما يخص: هويتها، وطبيعتها، وتوسيع دائرتها، إن لم تتوقف، وغير ذلك، إذ يرى كثيرون أن النظام قد كسب الرهان، من دون إدراك مسائل عديدة، في مطلعها تأخر توقيت انطلاقتها الرسمية بعيد أكثر من ثورة عربية، وإطالة أمدها، الاضطراري، اللاحق، ناهيك عن احتضانها من قبل تركيا، وأسلمتها، بل إن أكثر من غدوا واجهاتها، في أول المؤسسات التي ادعت تمثيلها كانت أولوياتهم الشخصية قبل أولويات إسقاط النظام، وبناء سوريا جديدة لكل السوريين، ناهيك عن فتح أوتوستراد الترانزيت سواء لهؤلاء الذين لم يكونوا ليختلفون مع النظام إلا على مكاسبه، وكرسيه، أو آخرين، رأوا بعد نجاح الثورتين: التونسية والمصرية على نحو خاص - أن عصر النظام انتهى، وما عليهم إلا أن يرموا بأنفسهم من مركبته إلى المركبة الأخرى! مركبة المعارضة، لطالما أن تكلفة ذلك ليس إلا الخروج من البلاد مع أفراد أسرة هذا الأنموذج، والظهور عبر أية وسيلة إعلامية: التلفاز -اليوتيوب -الفيس بوك، بأنه انشقَّ عن النظام، كي يتطهر من آثار السلطة، ويولى الثقة من قبل أولي الأمر الطارئين الذين بدوا يتقبلون المعارضين، وفق موالاتهم الجديدة لأطروحاتهم، وهو ما ظهر في المجالين العسكري الذي لا أحد فيه - أصلاً -من خارج ثقافة النظام، ماعدا استثناءات قليلة، والسياسي الذي كان كل من على سدة المسؤولية، من عداد مسؤولي النظام، وهم شركاؤه في الكثير من الآثام، بل ثمة من لاذ بالخروج عن النظام، لأنه كان مطلوباً منه لقضايا تتعلق بالفساد، أو هرب من أخطار رحى الحرب التي لوحت في الأفق.

مؤكد، أن مثل هذا الحكم لا يمكن أن يعمم، إذ طالما كان هناك من اضطروا لأن يكونوا منتمين إلى حزب البعث، مكرهين، بعد أن أغلق النظام السبل، وثمة من استبعث ليحمي نفسه من بطش -كتبة تقارير - النظام، بعد أن زرعت الأجهزة الأمنية عيونها في المدارس، والدوائر، والأحياء، والشوارع، والقرى، وحتى البيوت، إلا أن تساهلاً كبيراً كان يتم في عمليات احتضان هؤلاء من قبل من تنطعوا لقيادة دفة المعارضة -أي الأخوان المسلمين -ومن قبل بالدوران في فلكهم، بعد أن أبدوا ليونة، ومرونة، وسلاسة، في تعاملهم الجديد مع المحيط، ليوهموا أن ثلاثين سنة من ابتعادهم عن سوريا قد مدنتهم، بحق، ناهيك عن أن صورة بطش النظام الوحشي بالأخوان المسلمين، دعا إلى أوسع تعاطف معهم، بعد أن أقدم النظام على إحراق أخضرهم مع يابسهم، بعيد مجزرة مدرسة المدفعية في العام1979.

حقيقة، إن الثورة السورية أطلقت قبل شرارتها الأولى، التي طالما تشير إليها مدونة الثورة، وذلك لأن الشارع السوري بات في حالة - انتفاضة -أو ثورة -مبيتتين، قبل إطلاق أية شرارة، وكانت وسائل الإعلام تنتظر الولادة الرسمية لبدء الثورة، بعيد تلك الشرارة التي أطلقها البوعزيزي في تونس أواخر العام 2010، وقد ارتعدت إثر ذلك، أوصال آلة النظام الذي كان ينتظر انتفاضة، أو ثورة، محليتين، في مرحلة ما قبل البوعزيزي، بعد أن أعدَّ استبداده لأدوات اندلاعهما، وامتلأت سجونه بالأحرار، وبات الشارع السوري، من أقصاه إلى أقصاه في حالة غليان شديد، نتيجة حالة تدهور حقوق الإنسان، والانتهاكات اليومية التي كانت تتم، ما جعل النظام يشدد قبضته الأمنية، ويجعله معزولاً عن المحيط السوري، وكان كل شيء يدل على أن النظام السوري على وشك السقوط.

هل انتصرت الثورة حقاً:

ثمة من ينظر إلى أية انتفاضة، أو ثورة، من خلال النتائج التي آلت إليها، ولعل هذه القاعدة لا تصمد أثناء قراءة الثورة السورية، وذلك لأن أية معرفة بطبيعة النظام الدكتاتوري تجعل ممن واجهه بصدره العاري، مطالباً بإسقاطه، انتصاراً للثورة، أو نجاحاً لها، لاسيما أن ثمة حالة هلع، أصيب بها النظام السوري، ولما يزل يعاني منها، وأن هذا النظام كان قد سقط، لولا أنه يعيش، الآن، ب"شهادة كفالة" دولية، إقليمية، وما كان له أن يصمد أكثر من مجرد أسابيع، بعد أن تصدع جداره الرهيب، وانهار، ناهيك عن أن أي مواطن سوري، سواء أكان معارضاً، أو منتمياً إلى الموالاة، بات يدرك حقيقة هذا النظام، وهشاشته.

مؤكد، أن لا أحد ممن انخرط في الثورة، السلمية، ليريد أن تهدر قطرة دم، أو يتم النيل من مجرد غصن شجرة، إلا أن النظام السوري، راح يستدرك سقوطه المعنوي، أو الرمزي، بعيد إسقاط تماثيله - من خلال الإقدام على لغة القتل، والدمار، وتفريغ سوريا من أبنائها، إلى الدرجة التي بات نصف سكان هذا البلد، مهاجرين، خارج وطنهم، أو داخله، بعد أن غضت الدول الكبرى عن جرائمه، ووقف بعضها إلى جانبه، بالإضافة إلى إيران، ليكون العالم، بأسره، أمام الدراما السورية العظمى، من دون أن يرف لهذا النظام المجرم أي جفن، بل إنه راح يسوغ جرائمه هذا، من خلال إعلامه التضليلي الذي غدا موازياً لآلة القتل والدمار الرهيبين.

إن مقولة - قائدنا إلى الأبد - انتهت في سوريا، وفي هذا وحده أحد وجوه انتصار الثورة، وهزيمة نظام الأسد، وداعميه. إنه انتصار السوريين، وإن كانت ضريبة الدم، باهظة، هذه الضريبة التي بدا النظام قادراً على ارتكابها، حتى من دون أية ثورة، إن كان ذلك ثمناً لديمومة كرسي عرشه..!

من هنا، إن نجاح الثوة لا يقاس بإنجازها الظفر بكرسي السلطة، ليكون بعض وجوهها بديلين عن النظام، بقدر تحقيقها لمهمتها بإسقاط ثقافة هذا النظام الدموي، الدكتاتوري. كما أن الانطلاق من حجم التضحيات الأليمة التي تمت -وسببها النظام السوري -لا ينفي هزيمة هذا النظام، في عمقه، بل هزيمة الفكر الذي يؤازره، ولايزال، وهي تضحيات باهظة، تقلل من فحوى أي انتصار على هذا النظام الإرهابي حقاً، على عكس ما يروج له عادة - هؤلاء الذين يسترخصون الإنسان، من أجل إنجاح فكرة، ولو وهمية.

في هوية الثورة:

لا يمكن تناول الثورة السورية، إلا من خلال كانت استجابة طبيعية لمطالب أكثر السوريين، ممن عانوا من كابوس نظام حزب البعث، في نسخته الأسدية التي استمرت بضعة عقود، ولما تزل تغتصب السلطة، من خلال مساندة بعض القوى الدولية والإقليمية لها. لقد حددت هذه الثورة السلمية، هويتها، في بداياتها، بعيداً عن المزالق التي تم تمريرها خلالها، عبر اختراقها من الداخل، بما يخدم النظام، عندما تمت محاولة تطييفها، أو أسلمتها، أو حتى عسكرتها. إن مجمل هذه الصبغات الطارئة على الثورة، خدمت نظام الطاغية بشار الأسد، على نحو مباشر، أو غير مباشر، لأنها دعت إلى تشويه صورة الثورة، وكان في تمادي القوى المتأسلمة في تسمية الجمع بأسماء محددة، مستغلين عفوية الكثير من التجمعات التي تمت أمام أبواب المساجد، وهو ما أسهم في كبح التعاطف الغربي معها.

تتحمل الجهات الإسلاموية، مسؤولية اختراق الثورة، وإضفاء الطابع الديني عليها، على ما تم في أكثر من بلد عربي: تونس -مصر، إذ تمت سرقة الثورة من أصحابها الحقيقيين، وما جرى في مصر ألفت انتباه أوساط كثيرة من السوريين الذين انخرطوا في الثورة، ورأوا أنها باتت تعيدهم إلى الوراء، بدلاً من أن تحقق لهم ما ظلموا يحلمون به طويلاً من هنا، فإن ما جرى في سوريا لم يكن إلا ثورة عظمى، قبل أن يتم تحويلها التدريجي، من مساراتها، لتغدو سوريا ساحة حرب، وتصفية حسابات لأطراف دولية، وعربية، وخليجية، كثيرة، كان لكل منها هدفها، من وراء محاولاتها استثمار الثورة، ويمكن الإشارة هنا -بجلاء - إلى من استثمروا تمويل - فصائل الجيش الحر -وإشاعة ظواهر إطالة اللحى، وقتل الأبرياء، على إيقاعات التكبير، ما حدث التباساً كبيراً، حتى لدى ذوي الخطاب العلماني الذي استسلموا أمام ما فرض عليهم، من قبل الممولين، والأخوان المسلمين، الذين كانوا يديرون دفات واجهات الثورة، لاسيما: المجلس الوطني -الائتلاف، من خلال استغلال سطوة المضيف التركي لمقارها الافتراضية، أو الواقعية!

سقوط المثقف:

لم يعتد كثيرون من المثقفين السوريين على ممارسة حضورهم، نتيجة تأثير النظام، على سايكلوجياتهم، إذ إنه لم يكتب للمثقفين فرض رؤيتهم، لما يدور في بلدهم، بالرغم من ولادة أول مؤسسة ثقافية من رحم الثورة، أي: رابطة الكتاب السوريين، أن أعلنت رابطة الكتاب السوريين التي غدت: الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الكرد، انحيازها إلى الثورة، بل انخراطها فيها، شأن رابطة الكتاب السوريين، إلا أن السياسي، الذي استلم زمام الأمور في واجهات الثورة، همش المثقف، وجعله مسوغاً لسياساته، مستغلاً حماس هذ الأخير للثورة، ما جعل بعض المثقفين الذين انضموا إلى هذه الواجهات يتناسون دورهم النقدي، لاسيما بعد أن راحوا يرددون بشكل ببغاوي ما يمليه عليهم السياسي، وهو نفسه السياسي الذي استمد شرعيته إما من قبل: الممول، أو البلد المضيف، وهكذا فقد أحدثت فجوة كبرى ما بين مثقف الثورة وسياسيها..!

وأد روح ربيع الثورة:

بدا الشباب السوري، على امتداد خريطة البلاد وهو يقود مظاهراته التي ترضخ لعنف النظام، باعتباره استطاعته تحطيم جدران الرعب، إلا أن هذا الشباب همش من قبل واجهات المعارضة، إما من خلال إفساد بعض رموزه، أو من خلال عزله، في ما إذا خرج على أطروحاته. كما أنه من المعروف بأن النظام قد أبطش، من جهته بالشباب، إما من خلال جعله وقوداً على حربه على السوريين، أومن خلال استهدافه وهدر دمه إما في الشارع، أو في المعتقلات، أو عبر إرغامه على الهجرة.

ولعل أمراً جد مهم، لابد من الانتباه إليه، وهو أن انقطاع جيل كامل من طلبة المدارس، والمعاهد، والجامعات، ولسبع سنوات متتالية، عن التعليم، سواء أكانوا داخل البلاد، أو في دول الجوار، أو في المهاجر الاوربية، له تأثيره الكبير، كحرب أخرى على السوريين، لاسيما إذا علمنا أن طائرات النظام قصفت آلاف المدارس، والمعاهد، أو جعلتها مقاراً لها، ول"شبيحتها" ول" المرتزقة" المستقدمين من بعض الدول التي آزرته. كل هذا يجعلنا دورة التفاعل الفكري، والسياسي، غير مكتملة، وفي هذا تأثيو الكبير، على مستقبل البلاد، لاسيما أن هناك من اضطروا - من الشباب - للارتماء في أحضان التنظيمات الراديكالية، والإرهابية، أو" التشبيحية" وهم بهذا يشكلون بركاناً خطراً على حالة الاستقرار المنشودة، من قبل السوريين.

ثمة ظاهرة جد خطيرة لوحظت في فضاء الثورة السورية، وهي تفكك المؤسسة السياسية ذات الحضور السابق، إلى جانب تفريخ آلاف الجمعيات والمؤسسات والأحزاب، إذ عمل بعضها ليكون مجرد - سوبرماركت - لتسول أشكال التمويل - أستثني هنا تلك الجمعيات الإغاثية وسواها التي عملت بتفان ونظافة ضمير وأيد -إذ إن -ماكنات هذه الواجهات فرخت بعض الكتل، والتيارات الجديدة، بغرض تمثيلها، وهي بمثابة فروع تعود إلى جذع واحد، ولقد سعى بعض البهلوانات لتأمين مؤتمرات عاجلة، في هذه العاصمة، أو المدينة، أو تلك، يتم خلالها توجيه دعوات لأبعاضهم، باستغلال حماسهم للثورة، أو جمع من أدمنوا حضور المؤتمرات المتناقضة مادام أنه يستطيع تأمين أجرة نقل، وحجز فندقي وغير ذلك، ليمرر مسؤول هذه المؤسسة الوليدة تطويب اسمه، وحاشيته ليكونوا أعضاء في هذه الواجهات، يتكسبون من خلالها، ناسين مهمة الثورة الرئيسة، وقد تمت تزكية بعضهم، في هذه المؤسسات، بالرغم إما من هامشيتهم، أو سوء تواريخهم.

ولابد من الإشارة هنا، إلى أنه لم يتم تشويه الحزب السياسي، وحده، على أيدي بعض ممتهني تجارة المكاسب، وإنما تم تشويه صورة - المجتمع المدني - لاسيما بعد تعويم بعض الأسماء، والحوانيت أو الدكاكين، من قبل الوزارات، والسفارات، العربية، والأجنبية، بحيث باتت هذه المؤسسات الوهمية -من دون أية قواعد جماهيرية خارج دوائر المنتفعين منها، وفي هذا خدمة مجانية للنظام، وحزبه، ومؤسساته، بل إجهاض للعمل المدني الذي كان من الممكن أن نعول عليه، ناهيك عن أن هذه المؤسسات أساءت للمؤسسات المدنية الفاعلة، ذات التاريخ النضالي الناصع..!

الكرد والفيدرالية:

بعيداً، عن الحديث عن تفاصيل القضية الكردية، أو حتى حدود خريطة كردستان، وبعيداً عن توصيف معاناة الكرد السوريين، من قبل النظام السوري، وتناسخ رؤية أوساط واسعة من المعارضة للقضية الكردية عن رؤية النظام، بل إن من بينهم من بات يبز حزب البعث في موقفه من الكرد، بعد الكثير من المحطات التي مرت بها العلاقة بين الكرد وبقية شركائهم في المكان، إلا أنه لابد من الاعتراف أن المعارضة السورية لم تجد التعامل مع الكرد الذين شارك شبابهم في الثورة، وانطلقت المظاهرات المناوئة للنظام من المدن الكردية: قامشلي -عامودا -كوباني -عفرين إلخ، كما أن عدم الاتفاق -كردياً - على مطلب محدد، وصدور بعض التصريحات، والسياسات الخاطئة عن بعض ممثلي المعارضة، في هذا المؤتمر أو ذاك، بل دعم الائتلاف علناً - لغزو عفرين، أدى إلى تعميق الهوة بين السوريين، ناهيك عن تعمقها بين أكثر من طرف كردي، بالرغم من أن هذه الورقة ترى أن المجلس الوطني الكردي -والأحزاب التي تماثله، وإن كانت خارجه، بالإضافة إلى فضائها الجماهيري من يمثلون الأكثرية الكردية التي ترى في الفيدرالية طريقاً لاستقرار سوريا، من جهة، بالإضافة إلى تلبية المطلب الكردي في سوريا، من جهة أخرى، وإقرار كل ذلك دستورياً، وفق ما هو متعارف عليه دولياً، وبرعاية وضمانة دوليين، لاسيما أن لاسبيل على المدى المنظور -من العيش المشترك بين السوريين جميعاً، ومن بينهم الكرد، في حال تحقق مطالبهم الشرعية، كشعب، متمايز، يعيش على ترابه، وهو ليس ضيفاً، كما روج بعض المغالين من الطرفين: النظام السوري وبعض معارضته.!

بحيث باتت هذه المؤسسات الوهمية -من دون أية قواعد جماهيرية خارج دوائر المنتفعين منها، وفي هذا خدمة مجانية للنظام، وحزبه، ومؤسساته، بل إجهاض للعمل المدني الذي كان من الممكن أن نعول عليه، ناهيك عن أن هذه المؤسسات أساءت للمؤسسات المدنية الفاعلة، ذات التاريخ النضالي الناصع..!

الكرد والفيدرالية:

بعيداً، عن الحديث عن تفاصيل القضية الكردية، أو حتى حدود...

.....ص 9.....

تتمـــة: بعد مرور سبع سنوات

خريطة كردستان، وبعيداً عن توصيف معاناة الكرد السوريين، من قبل النظام السوري، وتناسخ رؤية أوساط واسعة من المعارضة للقضية الكردية عن رؤية النظام، بل إن من بينهم من بات يبز حزب البعث في موقفه من الكرد، بعد الكثير من المحطات التي مرت بها العلاقة بين الكرد وبقية شركائهم في المكان، إلا أنه لابد من الاعتراف أن المعارضة السورية لم تجد التعامل مع الكرد الذين شارك شبابهم في الثورة، وانطلقت المظاهرات المناوئة للنظام من المدن الكردية: قامشلي- عامودا- كوباني- عفرين إلخ، كما أن عدم الاتفاق- كردياً- على مطلب محدد، وصدور بعض التصريحات، والسياسات الخاطئة عن بعض ممثلي المعارضة، في هذا المؤتمر أو ذاك، بل دعم الائتلاف علناً -لغزو عفرين، أدى إلى تعميق الهوة بين السوريين، ناهيك عن تعمقها بين أكثر من طرف كردي، بالرغم من أن هذه الورقة ترى أن -المجلس الوطني الكردي- والأحزاب التي تماثله، وإن كانت خارجه، بالإضافة إلى فضائها الجماهيري من يمثلون الأكثرية الكردية التي ترى في الفيدرالية طريقاً لاستقرار سوريا، من جهة، بالإضافة إلى تلبية المطلب الكردي في سوريا، من جهة أخرى، وإقرار كل ذلك دستورياً، وفق ما هو متعارف عليه دولياً، وبرعاية وضمانة دوليين، لاسيما أن لا سبيل على المدى المنظور -من العيش المشترك بين السوريين جميعاً، ومن بينهم الكرد، في حال تحقق مطالبهم الشرعية، كشعب، متمايز، يعيش على ترابه، وهو ليس ضيفاً، كما روج بعض المغالين من الطرفين: النظام السوري وبعض معارضته.!

طمأنة إسرائيل:

لقد كانت إسرائيل المستفيد الرئيس، من كل ما جرى في سوريا، من دمار وقتل، وذلك ما جعلها تطمئن، إلى أن صورة مرحلة ما بعد الأسد- حارس حدودها مع سوريا- باتت واضحة، وهو ما سيجعلها تواصل بناءها الداخلي، ناهيك عن ممارسة سياساتها المعروفة في المنطقة، لاسيما إن سوريا، الجارة، باتت مفككة، في عمقها، حتى وإن لم تتفكك خريطتها التقليدية التي رسمت قبل مئة سنة من الآن، والتهمت أجزاء منها.

إن ديمومة آلة الحرب في سوريا، مقابل ديمومة استمرار نظام الطاغية الأسد، وتشبثه بكرسي السلطة، وإن بشكل صوري، وسيل نهر الدم السوري، على امتداد السنوات السبع، إلى الدرجة التي لم يعد يوجد في أية مدينة، أو حي، أو قرية، أو شارع، وحتى أي بيت، ضحية، ناهيك عن دمار البنية التحتية، وتشكل طبقة اعتاشت على حمل السلاح، وامتهان القتل والتدمير، ناهيك عن هيمنة نزعات الثأر التي تم الاشتغال عليها، من قبل من كانوا وراء الحرب التي تمت، وسببها الرئيس: النظام الدموي، بالإضافة إلى من آزروه، ومن أرادوا في المقابل -تنفيذ أجنداتهم، من دون أي اعتبار للحجم الكارثي الذي يلحق بسوريا، وأهلها، كل ذلك جعل من أي تصور لحالة الاستقرار النهائي غير مجدية. إذ تم إشعال كل النزعات المتناقضة، بغرض إحراق المكان، وأهله، عبر إماتة روح التعايش الجماعي، وجعل كل مكونات البلاد، أقرب إلى حالة التلاغي، بعد أن تم الإجهاز على كل ضوابط الأمان، وهوما جعل النظام -رأس كل بلاء- يتغطرس، ويتبجح، مدعياً أنه لطالما كان وراء ضبط أمن سوريا، بالرغم من أن كل ما بات يظهر على السطح، على حين غرة، لهو من جراء بيات استبداده، الذي اندلع على حين غرة، ما راح يدفع لتكون رؤوس جميع السوريين مطلوبة من قبل جميعهم.

وهنا، فإنه لمن المؤكد أن لا مستقبل لنظام الطاغية الأسد، لكنه لمن المؤكد أيضاً أن حالة الفوضى ستهيمن على امتداد خريطة السوريين، سواء أقسمت، أم لم تقسم، كما أن المدن والأرياف السورية لابد ستتعرض لانزياحات وتغييرات ديموغرافية هائلة، ناهيك عن خسارة سوريا لملايين الأسر، بالإضافة إلى نزيف العقول، ما يجعلنا أمام بلد، ضعيف، لا يمكن تعافيه، حتى بعد مئة سنة أخرى، بسبب هذه السنوات العجاف التي لما تنته بعد..!

دراسة أرمنية:
ضابط كوردي أنقذ مئات الأرمن في أحداث 1915

أحمد عكاش

قامت مجموعة من الباحثين الأرمن، بالتعاون مع مثقفين كرد، بإعداد دراسة لتسليط الضوء على شخصية كردية ساهمت في "إنقاذ مئات المواطنين الأرمن خلال المجزرة التي تعرضوا لها على يد الدولة العثمانية"، ونُشرت برعاية وقف "هرانت دينك"، كما أقيمت ندوة بهذا الخصوص.

الشخصية التي أجريت عليها الدراسة، هي جميل بحري كونه باشا، من أهالي قرية "هوبكا" التابعة لمنطقة عفرين بكردستان سوريا، وبحسب الدراسة، فقد ولد جميل باشا عام 1892 في مدينة حلب، حيث توفي والده في سن مبكر، وتكفلت والدته بتربيته، وبعد بلوغه درس في الأكاديمية البحرية العثمانية وأصبح ملازماً، ثم التحق بكلية الحقوق، وبعد إنهاء الدراسة فيها التحق بالجيش العثماني.

وعندما وقعت مجازر الأرمن عام 1915، كان جميل باشا قائد الجيش العثماني في منطقة رها بكردستان تركيا، وبنفس الوقت مسؤولاً عن مصنع السفن العثمانية، وفي ذلك الوقت قام الجيش العثماني بإشراف جمعية الإتحاد والترقي، بارتكاب عمليات قتل ومقابر جماعية بحق الأرمن على الجانب الآخر من نهر الفرات، بالقرب من مدينتي الرقة وديرالزور بسوريا.

وبحسب الدراسة التي أعدها باحثون أرمنيون، فإن جميل باشا أنقذ المئات من الأرمن الذين جاء بهم الجيش العثماني من جهة ديلوك أوعنتاب كرهائن إلى منطقة رها، حيث قام جميل باشا برعايتهم، ولم يرسلهم إلى الجانب الآخر من نهر الفرات، كما أمن فرص العمل للكثير منهم في المصانع التي كان يديرها، ثم أرسلهم إلى مناطق ومدن أخرى، مثل منبج، سري كانييه، جرابلس، وحلب، إضافةً إلى تأمين الطعام لعدد كبير من الأرمن عن طريق الهلال الأحمر الدولي.

وتزوج جميل باشا من إبنة راهب أرمني اسمها "ديكرانوهي كوليزيان"، ومن المثير للإهتمام أنه على الرغم من أن جميل باشا كان مسلماً، فإن زوجته حافظت على دينها المسيحي، وأنجبا فتاتين وولدين.

وبحسب الدراسة ذاتها، فإن جميل باشا استقر في مدينة حلب بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وافتتح عدداً من المدارس هناك، كما كان يتقن اللغات الكردية، التركية، العربية، الأرمنية، الإنكليزية، والألمانية، ولديه العديد من القصائد الشعرية باللغة التركية، وفي عهد الإنتداب الفرنسي في سوريا، شارك جميل باشا في المقاومة المسلحة بحلب، وتم اعتقاله.

توفي إبن مدينة عفرين ونقل إلى مثواه الأخير في حلب يوم 25 أيار/مايو من عام 1967، ويقول الباحثون الأرمنيون الذين أجروا الدراسة عن جميل باشا في نهاية دراستهم، إنه كما تم إنتاج فيلم عن حياة رجل الأعمال الألماني، أوسكان ستشيندلر، الذي أنقذ المئات من المقابر الجماعية، وحصد الفيلم الذي أخرجه، ستيفن سبيلبيرغ، 7 جوائز أوسكار، فإن من الضروري أن يتم إنتاج فيلم يتناول حياة جميل باشا.

بينوسا نو في حوار ثان مع الشاعر موسى زاخَراني

على هامش نيله جائزة ملانوري هساري

حاورته: رونيدا أحمد

♦ هل تعطينا لمحة عن واقع بيئتك الأولى حيث الأب شخصية مناضلة وطنية معروفة؟

لقد ولدت في قرية على الحدود السورية التركية ، وكما هو معروف فإن مناطق الحدود ذات حركة كثيرة ، حيث كرد سوريا كانوا يذهبون إلى تركيا و كرد تركيا يأتون إلى سوريا ، و الكثير من كرد تركيا كانوا يأتون إلى سوريا هرباً من عنف الحكومة التركية ، وكان هناك الكثير منهم مقيمين في سوريا و لكنهم كانوا يعودون إلى تركيا بعد إصدار العفو عنهم بعد ثورة الشيخ سعيد.

و قد كان ابي رجلاً قروياً غير متعلم محب لوطنه ، وكان يساعد كل شخص كردي ، و يعمل من أجل الكرد ، وكان يقوم بأعمال عدة من أجل كردستان سوريا و تركيا و العراق، على سبيل المثال كان لطيف شاكر يحمل القنابل من الحدود التركية ثم كان أبي يأخذها إلى بيشمركة كردستان العراق مثل عيسى سوار و مير حاج و أسعد خوشوي ، و بقي في كردستان العراق عدة أشهر يعلم البيشمركة كيفية زرع و إزالة القنابل ، وأول دبابة تم تفجيرها في زاخو للجيش العراقي كانت القنبلة مزروعة على يد والدي ، و كان يأتي مع الصحفيين الذين يأتون إلى كردستان العراق ، و لم يكن متعلماً، و لكنه كان يجيد الكلام كالمحامين ، و كانت له عدة أسماء مثل أوسكي قوب(أوسكي الأعرج)، أوسكي زاخراني ، رجل المهامات الصعبة ، المهندس الأمي.

♦ بداية تشكل الوعي لديك ؟

عندما تشكل حزب البارتي في سوريا عام 1958 في الشهر السادس ، التحق أبي بالحزب في نفس السنة في الشهر التاسع ، و كانت للحزب زيارات كثيرة إلى بيتنا ، حيث كانوا يأتون و يختبئون عندنا و كان منهم الكثير من المسؤولين ، منهم: أوصمان صبري ، حميد حجي درويش ، حيث كان أبي يساعدهم في أخذ الرسائل إلى كردستان تركيا و العراق و يساعدهم كي يعبروا الحدود ، حيث كان شجاعاً ولا يخشى الحكومة ، لذا فقد كبرت في بيت كهذا و كبر معي حبي للكرد و كردستان ، وأعتقد أن أبي قد سماني باسم موسى نسبة إلى موسى عنتر ، حيث كانت علاقته بأبي قوية.

♦ ألا ترى إن الهم السياسي هيمن على الهم الثقافي لديك ؟

يوجد اختلاط كبير بين السياسة و الثقافة حيث إنهما جناحان لا يستطيعان الطيران إن لم يكونا سوية.

♦ أنت الآن في كردستان الحرة ماذا عن مشاعرك و أحاسيسك ؟

عندما كنت صغيراً كان أبي يستمع إلى الراديو و إلى بث الاذاعات الكردية خاصة ، ويقول لي أن أقف أمام باب الدار إن أتى شخص غريب لأخبره كي يخبئ الراديو ، أما الآن فهناك مئات القنوات الكردية على التلفاز و الراديو ، ونتكلم بلغتنا ، و نرى العلم الكردي يرفرف أمام أعيننا ، فها هي كردستان الحرة.

♦ قامشلو مدينتك التي عرفت نضالك، كيف تنظر إليها الآن؟

لقد كبرت و تعلمت في قامشلو ، فلم يبق شارع من شوارعها إلا و قمت بإعداد الندوات فيها أو تمشيت فيها أو كان لي أصدقاء فيها ، فكيف لي أن أنساها ، و قد أعددت شعراً عنها:

قامشلوكا من شاري أفيني	خشكا جزيرا ممو زيني
سوندي دخم أز ب وي ياسيني	موسى تا نادي بي وي برليني
قامشلو بازاري منا	باريس و لندن لبر وي جنا

♦ كيف بدأت تجربتك الكتابية ؟ و ما هي أول قصيدة لك ؟

منذ الصغر كنت أهتم بالدراسة، حيث أتذكر يوماً كنت في تركيا و عدت في

الصباح الباكر لأذهب الى المدرسة حيث خاطرت و عبرت الحدود و القنابل من أجل المدرسة ، لذا فمنذ الصغر أحببت الدراسة ، ففي الصف التاسع درست كتاب العلوم أربع مرات ، و مرة كتبت رسالة الى صديقي عندما كنت في الصف التاسع ، قلت فيها:

صديقي وجدين و رفيقي المعين

لله نعبد و به نستعين

بعد أن دق جرس الامتحان من الرنين

ليفرحَ الطلابَ الأعزاء المتفوقين

أطلب منك كتاب الديانة القرآن المنزل على مُحَمَّد سيد المرسلين

فقال لي هذا شعر ، قلت رسالة على شكل شعر. و كانت هذه تجربتي الأولى

♦ ماذا لديك من جديد ؟

حالياً لا أحب الشعر إلا أن الشعر و القافية لا يتركانني ، أحب أن أقرأ الروايات. الفكر الفلسفة ، كنت أود أن تكون لي بصمة في الشعر الكردي ، لذا قرأت الكثير الكثير من الأشعار الكردية و غير الكردي ، و كنت أجري بمسابقات للشعر و كنت الأول في أغلبها ، و لكي تكون لي بصمة أود أن أقوم بتأليف كتاب للشعر يكون فيه بيت باللغة الكردية و البيت الآخر بالعربية و بنفس الوزن مثل:

Min li ser dêmê te danî قل هو الله أحد

Lê li ser lêva xwiya bû لم يلد و لم يولد

Wek di çava de dibînim ما له كفواً أحد

آقبلت نحوي وقالت

Ez even dara te me

قلبك شمس فؤادي

Ez gula destê te me

طالما إني أعيش

Ez jibo cavê te me

ولم يكتب أحد بهذا الشكل ، وأعتقد أن هذه بصمتي في الشعر ، ولدى تقريباً ديوان كله مكتوب على علب الدخان وأود جمع قصائدها في ديوان وتسميتها بقصائد إنسان على ورق علب الدخان.

♦ كيف تنظر إلى واقع القصيدة الكردية سواء تقليدية أو نثرية ؟

برأيي كل إنسان شاعر ، و لكن منهم من يكتب و منهم من لا يكتب ، لأن الشعر يعني شعور ، و الشعور متواجد عند الجميع. القصيدة الكردية هي كالكرد بنفس واقعهم ، و أنا أفضل القصيدة الكلاسيكية ، لكني أحترم كل أنواع الشعر و كتبت جميعها.

♦ هناك من يقول إن زمن الشعر قد انتهى، و إننا نعيش زمن الرواية، بماذا تعلق على هذا الكلام؟

لقد دخلت الفوضى في الروايات ، لكن الشعر باق مادام الحب باقياً و الربيع باق و الفرحة باقية.

♦ هل تكتب في مجالات أخرى غير الشعر , الرواية مثلاً او القصة القصيرة ؟

لقد كتبت عدة قصص ، عنوان إحداها (سالا بي قدوش) و لدي مشاريع قصصية أخرى ، إلا إن الشعر يبعدني عنها.

♦ كيف تنظر إلى النقد الأدبي ؟

لا يوجد عند الكرد نقد ، فهم لا يتقبلون النقد ، حيث لا يوجد للنقد مدارس أو أشخاص ، لكن بالنسبة لي فأتقبل النقد على أشعاري ، والنقد يدفعني إلى كتابة أشعار أفضل.

♦ هل ترى أن النقد قد أنصف تجربتك الإبداعية ؟

يوجد لدي قصيدة بعنوان (دو تشت) قام الكاتب خالد حسين من زاخو بنشرها في كتابه ، حيث قام بقراءتها (قراءة في قصيدة) و وصفها و نقدها بأسلوب جميل.

♦ قصيدة في الختام ؟

أشرقت عند الصباح تنشر عطر الصباح

بعيون كأسود استعدت للقتال

و خدود ناظرات كل خد فيه خال

قدرة الله تجلت في عيونك يا غزال

و كفى الله القلوب شرّ الرمي بالنبال

ها أنا أغزل وحدي لك تيجان الخلود

أنت و الله أميرة والحسود لا يسود

حوار مع رئيس المهرجان المتوسطي الدولي للتصوير الفوتوغرافي

الياس مهراز

- اتمنى ان نستضيف كوردستان في دوراتنا القادمة كضيف شرف، وشكراً لجهودكم
- رغم إختلاف ثقافاتنا فإننا متوحدون تحت إطار فن التصوير الفوتوغرافي

حاوره: بدل رفو

إلياس مهراز رئيس جمعية طيف للصورة ومدير المهرجان المتوسطي الدولي للتصوير الفوتوغرافي بمدينة شفشاون ، وعضو الاتحاد العالمي للتصوير الفوتوغرافي GPU ، وتجدر الشارة إلى أن إلياس مهراز حاصل على العديد من الشهادات ، من بينها الإجازة المهنية في "السياحة البيئية والتنمية المستدامة" ، وشهادة الماستر المتخصص في "السياحة المسؤولة والتنمية البشرية" ، وماستر جامعي تخصص "تدبير التراث من خلال الجماعة الحضرية" بجامعة قرطبة - إسبانيا. وفي إطار تطوير تجربته ومهاراته الفنية استفاد ، أيضاً ، من العديد من الدورات التدريبية والتكوينية في فن التصوير الفوتوغرافي ، كما كانت له مشاركات في معارض للتصوير الفوتوغرافي في معارض بالمغرب واسبانيا وتونس ومصر...

والحديث مع الفنان الشاب مهراز وقدراته في لم شمل المبدعين من العالم من المصورين الفوتوغرافيين ، وحديثي له عن الكورد وفنونهم ، وأن نشيد معاً جسراً ثقافياً فنياً بين المغرب وكوردستان ، وقال لي بالحرف الواحد: يسعدني أن نستضيف كوردستان في الدورات القادمة كضيف شرف. وكان لنا هذا الحديث معه:

▲خلال إحدى مهرجانات المدينة للتصوير الفوتوغرافي لاحظت غياب الفنان المغربي الشفشاوني ؟

بالنسبة لي أرى بأن الفنان الفوتوغرافي المغربي الشفشاوني حاضر في العديد من الملتقيات والمهرجانات التي تعني بالتصوير الفوتوغرافي بالمدينة ، لاسيما وأن المدينة عرفت في السنوات الأخيرة بإهتمام كبير جدا من طرف الفنانين بفن التصوير الفوتوغرافي .

▲ما علاقة الجغرافيا بالفن والتصوير الفوتوغرافي ؟

الجغرافية من بين العلوم التي تدرس بها العديد من المجالات المختلفة كالمناخ والتضاريس والبيئة والصورة الجوية... والتي لها علاقة جد وطيدة بالتصوير الفوتوغرافي خاصة وأن أهم أنواع التصوير الفوتوغرافي يسمى بتصوير الطبيعة والذي يدرسه الطلبة في تخصص الجغرافية من الناحية العلمية هذا بالإضافة لموضوع الصور الجوية التي نجد بأن الطالب مطالب بعمل مقاربة بين صورتين من أجل تحديد مجال جغرافي معين ، وكل هذا يلتقي في الأخير بعشق الطالب لفن التصوير الفوتوغرافي الذي يحول ما يدرسه إلى ميول فني متميز.

▲ما سبب عدم تجاوز أعمال الشاونيين المدينة العتيقة؟

ربما يمكننا القول بأن أغلب أعمال الفنانين الشفشاونيين تظهر جمالية المدينة العتيقة بعدسات مختلفة ، فأنا أرى العديد من الأصدقاء الفنانين من مدينة شفشاون قد قامو أيضا بإعطاء إهتمام واضح لتصوير الطبيعة.

إحدى القناطر في المدينة القديمة بعدسة الياس

الياس مهراز يتحدث للكاتب بدل رفو

▲ماذا يعني الإبداع عند إلياس مهراز ؟

الإبداع بالنسبة لي هو بمثابة فلسفة يجب التبحر والتعمق فيها من أجل إنتاج أفكار جديدة ، وكذلك خلق مبادرات تتماشى مع كل ما يتعلق بالحياة الفنية للإنسان ، أطمح من أجل الوصول إلى تفكير إبداعي متميز في المستقبل.

▲كيف تفهم الأبعاد الثقافية والجمالية للصورة الفوتوغرافية؟ وهل لهما الدور والتأثير على المجتمع ؟

بالنسبة لي كفنان أرى بأن لكل صورة فوتوغرافية بعد ثقافي وجمالي تتميز به ، فتحليلي للصورة ضروري من أجل فهم هذه الأبعاد والتي تقربنا أكثر إلى معرفة الصورة وذلك من خلال التمعن والقراءة الجيدة للصورة الفوتوغرافية وتحليلها بمنطق الملاحظة ، وبالتأكيد لهذه الأبعاد الدور والتأثير على المجتمع من خلال النوع الثقافي والجمالي الذي تعالجه الصورة الفوتوغرافية وكذلك حسب الهدف والرسالة التي تحملها هذه الصورة الفوتوغرافية .

▲رغم العدد الكبير للمصورين الفوتوغرافيين في مدينة شفشاون فهل تمكنت الصورة من إضافة شئ إلى الفنون في المدينة والبلاد ؟

إن مدينة شفشاون تتوفر على عدد جيد ومهم من عشاق التصوير الفوتوغرافي خلال الآونة الأخيرة ، والتي بفضلهم عرفت المدينة على نوع من التطور السياحي وكذلك الاقتصادي ، وأيضا بروزه كفن له مهتمين بالساحة الوطنية أمام الفنون الأخرى ، فأنا أشيد بأهمية هؤلاء المصورين الذين سوف يكون لهم شأن عظيم في تطوير فن التصوير الفوتوغرافي على الصعيد الوطني بالمغرب.

▲هل تلعب الكاميرا الرقمية إضافة إبداعية الى ابداعات المصور؟

الكاميرة الرقمية هي وسيلة للإبداع ، فهي إضافة جداً مهمة من أجل إنتاج الأفكار الإبداعية في فن التصوير الفوتوغرافي ويجب على الفنان الفوتوغرافي أن يحسن إستعمالها.

▲ما هو سبب غياب النقد على فن التصوير مقارنة بالفنون الأخرى ؟

إن غياب النقد في فن التصوير الفوتوغرافي مقارنة بالفنون الأخرى يبين لنا بكل وضوح أن هذا الفن مازال في الطريق إلى التطور والاحتراف ، لأن أي عمل فني يتعرض للنقد فهو عمل له مميزاته وبهدا مازلنا في بداية الطريق لكي نجد النقد المكثف على كل الاعمال الفنية.

▲ما الذي أردت أن تقوله عبر رئاستكم للمهرجان الدولي للتصوير الفوتوغرافي ؟، وماذا كانت رسالتكم ؟

إن إدارتي للمهرجان أتت برسالة واضحة وهي ضرورة الاهتمام بفن التصوير الفوتوغرافي وجعله فن قائم بذاته وكذلك جعله ثقافة بصرية يتتبعها من له الرغبة في مزاولتها وكذلك إعطاء فرصة للمواهب الصاعدة في التكوين والتمرس المهني الجيد وجعله فنا مقننا من طرف المؤسسات العمومية والخاصة بالمغرب .

▲ما هي المواضيع التي تطرقونها في التصوير ؟

نحن كجمعية نتطرق إلى العديد من الانواع الخاصة بالتصوير الفوتوغرافي ، ونهتم كثيرا بالتصوير الليلي لما يتميز به من دقة في إستعمال التقنيات والأدوات الخاصة بالإضاءة ، وأيضا نهتم بتصوير الطبيعة وتصوير البورتريه وتصوير الحياة اليومية بالمدينة العتيقة.

من أعمال الياس مهراز

▲ما مدى تعاملكم مع الضوء والظل والموضوع ؟

ـالضوء والظل من بين أحد العناصر المهمة في بناء العمل الفني وبعدها يأتي دور الموضوع الذي يعطي للصورة الأهمية الثقافية والجمالية وبهذا يمكنني أن أقول لك بأنني شديد الحرص في التعامل مع هذه العناصر في إنتاج الصورة الفوتوغرافية وبالنسبة لي أيضا فعامل الزمن والمكان يمكنان الفنان من التحكم بهذه العناصر.

▲ما هو دور الطبيعة بين أحضان عدستك ؟

أنا أحب تصوير الطبيعة وأعشق السياحات التصويرية إلى المناطق الجبلية والمناطق التي تتوفر على تضاريس جغرافية طبيعية ، وأنا في الطريق لإنجاز مشروع يخص التصوير الفوتوغرافي يهتم بموضوع الطبيعة.

الفنان الياس مهراز خلال إحدى أعماله

▲هل هناك الدعم الكافي لفن التصوير الفوتوغرافي بالمغرب ؟

فن التصوير الفوتوغرافي عرف نوع من الحراك في الآونة الأخيرة بالمغرب ، ونحن نبحث عن من يدعم هذا الفن من داخل المغرب ومن خارجه ، فأنا أتطلع من المؤسسات العمومية والخصوصية إلى الاهتمام بالشباب الهاوي للفن ودعمهم عبر خلق معاهد ومدارس متخصصة في تكوين فن التصوير الفوتوغرافي.

التصوير الفوتوغرافي بالمغرب ،أعشق أن أكون عالميا ولاكن أريد أن يصل صوتي لجميع الفنانين الفوتوغرافيين

▲هل تبحث كاميراتك على الخلود ؟ وهل تعشق العالمية ؟ أو تعتبر نفسك عالمياً ؟

إنا أبحث عن تكوين قدراتي العملية والتقنية والفنية والجمالية في فن التصوير الفوتوغرافي ، وأبحث على ابتكار وإبداع مهرجان دولي قادر على خلق فضاء للتواصل بين الفنانين المحترفين والهواة والرفع من شأن بالعالم بأننا رغم إختلاف ثقافاتنا فإننا متوحدون تحت إطار فن التصوير الفوتوغرافي.

من أعمال الياس مهراز

▲لماذا أنت دائماً مع حكيم عزوز ؟

الأخ والصديق حكيم عزوز هو إبن الحي الذي أقطن به ، وأنا أعتز بصداقته لكونه دائم النصيحة والتوجيه لي في مساري الفني والجمعوي ، و أيضا العضو الشرفي لجمعية طيف للصورة ، وكونه أيضا تجمعني به العديد من الأعمال الفنية خاصة المتعلقة بتصوير الفيديو ، وأيضا لكونه من المهتمين بفن التصوير الفوتوغرافي بمدينة شفشاون .

من أعمال الياس مهراز

جدران المدينة بعدسة الياس مهراز

▲هل سمعت باسم الكورد ؟ وهل رأيتهم ؟ وكيف رأيتهم ؟

ـ كل ماسمعت عنهم كان عبر وسائل الإعلام ، خاصة القنوات الإخبارية التلفزيونية ، والحروب التي عاشوها ويعانون منها لحد الان ، ومؤخرا تعرفت عليك واسعدني كثيرا الجلوس والنقاش معك بعد زياراتك المتكررة لنا بمدينة شفشاون ، وصراحة من دون زيف رأيت فيك طيبوبة سكان الاكراد وكذلك نبل أخلاقهم ، وأنا أتشرف كثيرا بمعرفة المزيد حول الكورد ويشرفني ان استضيف الكورد على درب جسركم الثقافي في المهرجانات والدورات القادمة وشكرا لكم .

من صور المدرسة القديمة بعدسة مهراز

شعار المهرجان الدولي الذي ترأسه الياس مهراز

مدينة تطوان بعدسة الياس مهراز

كشف أدبي: من دمشق إلى شيكاغو

رحلة أبي خليل القباني إلى أميركا 1893 (5)

عمر المسرح الكردي أكثرمن قرن

تيسير خلف

الرجل الرصين ذو المعطف الطويل

ويتابع وصفه "أصدقاؤنا ليسوا أفضل من يعزف الألحان، فغناؤهم فيه تكرار، ولكنهم يؤدون مهمتهم بقوة؛ من روزا التي تتبختر حاملة العلم العثماني على كتف والعلم الأميركي على كتف أخرى، وتلوّح للجمهور مبتسمة، وحتى سعد الصغير في الخلفية، والرجل الرصين الذي يرتدي معطفا طويلا بالقرب من روزا، حيث يؤدون لحنا غريبا على نحو غير مألوف. وكانوا يرفعون أصواتهم. ويشبه صوت روزا بحدته صوت القربة الأسكوتلندية غير المتناسق.. التخت الموسيقي تكوّن من القانون والدفوف، تلا ذلك عزف النشيد العثماني الذي صدح بصوت أعلى، وابتسم الجميع وهم يرددونه، وربما كان مبعث بهجتهم أنهم يتقنونه أكثر من إتقانهم للنشيد الأميركي. وكانت روزا تلوّح بالعلم التركي بحماس وعنفوان."

ولا شك في أن المراسل كان يقصد أبا خليل القباني عند حديثه عن "الرجل الرصين ذي المعطف الطويل". فتأدية النشيدين الأميركي المترجم للعربية والعثماني هو نوع من التكريم الخاص لرائدنا، الذي كان يقف خلف هذا الإبهار المسرحي.

ويضيف مراسل "بيتسبيرغ ديسبيتش" القول إن "الستار أسدل وسط تصفيق وإعجاب الجمهور، والذي شاركهم فيه الممثلون أنفسهم. ولكن؛ حالما أسدلت الستارة تم رفعها مباشرة، ليبدأ عرض تؤديه ثلاث فتيات ورجل يعزف على القانون إضافة إلى عازفين على دفين وعود. كان الجميع يرتدون مختلف الأزياء الشرقية المتنوعة التي تنتشر في الدولة العثمانية. من الزي الألباني إلى الدمشقي والمقدسي ومن نواح أخرى بعيدة..

إحدى الفتيات كانت ترتدي قميصا طويلاً داكناً وصدرية بيضاء وسترة حمراء ثقيلة مطرزة بالذهب، وكانت تعتمر قبعة يتدلى منها إلى الخلف منديل أبيض. كانت هذه السيدة من بيت لحم، وكان لباسها، باستثناء المنديل، يشبه لباس الفتيات الأخريات. وكان الرجل الذي يصحبها يرتدي معطفا قصيرا ويلف رأسه بكوفية تكاد تخفي وجهه. وبآلاتها البسيطة عزفت الفرقة الموسيقية كافة المقاطع الموسيقية المرافقة للمسرحية، وكانوا بين الفينة والأخرى يعودون إلى نفس النغمة التي كانت تتردد بشكل متواصل:

دو / صول / صول / صول / فا / لا / صول.

هذا اللحن كان الثيمة التي تكررت طوال المسرحية، من أغاني روزا العاطفية إلى النهاية التي غنتها سعاد.. وكان الموسيقيون أيضا يرددون الغناء في مقدمة المسرحية، وكانوا جميعا يتنافسون في إظهار أصواتهم، وكانت هذه المنافسة تشبه الحياة على نحو ملحوظ، إذ من دون بذل الجهد لن تحظى المسرحية بنيل الاهتمام. تسدل الستارة مرة أخرى فيستقبلها الجمهور بالتصفيق."

أوبرا حديثة

وفي تلخيصه للقصة يقول المراسل "الفصل الأول يظهر فيه رجال من قبيلة العاشق الذي دعاهم لكي يختطفوا محبوبته، كانوا حوالي 25 شخصا جميعهم لافتون للنظر، ذوو شوارب واضحة وأثواب شرقية طويلة، ويحملون بيارق خضراء وسيوف. وعبر الحديث الصاخب وترديدات الكورس نسمع حوار والد العروس وبطل المسرحية. ويردد الكورس في حوار متناغم مع البطل هذا الحوار:

-محمود (مسعود): هل سأفوز بتلك الفتاة؟

-يرد الكورس: هل سيفوز بتلك الفتاة؟

-يقول الأب: الأمر ليس بيدي.

(يخرج الأب وتظهر مجموعة من الأشقياء وهم يشهرون سيوفهم)

ويعلق مراسل "بيتسبيرغ ديسبيتش" على المشهد السابق بأن أسلوبه بدا "أشبه بالأوبرا الحديثة."

ويتابع وصفه "في الفصل التالي يمكنكم تأمل آلام عبلة الجميلة (التي تقوم روزا بأداء دورها). قلب عبلة متعلق، بطبيعة الحال، بحبيبها، تدخل إلى الخشبة مشبوكة اليدين وتغني بثقة وهي تتمختر جيئة وذهابا، ثم تسرد لصديقتها مدى حبها وآمالها وخططها المستقبلية، أو على الأقل هكذا يقول السيد أنطونيوس، وتظهر صديقتها الحميمة وكأنها تعطيها نصائح سيئة.. وحالما استغرقت الفتاتان ببهجة لإيجاد حل لهذه المشكلة العويصة، يظهر فارس عربي وسيم ليغازل عبلة وهو يحاول التحرش بها بعنف. تقف عبلة وتوجه إلى صدر الشاب المصرّ لكمة تطرحه أرضا وسط تصفيق حاد من الجمهور. تنظر عبلة إلى ما حصل، وتنسحب، هي وصديقتها، تاركة العاشق المتيم يبرر هزيمته للمتفرجين."

أبو خليل القباني

رائد المسرح في بلاد الشام

وهذا المقطع يشير إلى الروح الكوميدية التي تسم العروض وأن خشبة المسرح كانت متاحة للتفاعل بين الجمهور والخشبة، وهو أمر يبدو مستهجنا عند المسرحيين والنقاد الأميركيين الذين كان بعضهم يبدي في كتاباته التزاما بالقواعد الصارمة للعلبة الإيطالية.

ويتابع المراسل وصفه للعرض "في هذه الأثناء تدخل القبيلة كاملة، ويظهر الأشرار الثلاثة بالتتابع، وهنا فاتني الكثير من الحوار، إذ أنني لا أعلم بالضبط من هو المتهم. ولكن، في أي حال، فالشاب الضخم الأسود كان يبكي بمرارة، ويصيح: زوجتي، اللعنة، آه. ويبدو أن الأشرار الثلاثة كان لهم دور في مصيرها السيء، خاصة حين سمع الشكوى وأمر بتقييدهم وأخذهم إلى السجن، والجنود تم إكرامهم بحفل بهيج بالرقص والغناء بعد أن أدوا واجبهم في ساحة الوغى."

ثم يصف المعركة التي اندلعت على الخشبة بأنها مدهشة وممتعة، إلى أن "يظهر البطل بسرعة شاهرا سيفه، وبسرعة ينجح في ما فشل فيه الآخرون، فيصرع خصمه بسرعة، ويقبض الحراس الثلاثة على الشقيين المتبقيين."

بعد ذلك يصف دخول ساحرات ثلاث إلى الخشبة وهن "يمسكن بأيدي بعضهن البعض ويرتدين عباءات فضفاضة طويلة بنية اللون، عليها نقوش هيروغليفية، ويرتدين بأرجلهن خفافا صفراء، وعلى رؤوسهن أغطية حمراء وتعاويذ بيضاء جعلت وجوههن البنية تبدو سمينة تشبه لوحات الرسام الإيطالي تينتوريتو بلون أصفر شاحب خال من أي تعابير، شكلن حلقة وبدأن يغنين بأصواتهن الجُشّ، ويطلقن صرخات على أنغام الموسيقى. كان هناك راقصون بالسيف والترس، ومشعوذ يحضّر خلطاته في الهاوُن."

ويلفت مراسل "بيتسبيرغ ديسبيتش" أنظار قرائه إلى أن "كل هذه الأمور رمزية. وبمنتهى الذوق تم إخفاء العازفين في الكواليس"، مستدركا بأن "النسوة الثلاث أطلقن صرخة، فهرب جميع المقاتلين، وبدأن يؤدين حركات بالأيدي على طريقة دلسارت وأسدلت الستارة."

ويتابع المراسل وصفه اللافت "قرع الجرس مرة أخرى وخرج صف طويل من الموسيقيين، ولكن هذه المرة تمت إضافة الكمان، وعلى قرع الدف الذي قامت به ماري لزمة خرج فارس ألباني يرتدي تنورة بيضاء وجوارب ذهبية وسترة حمراء مخططة، وطربوشا وخفا مرصعا بالذهب، وقاد فتاة ترتدي تنورة حمراء مخططة وجاكيتا أحمر وقميص دانتيل أبيض وقبعة فضية ولف يديه على كتفيها وسارا مثل طفلين يسيران إلى المدرسة جيئة وذهابا عدة مرات، وكانت هذه رقصتهما.. بعدهما أتت الفنانات اللواتي يؤدين رقصات تراثية. لا أعلم ماذا أطلقوا على رقصتهن الأولى، ولكنني سميتها رقصة الكتف، أدتها طيرة الأطول والأنحف بين نساء الفرقة. كانت ترتدي ثوبا أحمر ضيقا، وتتنزنز بزنار، وترتدي جاكيتا مطرزا، وصدرية سميكة وردية اللون تغطيها بشال موسلين أعتقد أنه من التراث الغربي."

ويعلق المراسل بالقول إن "هذا الشال لم يكن موجودا أصلا، ولكن بسبب التحفظات تمت إضافته إلى كل النساء الـ15 اللواتي يشاركن في الفرقة". ومن المحتمل أنه كان يشير في هذه الفقرة إلى الحملة ضد الرقص الشرقي، أو إلى التحفظات المتعلقة بالتقارير الأمنية المرفوعة بالفرقة!

ويبدو أن الفنانة أستيرا الحكيم، الشهيرة باسم طيرة استحوذت على اهتمام المراسل الذي كتب "لم أر أي رقص يشبه رقص طيرة، لقد كانت قصيدة بايرونية (نسبة للشاعر بايرون) أقوى من الكلمات.. من دون أي تعبير على وجهها البني الجميل أو عينيها السوداوين الناعستين، أدت حركات أغرت عشيقها الذي تروي حكايته على طريقة دلسارت."

ويتابع إطراءه بشكل لافت للنظر "لا تستطيع كلارا موريس أن ترتعش، ولا سارة بيرنار أن تهز أكتافها، أو هاريت رسل لا تستطيع أن تحرك شفتيها، ولا يستطيع دافن بورت معانقة الهواء، ولا تستطيع ليليان رسل القيام بالإيحاءات بالذقن والرقبة كما تستطيع طيرة.. ثمة المزيد، ولا أستطيع القول إن كان لديها أسراب من الطيور الصغيرة مخبأة في صدرها، أم أن قلبها فقط هو الذي يتحرك كما تشاء. كانت لديها طريقة خاصة بطرق الأصابع ظننتها للوهلة الأولى صنجات. المواهب التي تتمتع بها طيرة لا شك عديدة ومتنوعة."

ثم يصف الرقصة الدمشقية، ورقصة روزا التي يشيد بها بوصفها "فنانة متعددة المواهب على أفضل مستوى فهي ممثلة ومغنية وراوية وراقصة"، ثم يقول إن روزا وطيرة "نجمتان على مستوى رفيع". مشيرا إلى أن طيرة "بدأت بالرقص في سن العاشرة وكانت تجني في الأسبوع ما يعادل 150 دولارا أميركيا."

ويختم مقاله بالقول إنه بعد العرض الذي استمر ساعة ونصف الساعة، ذهب إلى خلف الكواليس، حيث عرّفوه على روزا وطيرة والسيدة ماري من بيت لحم، وبقية أفراد الطاقم، والذين كانوا يرتدون ملابس التمثيل وهم يبتسمون. ثم يعدد أسماء فنانات الفرقة الباقيات؛ لطيفة خصكية، ونجمة الفرقة ملكة سرور، وسارة، وجينفياف، وأجاني، وجميلة، وبمبا، وهالة، وهنا وباقي الأحرف الأبجدية.

هارون الرشيد

المسرحية السادسة في البرنامج بعنوان "هارون الرشيد"، وهي تختلف عن مسرحيات هارون الرشيد الأخرى التي كتبها القباني سابقا، مثل "أنس الجليس" و"قوت القلوب"، ويبدو أنه اختار هذا التفصيل من سيرة الخليفة العباسي بما يتناسب مع التوجهات الفلكلورية المرسومة للعروض، ومن الواضح أنه أراد إدخال عنصر الدراويش، نظرا لما ينطوي عليه من إيحاءات فلكلورية تتناسب مع التوجهات الأنثروبولوجية للعرض.

وكالعادة يفتتح العرض بملخص عن الحوار، ثم فرقة موسيقية تقدم وصلة غنائية قبل الدخول..... يتبـــع

سلسلة "النمسا بعيون كوردية"

زيارة إلى دار العبقري الموسيقار هايدن

الموسيقى والحياة والنشيد الوطني عبر قرون في متحف "آيسن شتات"

بدل رفو

الموسيقار والملحن النمساوي الخالد "فرانس يوسف هايدن" مواليد 1732م ، بلدة روهراو في النمسا السفلى ، وودع الحياة في فيينا عام 1809م. لقد كان ملحناً ذو طابع متميز في زمن فيينا الكلاسيكية ، ينحدر الموسيقار من عائلة تعشق الفن والأدب حيث كان أخاه أيضاً ملحناً موسيقياً.

أمضى فترات من عمره موسيقياً لبلاط الأمير "استر هازي" وفي هذا البلاط قاد الأوبرا والأوركسترا ، وكانت موسيقى وألحان هايدن ذو طابع خاص وتختلف كثيراً عن ألحان زمنه ، ولذلك قالوا عنه بأنه منفصل عن العالم. لقد قام بتطوير السمفونيات وله أكثر من 80 مقطوعة رباعية ومنها: الطائر ، إشراقة الشمس ، الامبراطور ، وأما إحدى روائعة التي يرددها أحياناً الشعب النمساوي وهي النشيد الوطني "ليحفظ الرب القيصر" وقد كان يردد لغاية نهاية الامبراطورية النمساوية عام 1918م ، ولكن ظل اللحن وبكلمات أخرى أخذه الألمان واليوم هو نشيدهم الوطني ومن ألحان هايدن.

النشيد الوطني فترة الإمبراطورية النمساوية

انتقل هايدن بالموسيقى النمساوية والحانها الى لندن وكان ذو نشاط كبير في تلك البلاد التي تعشق الثقافة والفنون وكتب هناك عدة سمفونيات ، ولكن ظلت فيينا عشقه الكبير وشغله المهم ، ويرجع إلى فيينا وللعلم بأن الموسيقار العبقري "بيتهوفن" كان أحد طلبته.

تنوعت أعمال الموسيقار هايدن مابين الأوركسترا والسموفونيات والأوبريتات والأعمال الدينية والتي احتلت مكانة كبيرة عنده ، ويعدها من الأعمال الجادة والقريبة إلى روحه ويتوغل إلى الموسيقى الدينية مع الموسيقى الكلاسيكية

دار العبقري الموسيقار هايدن

دار متحف هايدن في مدينة "آيسن شتات".. زيارة إلى أحضان دافئة للموسيقى الكلاسيكية وأعمال وأثاث وتاريخ الفنان الخالد هايدن ، وبالرغم من أن للفنان الموسيقارهايدن متحفاً في العاصمة فيينا وهي الدار التي قضى فيها الفنان سنوات أواخر عمره ، إلا أن داره في مدينة آيسن شتات له نكهة خاصة ، ويربط اسم المدينة بـ هايدن ارتباطا وثيقاً ، وهي الدار التي قضى فيها الفنان 12 عاماً ، وكما تسمى بالدار الباروكي في آيسن شتات والتي غدت علامة بارزة في المدينة وبجنبها حديقة الاعشاب والعطور حين عمل موسيقياً في بلاد الامير استر هازي.

فناء دار هايدن الباروكي

دار متحف (هايدن) يمنح المكان مساحة حرة واسعة لمكان تاريخي اصيل ولاقامة معرض سنوي دائمي وكذلك يوفر لمحات عامة على اكثر من 3 قرون من تاريخ الموسيقى برفقة برامج واسعة من الفعاليات والنشاطات والبرامج الثقافية للاطفال والتعرف على معالم وملاحم الموسيقى النمساوية.

دار هايدن

في هذه الدار التي غدت متحفاً للزوار وزيارات خاصة لمجاميع الطلبة والسواح والأطفال حيث الغرف والحجرات والمطبخ مازالت على جودتها ، وكما كانت ، وكما كان يستخدمها الموسيقار هايدن ، وانتشرت آلاته الموسيقية في المتحف ، ولأن نشاطه الموسيقي كان متنوعاً والآلات الموسيقية منتصبة بعضها والبعض الآخر معلقة وآلة البيانو سيدة الآلات في قلب المتحف وفي الصالة الرئيسية ، والجميل المطبخ القديم كما هو بأواعي القرون الوسطى وموقد أيام زمان.

المطبخ في الدار

الآلات الموسيقية في المعرض

لقد كان المتحف الدار الخاصة بالموسيقي هايدن وفيها كانت ترى اعماله النور وتعد اليوم الارث التاريخي والانساني لمدينة (آيسن شتات).سنوياً تقام المعارض الخاصة والتي لها اهدافاً تخص المواضيع والتحليلات العلمية والمواضيع المختلفة ومنها تاريخ الموسيقى للقرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر بعمق وهذه الدراسات تكون على اعلى المستويات.

بيانو الموسيقار هايدن في المتحف

عمليات ترميم الدار والحفاظ عليها وصيانة البناية يكون بالتعاون مع المكتب العام للآثار ونوعية العروض هي الاهداف المكملة لدار هايدن. لقد حصل هايدن على هذه الدار عام 1766 من الامير (استر هازي) وعاش فيها 12 عاماً ، ولكن الدار احترقت مرتان والتهبت فيها النيران عام 1776م و 1784م ولكنها رممت ثانية.

زيارة الى دار هايدن هي رحلة معرفية للتعرف على حياة واعمال الموسيقار الشهير في مدينة (آيسن شتات) وكذلك التمتع باحدى روائع الباروك (دار هايدن) والتعرف على سيرة عبقري موسيقي عاش بين حيطانها وظروف عمله وحياته وسيرته والتلحين والاهتمامات الخاصة لعائلته.

أعماله في معارض زجاجية في المعرض

في هذه الدار هناك البرامج والزيارات للبالغين تختلف عن زيارات مجاميع الاطفال ولهم نظرة اخرى ولهذا للاطفال يلبس الدليل السياحي زي الموسيقار هايدن ويقول لهم بانه هايدن وانبعث لهم واسالو ما تشاؤون ويتحدث المرشد عن حياته ويسافر بالاطفال عبر الماضي بخيال واسع ويعزف لهم الموسيقى. بجنب الدار حديقة تعود له وهي حديقة الاعشاب والنباتات الطبية والعطور والتي كان ينظر اليها هايدن بانها الكنز الباروكي في حياته. ثمن تذكرة الدخول لهذا المتحف ضمن تذكرة لزيارة 60 متحفا وغاليرياً ومعرضاً والتذكرة اشتراك سنوي يسمح بزيارة جميع المعارض والمتاحف وثمنها 20 يورو وهي نافذة لعام واحد وبدورها تكون التذكرة تشجيع لزيارة المتاحف في الاقليم ولعودة الزوار ثانية لهذه المدينة(آيسن شتات) وكذلك طريقة لتنشيط حركة السياحة في الاقليم.

معرض هايدن في المتحف

زيارة الأطفال للمتحف

يقام كل عام المعرض السنوي في المتحف ، وهذا العام عنوانه "هايدن والنساء" من شهر اذار ولغاية تشرين الثاني حول النساء التي دخلن حياته.

متحف هايدن رحلة الى عمق الموسيقى وروائع الزمن الجميل من عصر فلاسفة الموسيقى والسمفونيات ..دار هايدن نموذجا..!!

يوم في ضيافة انطون تشيخوف

جودت هوشيار

تلقيت دعوة كريمة من منظمي المؤتمر العلمي العالمي المكرس لإبداع أنطون تشيخوف -الذي سيعقد في موسكو من 29 يناير ولغاية 1 فبراير 2019 - للمشاركة في المؤتمر ، بقراءة ورقة في موضوع يتعلق بأحد جوانب حياة وأدب هذا الكاتب ، الذي يحظى بمكانة سامية في الأدب العالمي.

تشيخوف يبدو اليوم بعد أكثر من قرن على رحيله ، كاتباً معاصراً لنا ، وما زالت كتبه تطبع ويعاد طبعها في بلدان كثيرة ، ويلتقي المشاهد بأبطاله على مسارح موسكو وبطرسبورغ ونيويورك وطوكيو ولندن وباريس وبيونس ايرس وغيرها من المدن.

وقلما نجد كاتباً قصصياً أو مسرحياً منذ تسعينات القرن التاسع عشر وحتى يومنا هذا لم يتأثر بفن تشيخوف. وثمة عدد هائل من الكتب والبحوث والأطاريح العلمية المكرسة لإبداعه ، كما أن الكثير من مؤلفاته أخرجت سينمائياً وتلفزيونياً.

وتحتوي اللغة الروسية الحديثة على العشرات من العبارات والأقوال السائرة الذكية واللاذعة ، التي دخلت هذه اللغة عن طريق مؤلفاته ، ويستعملها الروس في حياتهم اليومية دون ان يفطنوا انها لم تكن موجودة في لغتهم قبل تشيخوف.

ولهذا يبدو لأول وهلة ، ان من الصعب على أي باحث أن يأتي بجديد عن إبداع تشيخوف ، الذي أشبعه الكتّاب والنقاد والباحثون دراسة وتحليلاً. وبعد تأمل الموضوع قلت في نفسي: "ان لكل باحث قراءته الخاصة لأعمال أي كاتب كبير. وأنا عندما أعيد قراءة روائع تشيخوف بين حين وآخر ، أكتشف فيها جديداً في كل مرة. إلا أن هذه القراءة لن تكتمل من دون قراءة رسائله ودفاتر يومياته وزيارة الأماكن التي عاش وكتب فيها ، من أجل فهم أعمق وأفضل لأعماله الأدبية. ولم أكن أول من يفعل ذلك ، فقد اعتاد العديد من المخرجين والممثلين المسرحين في روسيا زيارة الأماكن، التي كتب فيها تشيخوف أعماله المسرحية ، للعيش في أجوائها ولو لفترة قصيرة قبل تجسيدها على المسرح.

عزبة تشيخوف في ميليخوفو

في فبراير 1892 كتب نشيخوف رسالة الى صديق له يقول فيها: "إن كنت طبيباً ، فإنني بحاجة الى مرضى ومستشفى، وإن كنت أديباً فعليّ أن أعيش في وسط الناس ، لا في زقاق مالايا ديميتروفكا... إنني في مسيس الحاجة الى (قطعة) من الحياة السياسية والإجتماعية. وأما هذه الحياة بين جدران أربعة ، حيث لا أناس ولا وطن ، ولا صحة ولا شهوة ، فهي ليست حياة ، وإنما هي الموت بعينه.

وفي آذار من السنة ذاتها ابتاع تشيخوف عزبة صغيرة في قرية "ميليخوفو". وكان ذلك إختياراً موفقاً. فهي قريبة نسبياً من موسكو، حيث يمكنه زيارة أصدقائه من الكتّاب والفنانين والتواصل مع الناشرين ورؤساء تحرير المجلات الادبية ، وهي في الوقت نفسه تقع في منطقة خضراء ساحرة في عمق الريف الروسي بعيداً عن صخب العاصمة ، ومكان هادىء ومثالي للتفرغ للكتابة.

انتقل تشيخوف إلى هذه العزبة مع أسرته المؤلفة من والديه وشقيقه الأصغر ميخائيل وشقيقته ماريا في آذار عام 1892 ، ولم يكن قد تزوج بعد. كانت العزبة مهملة وبحاجة إلى إدخال تحسينات شاملة عليها ، وزراعة الأشجار المثمرة وأحواض الزهور فيها.

واعترف تشيخوف في إحدى رسائله ، إنه لا يفقه شيئاً في أمور الزراعة. ولكن لم يمض سوى وقت قصير حتى شرع أفراد أسرة تشيخوف في إحياء المزرعة المهجورة. فقد تولّى والد تشيخوف بافل ايغوروفيتش تمهيد المماشي والإعتناء بالأشجار ، وبادرت ماريا بافلوفنا ، شقيقة تشيخوف إلى زرع أصناف فرنسية من الخضراوات في ركن سمّتها "ركن فرنسا". وكان تشيخوف يمضي معظم وقت فراغه في الحديقة ، وخلال السنة الأولى غرس أكثر من 240 شجرة بينها عدد كبير من أشجار التفاح وشجيرات الكرز والليلك. وكان يجد لذة حقيقية في زرع الورود ورعايتها. وقال في ما بعد مازحاً: "يبدو لي أنني لو لم أكن كاتباً ، لكنت بستانياً".

عاش أنطون تشيخوف في ميليخوفو سبعة إعوام (1892-1899) ، حيث كتب خلالها أكثر من أربعين مؤلفاً ، منها مسرحية "النورس" وقصص "الراهب الأسود" و "العنبر رقم ستة" و "البيت ذو العلية" و "الطالب" تناول فيها الحياة اليومية بسخرية لاذعة وصوّر مشاهد عائلية ، وروى حكايات أبطالها من التجار والطلاب والموظفين. وتعد هذه الفترة من أنضج وأخصب فترات حياته الإبداعية ، وقال أنه كتب هنا أفضل أعماله.

في عالم تشيخوف

وصلتُ إلى العزبة — التي تحولت إلى متحف تشيخوف الرئيسي -بالسيارة في صباح يوم صيفي جميل في منتصف شهر أغسطس 2018. وكان أول ما لفت نظري هو الأجواء الإحتفالية فيها. ثمة المئات من الزوار القادمين من مختلف أنحاء روسيا والعالم ، وباصات مدرسية تنقل مئات التلاميذ من الجنسين بصحبة معلميهم لزيارة المكان الذي تدور فيه أحداث العديد من قصص ومسرحيات تشيخوف ، التي تدخل في المناهج الدراسية في مرحلتي التعليم الإعدادي والثانوي.

تجولت في كافة زوايا وجنبات المتحف للتعرف على كل ما يرتبط بحياة الكاتب ، وقضيت ساعات أتمعن في الجو الذي عاش وكتب فيه تشيخوف أعماله الرائعة.

يضم المتحف أكثر من 20 ألف قطعة أثرية جمعت من الأدوات والأشياء التي كانت تحيط بالكاتب ، بينها لوحات الفنانين من أصدقائه ، وصور التقطت له ولأفراد أسرته ، وسريره ومكتبه ، ورسائله ومخطوطاته ، ومعطفه ونظارته، والطبعات الأولى لكتبه ، والمجلات الروسية القديمة الصادرة في موسكو وبتروغراد ، التي نشرت قصصه ومسرحياته. وضمن مكتبته المنزلية - التي تعكس اهتماماته الأدبية والفلسفية والتأريخية —حوالي 400 كتاب نادر من القرن الثامن عشر.

يحافظ المكان على كل لحظة من تاريخ حياة الكاتب في ميليخوفو ويوفر للزائر الفرصة لكي يعيش في الجو نفسه الذي عاش فيه تشيخوف في نهاية القرن قبل الماضي. وقد أحسست به قريباً مني أكثر من أي وقت آخر.

يضم المتحف عدة بنايات أكبرها المبنى الرئيسي -الذي كان يقيم فيه تشيخوف مع أفراد أسرته ويحتوي على الجزء الأكبر من الأشياء التي تخصهم.

كانت ماريا ، شقيقة تشيخوف ، معلمة وفنانة تشكيلية بارعة وما يزال العديد من لوحاتها معلقة على جدران غرفتها. وتدور في كواليس المتحف حكايات عن علاقة حب بينها وبين الكاتب ايفان بونين ، وعندما تقدم الأخير لخطبتها ، سألت شقيقها أنطون عن رأيه في بونين وهل تتزوجه أم لا؟ فقال لها قرري ذلك بنفسك. وكان أن رفضت ماريا الزواج من بونين.

في قصة "إبريق القهوة الثاني" التي ترجمناها عن الروسية ونشرت العام الماضي يتحدث بونين عن الفنانة ماريا ويقول بأنها لم تكن فنانة موهوبة. ويبدو أن ماريا تركت ندبة لا يندمل في قلب بونين.

أما ميخائيل ، شقيق تشيخوف الأصغر ، فإن مذكراته عن شقيقه العظيم ، أصبحت مصدراً مهما لدراسة حياة تشيخوف عموماً وعن فترة ميليخوفو خصوصاً.

هنا استقبل الكاتب الأصدقاء القادمين من موسكو. وكان سعيداً دائماً لرؤية الضيوف ، وكتب في احدى رسائله: "ان كل مثقف يمر بالقرب من عزبتي يرى من الضروري أن يزورني". وتحت نافذة المنزل شرفة رحبة كان يفضل شرب الشاي فيها مع ضيوفه. ولكن تدفق الزوار على عزبته كان يشغله عن التفرغ لعمله الإبداعي.

وفي عام 1894 بنى بيتاً صغيراً منفصلاً يحتوي على غرفتين صغيرتين: مكتبه وغرفة نومه. وتوجد لوحة معدنية بقرب باب المبنى تفيد بأن تشيخوف كتب هنا مسرحيته الشهيرة "النورس".

وتوجد في العزبة بناية كان يستقبل فيها مرضاه ، ويقدم الأدوية اللازمة لهم مجاناً وكان يضطر أحياناً لقطع عشرات الكيلومترات للوصول إلى مريض في حالة حرجة بإحدى القرى. وثمة بناية أخرى ، يقول عنها المرشدون أنها المدرسة التي أنشأها تشيخوف لأطفال الفلاحين وتوفير كل مستلزمات الدراسة فيها على حسابه الخاص.

أغلب الظن أن تشيخوف — كما قال أحد زملائه الأطباء — قد أصيب بمرض التدرن منذ شبابه. ولم يتم التأكد من ذلك إلا في عام 1897 ، عندما تردى صحته كثيراً. وكان نيكولاي تشيخوف أحد أشقاء الكاتب قد توفى بهذا المرض قبل ذلك بعدة سنوات. وحين تفاقم مرض تشيخوف عام 1899 ، أدرك - وهو الطبيب المتمرس- ضرورة الإنتقال إلى مكان لطيف المناخ ، فباع العزبة وقلبه يعتصر ألماً ، لأنه كان يحب الإقامة في (ميليخوفو)، فاختار مصيف (يالطا) الساحلية الجميلة في شبه جزيرة القرم ، وابتنى فيه منزلاً أطلق عليه أصدقاؤه إسم (البيت الأبيض).

انتقلت العزبة بعد ذلك من يد إلى يد. وانهار المنزل الرئيسي فيها وتفكك بالكامل ، وظلت العزبة مهملة إلى عام 1940، حين قررت الحكومة المحلية إنشاء متحف تشيخوف في ميليخوفو. والروس يعتبرون هذا التأريخ عام تأسيس المتحف ، رغم أن العمل الفعلي لم يبدأ في إنشاء المتحف إلا في 29 حزيران عام 1950 ، حيث تم الشروع باعادة بناء منزل تشيخوف وأسرته ، كنسخة من المنزل الأصلي ، ولم تنته أعمال الترميم والإصلاح في أرجاء العزبة إلا مع حلول الذكرى المئوية لميلاد الكاتب في 29 يناير عام 1960.

في عام 2006 تم افتتاح مسرح "ستوديو تشيخوف" وقد اطلعت على ريبورتوار (برنامج) المسرح ورأيت أن المسرح يقدم عروضاً مستمدة من قصص تشيخوف: "السيدة " و"الدب" و "المرضى النفسيين" وغيرها.

وإلى جانب ذلك ثمة مدرسة تشيخوف المسرحية ، حيث يقوم ممثلون ومخرجون مشهورون بالإشراف على "ورشة الإبداع المسرحي" لطلاب المعاهد المسرحية. ومنذ عام 1982 يقام هنا مهرجان مسرحي دولي يحمل اسم "ربيع ميلوخوفو".

(العزبة — المتحف) مؤسسة كاملة تابعة لوزارة الثقافة الروسية ويعمل فيها 123 منتسباً بينهم 11 من الباحثين العلميين والمرشدين الذين يقدمون للزوار معلومات مفيدة وشيقة عن تأريخ العزبة وحياة الكاتب وأسرته فيها ، ويزورها سنوياً حوالي 150 ألف شخص. وهناك كافتريا وأكشاك لبيع منتجات الصناعة الشعبية المحلية والهدايا التي تذكرنا بتشيخوف.

هل كان تشيخوف جيكياً ؟

كان الكسندر اسماعيلوف (1873-1921) أول من نشر عام 1914 كتاباً عن السيرة الحياتية والإبداعية لتشيخوف ، ذكر فيه أنه لم يتم العثور على وثائق أو أدلة تشير الى أصل لقب "تشيخوف" ، ولكن أجداد تشيخوف كانوا يقولون أنهم من أصل "جيكي أو تشيكي" بالروسية، وأن الجد الأكبر لتشيخوف كان جيكياً لجأ إلى روسيا بعد ملاحقته في بلاده لأسباب دينية. وقد تم عن طريق الفحص الجيني إثبات صلة القرابة بين أفراد سلالة تشيخوف القاطنين في كل من روسيا وجيكيا ، وكانت نتائج الفحص مطابقة إلى حد كبير ، وشكلت مفاجأة يفضّل الباحثون الروس عدم التطرق إليها.

سبب وفاة تشيخوف

توفى أنطون تشيخوف يوم 15 يوليو 1904 في فندق بمنتجع بادينويلر في ألمانيا. وكان الإعتقاد السائد إلى وقت قريب إنه توفى نتيجة لمرض التدرن ، الذي أصيب به منذ شبابه، ولكن التحاليل الكيميائية الدقيقة ، التي أجرتها مجموعة من العلماء البريطانيين في أواخر العام الماضي لقميص كان يرتديه الكاتب ، كشفت بقدر كبيرمن اليقين تحديد سبب الوفاة. على القميص توجد بقع فيها بالإضافة إلى بكتيريا السل ، مادة بروتينية ، وهذا بالذات ما يدل على احتمال تشكل تخثر في دمه وحدوث انسداد في الأوعية الدموية ونزيف في الدماغ..

عندما غادرت المتحف ، الذي تحول إلى أحد أحب الأماكن لدى الشعب الروسي ، كانت ألوان الشفق تنعكس على صفحة بركة الماء التي كان تشيخوف يربي فيها أنواع منتقاة من الأسماك الجميلة ، ومئات الناس من مختلف الجنسيات يغادرون العزبة ، وعلى وجوه الزوار الروس مسحة من الحزن المشوب بالزهو ، لأن روسيا أنجبت واحداً من أنبغ الكتاب على مدى التأريخ.

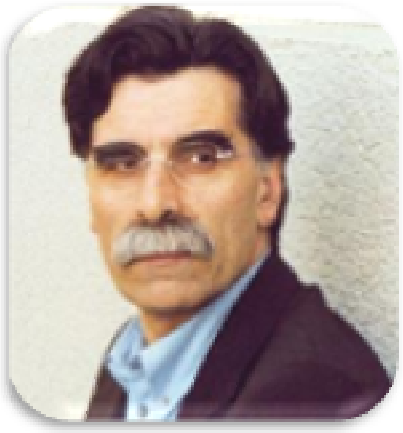

النسر

قصة: قادر عبدالله
ترجمها من الهولندية: نزار مُحَمَّد سعيد

حين تجوب جبال بلادي ، غالباً ما تصادفك هنا وهناك قبور تغطيها الثلوج شتاءآ، وتجعلها تكتسي بجمال الزهور الطبيعية بعد ذوبانها.

عندما يرى متسلقوا الجبال هذه القبور ، يرفعون عقيرتهم بالغناء ضد الدكتاتور ، لدى وصولهم إليها يضعون حقائبهم جانباً ، يفترشون الأرض لأخذ قسط من الراحة وتناول الطعام.

وغالباً ما يتركون بقايا طعامهم للنسور التي تحلق في الأعالي بين الجبال وفي أجواء المقبرة ، ينتظرون مغادرة المتسلقين المكان لينقضوا على ما خلفوه وراءهم.

ولطالما أرشدت النسور المتسلقين إلى مكان وجود القبور وهي تطير فوقهم. حين تنظر من فوق أعلى جبل إلى سلسلة جبال المنطقة الشمالية ، حيث ولدت فيها ، فإنك غالباً ما ترى أسراباً من النسور تحلق عالياً في السماء.

تطالعك جبال بيضاء زرقاء وأنت تنظر بالعين المجردة ، وعبر المنظار سترى قرى متناثرة بين الصخور هنا وهناك ، قرى صغيرة تكتسي حلة بيضاء في الشتاء ، وفي الربيع تكسو أرضها زهور طبيعية.

في إحدى هذه القرى فتح والدي عينه للدنيا ، وشقيقي دفن في هذه الجبال. لم أكن أعلم بأنهم هم من قتلوا شقيقي ، كنت وقتذاك أسكن في العاصمة وكان هو في السجن ، كان احد المعارضين للنظام.

"أحضر حالاً!!". قاله والدي حين خابرني. كانت الساعة تشير إلى الواحدة والنصف بعد الظهر ، رسالته كانت تحذيرية لي ، أنا أعرف والدي ، "أحضر حالاً" تعني ؛ رصاصة وموت.

إنطلقت بسيارتي مسرعاً إلى حيث مكان ولادتي ، وصلت البلدة في الساعة الخامسة إلا ربع ، لم أجروء على الذهاب مباشرة إلى البيت ، كان علي أن أنتظر ليحل الظلام.

في الساعة الخامسة إلا ثلاثة دقائق أوقفت سيارتي في مكان قريب ، وإتجهت نحو البيت بحذر.

والدي رآني من النافذة قبل أن أدلف البيت فخرج ليستقبلني ، رد السلام بإختصار. كان يبدو كما لو انه خابرني لشيء غير ذي أهمية ، وأنا قطعت مسافة أربعمائة كيلو متر عبثاً.

والدي لا ينكأ إحساسه وآلامه بسهولة ، كان ينظر إلي من خلال حزمة الضوء الداخلة من النافذة ، فقرأت ما كنت أخشاه في عينيه. إتضحت لي القصة ؛ جثة ، والدي ، وصعوبة إيجاد مكان مناسب للدفن. والدي كان قد ذهب بنفسه ، هو من جاء بجثة شقيقي ، رفضت السلطات بشكل قاطع منحه إذناً لدفنه في مقبرة رسمية ، فهو غير طاهر في إعتقادهم ، و ينبغي أن يدفن سراً ، دون أن يعلم بدفنه أحد.

والدتي كانت واقفة أمام النافذة تنظر إلي ، كانت متشحة بالسواد. حسب أعرافنا كان يجب عليها الآن أن تنتحب على ولدها ، تصرخ ، تلطم وتنتف شعرها الثلجي ، حينها كان علي أن أهرع إليها ، أمسكها من كلتا يديها ، أحضنها وندخل معاً نوبة من البكاء. ولكن كان يجب أن نضمر حزننا عن الآخرين ، أن لا نبدي أي مظهر من مظاهر الحزن والأسى ، يشي بأن شقيقي قد قتل في الزنزانة.

كانت ثمة سيارة حمراء داكنة واقفة بالباب ، حينما رأيتها إتضح لي في الحال من الذي يوجد داخلها ، لكني لم أقدر على التفكير بها كثيراً.

"دعنا نذهب". قاله والدي وناولني مفتاح السيارة. الآن مفتاح السيارة الحمراء الداكنة في يدي ، الحدث أصبح حقيقة واقعة ، لكني أردت أن أراه بنفسي كي أصدق.

توجهت نحو السيارة ، فتحت الباب الخلفي ، كان مغطى ببطانية بيضاء ، يبدو كما لو انه يشعر بالبرد ، كان على جانبه الأيمن ، يداه كانتا مطبقتان على بعضهما بين فخذيه ، لم يكن ثم متسع من المكان في السيارة ، فحشر فيها حشراً.

أشعلت مصباح السيارة الداخلي ، رفعت عن وجهه الغطاء ، هو!! إنه شقيقي ، أصابوه برصاصة على الجهة اليسرى من جبينه!

والدتي ما زالت في مكانها واقفة أمام النافذة ، تبدو كصورة بالأبيض والأسود خلف زجاج النافذة.

"علينا أن نسرع". قاله والدي. أقفلت باب السيارة الخلفي وإتخذت مكاني خلف المقود: "إلى أين؟". "إلى تلك الجهة". قاله مشيراً بيده إلى جهة الجبال الشمالية.

إنه لأمر صعب أن تحمل ولداً مقتولاً في سيارة ولا تبدو عليك علامات التأثر. وحقيقة الأمر فإني أجهل ما هو عازم عليه ، أنا أعرف والدي جيداً ، فهو يأنف أن يدفن ولده في مكان عادي وقصي ، وددت النظر إليه وأن نتحدث معاً عن مصيبتنا ، لكني لا أتجرأ على المبادرة ، فواصلت القيادة صوب جبال الشمال.

والدي كان بالنسبة لي دائماً كتاباً مغلقاً لا أفهمه ، أتذكره حينما كان يجلس على السجاد الفارسي منحني الظهر يقرأ الكتاب المقدس. ورغم انه كان قد ختمه ثلاثة عشر مرة بعد المائة ، فأنا واثق من انه قد أعاد قرائته مرة أخرى بعد موت شقيقي.

هكذا كان ، فأنا طفله البكر لم أجروء يوماً أن أسأله ؛ لماذا لا تقرأ يا أبي كتاباً آخر غيره؟!

كان يحاول دائماً أن يجد حلولاً لمشاكله بنفسه ، فإن لم يستطع فقد كان يحاول أن يجد ضالته في الكتاب المقدس.

وسوءالي هنا ؛ عجباً يا ترى من أين يستمد ثقته الآن ؟

-هل لك الآن خطة ، إلى أين نحن ذاهبون ؟

-سنذهب إلى مارزدياران. قال.

-مارزدياران ؟! قلت بذهول. من الصعوبة بمكان الذهاب إلى هناك ، فجل أهل تلك القرية هم من أنصار الدكتاتور ، ويتعذر علينا أن نلتمس منهم مكاناً لقبر.

لم أتلق منه جواباً ، لكني متيقن من أنه كان قد تهيأ لذلك مذ كان في البيت وأخذ المشورة من الكتاب.

وجدت لا طائل للحديث معه ، لا نستطيع الوصل إلى نتيجة فواصلت السير. كنا نسير على طبقة خفيفة من الثلج ، كان يتعذر علينا روءية الطريق ، ولكننا سرنا على هدي إطارات سيارات القرويين.

حاولت أن أتذكر شقيقي حين إلتقيته آخر مرة ، لكني أخفقت في محاولتي ، يبدو لي أن كل ذكرياتي معه ستمحو بعد موته.

عوضاً عن ذلك لاحت لي ثلة من الرجال أمام ضوء مصابيح السيارة ، يقودونه إلى خشبة الإعدام وهو معصوب العينين بخرقة سوداء ، ويداه مشدودتان خلف ظهره ، كان شامخ الطول رفع رأسه وصرخ ، كان يقول شيئاً لم أسمعه ، لكني رأيت شفتيه تتحركان. كان يبدو كبيراً في السن ، ياله من فيلم بائس! إخترقت جسده ثلاث رصاصات ، آخرها في الجهة اليسرى من جبهته! كان رأسه متجهاً إلى الأمام ، يبدو كما لو انه طير ميت. نظرت إليه من خلال المرآة وهو ممدد بعينين باردتين. حاولت أن أتذكر لون عينيه ؛ زرقاء ، رصاصية ، أم زرقاء رصاصية معاً؟ هو ذا ممدد هناك ، يداه بين فخذيه ، لن أستطع إعارته كتباً بعد الأن ، لا أتذكر آخر كتاب إستعاره مني.

إقتربنا من القرية ، أرى البيوت الواقعة في مدخلها ، القرية غافية في جنح الظلام ، يخيل لك انها لا تعرف الأضواء ، دنوت أكثر فلاح لي الدخان يعلو فوق مداخن أسطح البيوت ، أول الدلائل على وجود عيش في هذه القرية.

في القرى عادة عليك أن تنتظر إنساناً مقبلاً أو مدبراً ، أن تنتظر طفلاً يولد أو شخصاً يموت ، فالقرية الغافية تنتظر دائماً حدثاً ما لتدب الحركة فيها. وصلنا أخيراً إلى القرية ، لسنا بحاجة لأن نقول شيئاً ، فقدوم سيارة في احدى ليالي الشتاء الباردة القارصة ، دلالة على وجود شيء ما.

ليس بمقدور أحد أن يتنقل وسط هذه الجبال في مثل هذا الوقت ، إلا الثائرين ضد السلطة ، أو أحدهم ينقل جثة في سيارته.

وحقيقة الأمر فنحن نملك لأهل القرية أحداً يقضون ليالي شتائهم به ، جثة عليها آثار طلقات.

تناهى إلى سمعي على حين غرة أصوات نباح الكلاب ، فأطفأت مصابيح السيارة على عجل ولكن دون أي جدوى. فقد شمت الكلاب رائحة الجثة وهرعت مسرعة وسط الثلوج بإتجاهنا.

بعدئذ قدم رجال ؛ ثلاثة رجال متدثرين يحمل كل واحد في يده عصاً. "الله .. الله" صرخ والدي ، إعترضت الكلاب سبيلهم وهي تنبح. دنا الرجال من سيارتنا ، "إبق أنت في مكانك!" قاله والدي وتوجه نحو الرجال ، أراد أن يتحدث معهم ، ربما أراد أن يقول لهم "انا أحد أصدقاء إمام القرية".

مد يده لمصافحتهم لكنهم أهملوه وتوجهوا مباشرة نحو السيارة ، نظروا إلي وشرارات الغضب تتطاير من عيونهم ثم واصلوا السير. أرادوا أن يفتحوا الباب الخلفي للسيارة ، هرع إليهم أبي ومنعهم من ذلك ، الكلاب تنبح بعنف ، خرجت من السيارة ، والدي دفر الرجال لمرات متوالية وحما الباب بظهره ، أمسكه أحدهم من ذراعه و سحبه جانباً بقوة و فتح الآخران الباب ، قفز أحد الكلاب إلى داخل السيارة ، وقعت عيني على القضبان المعدني الخاص بعدة رافعة السيارة ، فناولت في الحال وشرعت أنهال به على ظهر الكلب فولى هارباً وهو يتلوى.

بلغ بي الغضب أشده فدفرت الرجال جانباً ووقفت شامخاً أمام باب السيارة والقضبان الحديدي في يدي. وعلى حين غرة هاجمني الرجال وانهالوا علي بالضرب ، صرخ والدي صرخة مدوية ؛ "الله .. الله!".

حاول أن يبعدهم عني ولكن دون جدوى ، أبعدوه بعنف واسلوب بعيد عن اللياقة والأدب.

تناهى إلى سمعي أصوات آخرين في طريقهم نحونا ، حرروني من بين أيدي هوءلاء الرجال.

صدري يعلو ويعلو وقلبي يدق بقوة ، جلت ببصري فيما حولي ، فإذا بالرجال وقد أحاطوا بنا كالطوق وهم يتفرسون إلينا بصمت. كسر والدي جدار الصمت ، أشار بيده نحوهم وقال:

"أنا ألتمس منكم مكاناً في المقبرة لدفن جثة ولدي الموجودة معي في السيارة". لم يتلق رداً من هوءلاء المتعصبين الذين جعلوا ينظرون إلينا في أماكنهم مذهولين ، كانوا كما لو انهم صخر.

تقدم عدد من الرجال حتى دنوا منا قال أحدهم:

-أبعدوا الآثم من أرضنا ، لا مكان له عندنا.

-أرجوكم .. ألتمس منكم مكاناً لدف ...

- أرجع أقول لك أرجع! قاله وهجم على أبي بوحشية.

هرعت ثانية للقضيب الحديدي ، أخذه والدي من يدي وقال:

-لنرحل من هنا.

أدرت السيارة لنعود ، إغرورقت عيناي بالدموع ، أنا لم يسبق لي أن بكيت أمام والدي ، أشعر أحياناً بضرورة البكاء أمامه ، قاومت لكني لم أعد كظم دموعي فأجهشت بالبكاء.

إبتعدنا قليلاً عن القرية ، ما إن نظرت إلى والدي حتى إنصدمت ، إذ لم يعد شيخاً عادياً كما كان ، فالآن يجلس بجانبي رجل مكسور منهار! أحسست ذلك من هيئة جلوسه. وبالرغم من انه كان قد أخذ المشورة من الكتاب ، غير انه لم يحقق مرامه. يبدو كطير قد هده تعب السنين لا يقدرعلى الطيران.

أما أنا فقد نفذ صبري ، واصلت القيادة في الطرق الجبلية ، أنتظره ريثما يستجمع قواه ، شهق شهقة عميقة بعد لأي ثم قال:

-أشعر بأن الله يختبرني.

مد يده إلى جيب سترته بعد أن فكر ملياً ، أخرج منه الكتاب المقدس ، وأخذ يبحث ، لعله يجد فيه ضالته.

لم يكن بحاجة إلى الضوء للقراءة ، فلقد حفظ الكتاب عن ظهر قلب ، يقرأه كالبصير ، حين يتصفحه كان يعرف تماماً إلى أين وصل. قرأه لدقائق معدودات ثم أفصح عن قراره:

-سنذهب إلى ساروخ. قاله وأعاد الكتاب إلى جيبه.

أنا لا أوافقه في هذا الرأي ، إذ لا فرق عندي بين ساروخ والقرية التي طردنا منها للتو ، بإمكاننا الذهاب الآن إلى عشرات القرى ، لكننا سنواجه نفس ما واجهناه من قبل.

كان همه أن لا يدفن ولده في السر ، كان يبحث عن مقبرة رسمية ، وهي غاية صعبة المنال. عليه أن يتقبل فكرتي ، كان ينبغي أن نبحث سوية عن حل مناسب ، لكنه كان واضحاً في تمسكه برأيه ، وعدم تقبله لحل آخر.

تبعد مقبرة قرية ساروخ مسافة كيلومترين عن القرية ، في منطقة قفراء متجمدة. "بإمكانك التوقف هنا وسأذهب أنا إلى القرية" قاله والدي. ودعني وإتجه صوب القرية ، كان نور القمر يشع بينما أنا غارق في تأملاتي.

والدي كان على صواب ، تأكد لي الآن لماذا يريد أن يدفن شقيقي في مقبرة رسمية ، وليس في مكان آخر ، ذلك إن حدث مكروهآ ، حينئذ ليس بمقدورنا فعل أي شيء.

لقد شعرت بالخجل حياله ، إذ لم أعي وقتها حقيقة ما هو عازم عليه ، كان على صواب ، كوننا لم نقترف شيئاً نجرم عليه.

خطرت ببالي فكرة ، أخذت القضبان الحديدي لمواجهة إحتمال الهجمات المباغتة للكلاب أو الرجال علينا.

لن أدع أحداً يقترب من الجثة ، سأحرسه وأدافع عنه مهما كلفني ذلك ، شقيقي أدى ما عليه من واجب ، والآن فقد جاء دوري ، علي أن أدفن جثته بشكل محترم يليق به ، أطفالنا سيسألوننا في المستقبل ؛ حدثونا عن نضالاتكم ضد الدكتاتورية ؟ حينئذ سنريهم القبور وقصة الدفن هذه كاملة.

في هاته اللحظة أشعر بأني نمر جريح ، جرحه بليغ ، نمر أصاب برصاصة في عنقه ، بمقدوري الآن أن أقطع بمخالبي وأسناني عشرات الرجال إرباً إرباً ، أنتظر قدومهم ، ليتقدموا فأنا الآن أنتظرهم!

يبدو انه لم ينل مبتغاه في دفنه هنا ، بدا ذلك جلياً من سيرهم ، أصدقاء والدي رافقوه وكان ذلك كل ما يمكنهم من القيام به لخدمته ، بهذه الوسيلة شاركوه مصيبته. كانوا يعرفون جيداً المتعاونين مع الدكتاتور من أبناء القرية ، ولهذا لم يدعوا والدي وحده للحظة ، وقد رافقوه علهم يجدون في الطريق حلاً آخر. إقتربوا مني لتحيتي وتقديم العزاء ، لكني لا أرتضي بذلك وحده. فتحدت باب السيارة وجلست خلف المقود ، والدي ودعهم وإتخذ مكانه إلى جانبي ، أدرت السيارة وأنا أهم بالإنطلاق ، سمعت أحدهم ينادي:

-قف .. قف.

وقفت ، أنزل والدي زجاج النافذة ، مضى إليه الرجل قرب رأسه بلحيته الكثيفة الطويلة من النافذة:

- عليكم الذهاب إلى رحمانالي. قال. رحمانالي هو وحده بإستطاعته أن يقدم يد العون لكم.

أومأ والدي برأسه كدلالة يثنيه على صواب فكرته. وبعدها نظر الرجل إلي وقال:

-البقاء في حياتك أيها الشاب ، تحل بالصبر ، قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا.

ألقيت نظرة إلى عينيه الهرمتين وأحنيت له رأسي إحتراماً.

- إنطلق بإتجاه جاريا ، سنذهب لنبحث عن رحمانالي. قاله والدي.

إنطلقنا بإتجاه جاريا ، مسقط رأس والدي. جدي كان يعيش في هذه القرية ، لقد سبق أن سمعت بإسم رحمانالي ، يا ترى أين قابلته ؟

أعرفه ، كان شيخاً قصيراً ذا لحية طويلة بيضاء ، قبل سنوات قابلته في هذه القرية. كنت حينذاك أبحث عن جذوري، أردت معرفة المزيد عن شجرة العائلة ، جد والدي مدفون هنا وقبره يزار. ذاع صيته في الآفاق وقصده الحجاج كولي من الأولياء ذا كرامات ، وحكي عنه أنه كان يمتلك قدرات خارقة، أحيا أطفال كانوا قد أسلموا الروح ، لكن والدي يقول ؛ بأنه لم يكن كذلك ، الناس يبالغون في النظر إلى مكانته.

كان كالكتاب المغلق عندنا في العائلة، إذ لا يسمح لنا الحديث عنه ، ولهذا السبب فقد طوته عجلة السنين.

أردت أن أعرف المزيد عنه ، لذلك شديت الرحال في أحد أيام الصيف إلى قرية جاريا. وبينما أنا في طريقي إلى حيث المكان الذي يرقد فيه ، رأيت زواراً كثيرين في طريقهم إليه ، كما رأيت نسوراً تحلق فوقنا ، كان مشهداً مذهلاً لم أكن أتوقعه. صعدت الجبل بصحبة الزوار ، كنت ضجراً من الزيارة وروءية كيفية أداء الناس لمراسيم الزيارة.

خيل لي بأني سوف أرى ضريحاً توقد أمامه الشموع ، وهي تعبق الأجواء بأريجها ، وسأرى أرضية الضريح مغطاة بالسجاد المزركش ، ولكن ما رأيته كان مجرد قبر بسيط دون شواهد ، في مكان قصي بجوار صخرة بيضاء زرقاء.

لماذا دفن تحديداً في هذا المكان؟ لا أحد يعرف. حدثني أناس بما يعرفون عنه قولهم: كان قد تعرض للإختيال ولقى مصرعه برصاصة في الرأس! كان معارضاً للسلطة مختفياً، كان وحيداً عندما كمن له متعقبوه بإحكام وإستطاعوا النيل منه بسهولة! ماذا جرى بعدئذ؟ تركوا جثته للضواري ، لكن بعض الخيريين دفنوه سراً ها هنا. ورغم تباين حكاياتهم ، إلا انها كانت تلتقي عند؛ رصاصة واحدة ، الهروب والإختفاء ، مجموعة من الرجال ، كعناصر رئيسة فيها .

قال رجل حكيم:

- إن أردت معرفة حقيقة ما جرى له ، عليك زيارة رحمانالي ، فهو يعرف كل شيء عنه ، إذ كان أحد المقربين إليه ، وهو الذي دفنه بنفسه. يقال بأن رحمانالي يزور المسجد كل يوم في الساعة الخامسة مساءآ ، يمكنك الإلتقاء به في ميدان القرية. حزمت أمري وقررت التوجه إلى المقهى المقابل للميدان ، إتخذت مقعداً في إنتظاره.

كانت الساعة تشير إلى تمام الخامسة ، حينما أقبل شيخ وقور طاعن في السن ذو لحية بيضاء طويلة كان في طريقه إلى المسجد ، فخرج جميع الرجال من المقهى. كان يمشي بإستقامة يحمل في يده عصاً. لا شبيه له ولا مثيل على هذه الأرض ، ظننت إنه قادم من كوكب آخر. هرع الرجال نحوه وأحنوا له قاماتهم إحتراماً وقبلوا يده. كان عمره حينذاك قد وصل إلى الرابعة بعد المائة سنة.

لا أريد أن أراه مرة أخرى ، حينما رأيته لم أنحني أمامه ، أراه إنساناً محبوباً لدى الناس ، رمز ديني ، بطل حكاية أزلية من حكايات القرية فحسب ، كان لا أحد يجرؤ على الحديث معه. عدت ثانية لمقعدي في المقهى لإحتساء الشاي.

وبينما كان في طريقه إلى المسجد توقف بغتة ، إستدار ثم توجه نحوي ، نهضت في الحال، مد يده لي وتقرس في عيني ، فمددت يدي إليه بأدب وإحترام لكني لم أقبل يده.

لم أكن أتصور انني سأأتي ذات يوم بعد ثلاث سنوات ونصف ، أدق بقدمي أزقة القرية في إحدى ليالي الشتاء بحثاً عن رحمانالي ، أحني له هامتي وأقبل يده.

إنطلقنا والدي وأنا نبحث عن رحمانالي ؛ "لا أحد يعلم متى سيعود إلى القرية التي رحل عنها" قاله أبي.

لم أكن لأتوقع بأني سأزور قرية جيريا ، لكن الآن علي أن أدفن جثة شقيقي فيها ، لا أدري كيف يجد رحمانالي لنا مكان قبر في مقبرة رسمية. في سارج قال لي شيخ ؛ عليك ألا تعاند! لا حيلة لي ، فوضت أمري لله.

قبل وصولنا إلى القرية أطفأت أضواء السيارة ، سأبحث بنفسي عنه ، هذه هي فرصتنا الأخيرة علينا أن لا ندعها أن تفلت من بين أيدينا.

أهالي هذه القرية جميعهم يعرفون والدي ، كل من رآه إستنتج للوهلة الأولى ، بأن ثم مكروهآ قد حدث له ، إذ لم يكن بمقدوره إخفاء علامات التأثر عليه.

علي أن أعرف بادىء ذي بدء أين تقع دار رحمانالي تحديداً ، سمعت إنها تقع بجوار ميدان القرية مقابل المسجد ، في إحدى الزقاق.

أعرف أين يقع المسجد وأتذكر موقع الزقاق التي تقع فيها داره ، وللوصول إلى وجهتي بعد أن فكرت وقدرت ، إخترت سلوك الطريق بمحاذات مجرى النهر ، فالمخاطر فيه أقل وللوصول إلى ميدان القرية أسهل.

ما ان سرت خطوات معدودة حتى ناداني والدي: "قف .. قف!" هرع نحوي: "لا تنسى إذا إدلهم بك خطر ، أن تستصرخ رحمانالي وتستنجد به ، إذ ما إن يسمعك حتى يهرع إلى نجدتك وإستقبالك ، أفهمت ؟

الوقت داهمنا ، علي أن أسرع قبل أن تحس الكلاب بقدومي ، الثلوج تغطي معظم المناطق ، ومن شدة البرد تجمد مياه النهر. تذكرت كلمات والدي ؛

"لا تنسى إذا إدلهم بك خطر ، أن تستصرخ رحمانالي وتستنجد به ، إذ ما إن يسمعك حتى يهرع إلى نجدتك وإستقبالك ، أفهمت ؟

أيهما كان علي إختياره ، أعدو عدواً أم أمشي مشية طبيعية ؟ على حين غرة قفز كلب ضخم من فوق سياج نحو الزقاق على بعد أمتار مني ، كل شيء أو لا شيء ، فعدوت ، كلاب القرية كلها هرعت بإتجاهي وهي تنبح ، أجري والكلب الكبير يجري في أعقابي. قدم القرويون من كل حدب وصوب نحوي وهم مشدوهين يحملون مصابيح يدوية. إعترض عدد منهم سبيلي وحاولوا إلقاء القبض علي ، لكني حاولت مقاومتهم وأطلقت بغتة عقيرتي بالصراخ والإستنجاد برحمانالي.

إستعرت الدموع في جفوني وتعذر علي روءية الطريق ، خطوت خطوات متعثرة صوب ميدان القرية.

علموا بمرامي و مقصدي ، أطلقت ثانية عقيرتي بالصياح بكل ما أملك من قوة ؛ "رحمانالي .. أستنجد بك وأطلب مساعدتك .. أنا أبحث عن مرقد آمن لشقيقي!".

على حين غرة ظهر أمامي شيخ ذو لحية كثيفة طويلة إلى صدره ، يرتدي ثوباً أبيضاً ، فإنحنيت له وأمسكت بيده النحيفة ، حاولت تقبيلها لكنه منعني من ذلك.

- هدىء من روعك يا ولدي ، فلقد وصلت إلى بر الأمان ، وستسير الأمور على ما يرام. قاله بصوت مرتعش.

تلاشت أصوات نباح الكلاب شيئاً فشيئاً وهي تهز ذيولها لرحمانالي الذي ما إن حضر حتى إنفرط جمع الرجال.

كان رحمانالي شخصية محبوبة و محل ثقة وإستشارة أهل القروية ، أخذني وتوجه بي إلى منزله ، قدمت له نفسي فقال إنه يعرفني ، كان يعرف كل شيء، لم أكن بحاجة للحديث عن مهمتي في هذه الليلة الظلماء. الشيء الوحيد الذي قلت له ؛ بأن سيارتنا في مدخل القرية ، وأن والدي ينتظرنا هناك.

لم يستغرق الإنتظار سوى دقائق معدودة حتى عدت إلى أبي مسرعا عبر أزقة القرية الغافية.

تناهى إلى سمعه أصوات نباح الكلاب ثم رآنا بعد ذلك ؛ رحمانالي وأنا ، توجه نحونا وإحتضن رحمانالي للحظات.

-دعونا نذهب فالصباح على وشك أن ينبلج.

فتحت الباب الخلفي للسيارة، حملت شقيقي على ظهري، ساعدني والدي وضعناه على ظهر فرس و ربطناه بإحكام، ثم أخذت أدوات الحفر من السيارة.

-سيروا أمامي وأنا أتبعكم. قال رحمانالي.

سرنا بإتجاه الجبل ، والدي راح يتفرس في وجهي ؛ "إلى أين وجهتنا ؟".

قرأت ذلك في عينيه على ضوء القمر ، أردت أن أقول له شيئاً ، ولكن فجأة غصت الفضاء بخفق أجنحة ، رفعت بصري إلى السماء ، فإذا بها سرب من النسور تتجه نحونا.

*** قادر عبدالله**

-إسمه الحقيقي حسين سجادي قائمقامي فراهاني ، قادر وعبدالله كانا من أقرب أصدقائه أستشهدا أثناء تظاهرة ضد نظام الشاه.

-مواليد إيران في ١٢ —١٢ —١٩٥٣.

-أنهى دراسته في جامعة إيران —كلية العلوم —قسم الفيزياء في عام في عام ١٩٧٧.

-عمل في مجال التدريس وبسبب نشاطاته السياسية هرب في عام ١٩٧٩ إلى كردستان.

-هرب سنة ١٩٨٥ من إيران وفي ١٩٨٨ حصل على اللجوء السياسي في مملكة هولندا.

-يكتب قادر عبدالله بالغة الهولندية ، من إصداراته:

-ماذا يريدون الكرد قوله ، مجموعة قصصية باللغة الفارسية ١٩٨٠.

-النسر ، مجموعة قصصية باللغة الهولندية ١٩٩٣ إعيد طبعها مرات عديدة.

-الثائرة ، رواية ١٩٩٥.

-سفر القارورة الفارغة ، رواية ١٩٩٧.

-ميرزا ، رواية ١٩٩٨.

-الكتابة المسمارية ، رواية ٢٠٠٠.

-الحقيبة ، رواية ٢٠٠١.

-پورتريت والأحلام القديمة ، رواية ٢٠٠٣.

-دار المسجد ، رواية ٢٠٠٥.

-مجموعته القصصية الموسومة ب "النسر" كانت ضمن أكثر الكتب مبيعاً في هولندا في سنة ١٩٩٤.

-منح شهادة الدكتورا الفخرية من جامعة خرونينگن الهولندية ، كما نال جوائز أخرى رفيعة عن أعماله في هولندا وأميريكا.

المصدر

Kader Abdolah, De Adelaar, Singel Uitgever, Amsterdam. 1998.

الخوف يتسقف حقل درس

ـ قصص قصيرة ـ

مصطفى تاج الدين الموسى

انجازات

كانت أمهم قد أعدتْ لهم طعام العشاء بعد يومٍ طويلٍ أمضوه في مظاهرة مع كل أبناء المدينة ، ثلاثتهم مع أمهم تجمعوا حول الأطباق على أرض غرفة الجلوس غير آبهين لصوت التلفاز ، وعندما همّوا بتناول لقمتهم الأولى هبطتْ على سطح غرفته قذيفة أطلقها من بعيد الجنود.

بعد دقائق تحاملتْ الأم على نفسها رغم جراحها لتنهض بصعوبة عن تلك الزاوية ، لوحتْ بوهنٍ أمام وجهها لتبعد سحب الغبار والدخان.

عندئذٍ شاهدتْ جثث أولادها الثلاث متناثرة في أرجاء الغرفة كيفما اتفق.

بذهولٍ التفتْ حولها وهذا الموت المفاجئ قد شلّ عقلها ، تناهى لأذنها صوت التلفاز الذي نجا من القذيفة ، نظرتْ إليه لا شعورياً.

هناك.. منتصف الشاشة ، كان رئيس الجنود بأناقته المعتادة وصوته اللطيف يتحدث بإسهاب عن إنجازاته.

شقيقان

عندما كانا صغيرين وذات صباح ، الشقيق الأصغر لمح شقيقه الصغير يتسلل خلسةً إلى حقيبة والدته ليسرق منها بضع ليرات ، وهما في طريقهما للمدرسة الصغير اشترى بتلك الليرات قصة مصورة من المكتبة.

في صباح اليوم التالي ،الأصغر قلد شقيقه فتسلل هو الآخر إلى حقيبة والدته وسرق منها بضع ليرات ، وخلال الطريق إلى المدرسة اشترى بها قطعة حلوى ثم التهمها بنهم دون أن يعطي شقيقه شيئاً منها.

بعد عقودٍ ، وكان قد صار للشقيقين عدة أبناء.

واحدٌ منهما صار أهم كاتب في المدينة ، بينما الآخر صار أحد أكثر سكان المدينة بدانة.

زوجة شاعر

عندما حلّ المساء كانت أخر المعزيات قد ذهبتْ لتظل زوجة الشاعر الذي توفي من يومين وحيدةً في هذه الغرفة.

وهي على الأريكة تأملتْ طاولة زوجها في تلك الزاوية ، حيث الأقلام والأوراق والكتب متناثرة فوقها جانب رفوف المكتبة ، الطاولة التي ظلّ يكتب عليها خلال حياته أغلب قصائده.

ومجدداً أجهشت بالبكاء ، لساعات ظلتْ روحها تائهة بين الدموع والذكريات.

بعد منتصف الليل تناهى لأذنها صوت خربشة ما ، رفعتْ رأسها فشاهدتْ زوجها ينزل كطفلٍ مشاغب عن صورته الكبيرة المعلقة على الجدار. ليمشي مسرعاً إلى طاولته حيث جلس، أشعل سيجارة.. طلب منها فنجان قهوة ، ثمَّ بدأ بكتابة قصيدته الجديدة.

ما قالته لوحة جمشيد

تخيلات

عبد الرحمن سيدو

عشر سنوات وأنت تفشل... عشر سنوات ، وفي كل سنة تدفع يوم الامتحان وتعيد ترتيب الكتب المدرسية فوق المنضدة وتسهر الليالي حتى الفجر ، يحاصرك القنوط في كل مرة ، فتبعد شبحه بالمذبّة المستلقية على الكرسي المجاور.

كيف لا تهزج ، كيف لا تخرج من جلدك وتغزو الأبنية والشوارع ، الحانات والمقاهي في ليل الفرات الندي وتصيح بأعلى ما تملكه من صوت لقد نجحت....

وضع عادل فناجين القهوة على الطاولة واستراح في مكانه ، قبض عامر على عنق فنجان القهوة ودلقه في فمه المحزوز بحماس ، طير ضحكاته ، عبقت الغرفة بالدخان الأزرق وأريج الهيل...

دقت الساعة تسع دقات ، قال عادل:

-ستدرس يا عامر

-أكيد

-وماذا قررت بشأن الفرع

-الحقوق يا صديق الحقوق

-ولم هذا الحماس

-بودي أن أصبح قاضياً

-ها... قاضياً

قال عادل ساخراً:

-ومن هو أول الموقوفين

أجاب عامر:

-هذا سر

-لا أسرار بين الأصدقاء

-أنت أحياناً محرج يا عامر

-ليس في الأمر ما يدعو إلى الإحراج

-حسناً... سيكون الموقوف الأول صديقنا صبحي

-وماذا ستفعل به ؟

سأتناول قبضة الهاتف ، وأدير القرص ، أحدث الجهة المختصة.

أوقفوا صبحي المهاوش ، عنوانه المساكن.. آخر الخط... بناية رقم.. وذلك على ذمة التحقيق وسترى سيارة مدججة بالسلاح والرجال.. تذهب إلى دار صبحي تدق الباب.

-أنت صبحي المهاوش ؟

-نعم

-تفضل معنا لحظة

-إلى أين

-قلنا تفضل معنا

وتمتد يد كبيرة تقبض على صدره ، تجره خارج البيت ، وهو يصيح لحظة يا ناس لحظة من فضلكم ثيابي دعوني أرتديها... وسيلقي في الزنزانة ، يفكر صبحي -ماذا فعلت... وينتابه الذهول وترتسم على وجهه علائم الحيرة هل رآنا أحد أمس.

لقد اخترنا الوقت المناسب للقاء ، سرنا سريعاً إلى زاوية مغمورة ، وهناك مدت "لمياء" عباءتها وجلسنا تبادلنا بعض الهموم المتعلقة بوسائل تأمين موافقة الأهل ، وعدنا..لا..لا..لا يمكن...!

منذ أن انخرطت في الوظيفة وأنا ملتزم بعملي أصيح حتى تذوب حنجرتي ولم أتطرق إلى أي موضوع سياسي أو جنسي أومعيشي ، يقولون عني أني صموت... صموت..

الصمت موت لكن هل أنا ميت..؟!

لكن يا عادل تأكّد من أنه سيتقلب على جانبيه ، والأرض يابسة ، سيصيح ، سيجمده البرد ، وسينفخ في يديه بطريقة مضحكة ، كأطفال المدارس آناء الصباحات الشتوية ، سيجوع ، سيتشهى كأس شاي وشيئاً من الهواء المنعش بطيئاً وثقيلاً سيمر الليل عليه ، يقطعه ، وعندما يصبح الصباح ، سيدق عليه الشرطي الباب ، وبدفعة قوية يخرج من الزنزانة ، صباح الخير.... إلى عملك أيها المعلم....

-نعم- ها- ما... كيف... وتتيبس على فمه الأسئلة وهو ينطلق خارجاً وبسرعة...

أردف عادل:

-لا يجوز يا رجل صبحي صديق طيب ، هل تفعلها معه ؟

-الله وكيلك أفعلها وأفعل أبوها أنسيت ماذا عمل معي في المهرجان...

-والثاني صاحب الحظ السعيد...

-فؤاد صاحب القصائد الجميلة.

-فؤاد.

-سأوقفه بتهمة التعدي على القاضي أربع وعشرون ساعة تكفي.. وبعدها ليبلط البحر ، سأراضيه بزجاجة بيرة ، وباكيت سجائر.

-اتق الله.. اتق الله -الحياة يا صديقي معركة... معركة حقيقية ، وليس من ضحية فيها إلا الرومانسي الضعيف أمثالك.. رشفات القهوة تتالى. فمه ترسل ضحكاتها المعتادة ، وبضحكه هذا نبت في ذهنه خناجر وسكاكين ، مسلات طويلة على شكل خوازيق ، ونبتات صبار وجماجم فارغة يدلق فيها مشروبه ويرفعها إلى فمه وهو يقهقه.. طفولته كيف طاردوه ، وظلوا يضربوه ، دونما رحمة حتى أشرف على الموت ، أمه التي قالت له:

"لكي تحيا يجب أن تقتل.. الحياة غابة.. غابة"

وتخيل قوس المحكمة وقد تحولت إلى عتبة ، جمع كل أصدقاءه فيها ، رآهم صغاراً يتحركون بين قدميه كديدان وهو يقهقه وأفواه المحامين تنفتح وتنغلق ، والمطرقة بجانبه يدق بها على المنصة ويوشوش المستشارين بجانبه كلمتين ثم يبتسم:

-القهوة بردت يا عامر.. اشرب قهوتك... فتناول عادل فنجانه ودلقها في حلقه دفعة واحدة.

..... يتبع .....

صباحكم أجمل/ همسات كَفر زيباد

"الهمسة الأولى"

بقلم وعدسة: زياد جيوسي

كَفر زيباد.. كنت أهمس لنفسي وأنا في الطريق إليها برفقة صديقي الشاب الأستاذ سامح سمحة ، وأخيرا سألتقيكِ وأستمع لبوح الجمال والتراث فيكِ، فمنذ أول زيارة لي للوطن بعد 30 عام من الغياب القسري منذ هزيمة 1967 كنت أزور كَفر زيباد زيارة سريعة لابنة عم لي وأسرتها كونها كانت تسكن البلدة بحكم زواجها فيها ، ومنذ تلك اللحظة كانت كَفر زيباد قد اقتحمت مني القلب والروح ، وأصبحت زيارتها مرة أخرى بعضاً من أحلامي بالتجوال في كل مكان يمكن أن أصله في وطني.

كانت لحظة نادرة تمكنت من التقاطها حين عرفت بوصول السيدة حسنية غنايم لبلدتها كَفر زيباد ، وهي السيدة المهتمة عبر مواقع التواصل الاجتماعي بمتابعة ونشر كل ما له علاقة بالتراث الفلسطيني، ورغم أني لم التقيها سابقاً إلا أني تواصلت معها لترتيب برنامج لزيارتي لبلدتها وتوثيقها ببوح القلم ورواق العدسة ، وهي لم تخيب ظني فيها فسرعان ما اتصلت بي وربطتني هاتفياً بالأستاذ فالح هلال مدير مدرسة كَفر زيباد الثانوية ، والذي وعدني بترتيب برنامج الزيارة بالكامل بعد أن عرف توجهاتي التي أرغبها في جولتي ، وحددنا الموعد الأسبوع التالي صباحاً متوقعين تحسن الحالة الجوية ، حيث كانت المنخفضات الماطرة تتتالى حاملة أمطار الخير ونعم الله علينا.

وما أن أعلمت صديقي سامح بهذه الجولة وهو الذي تطوع بالتجوال معي في العديد من المناطق في جيوس ونابلس وغيرها ، حتى أبدى استعداده لمرافقتي في هذه الجولة أيضاً واقترح أن يقوم بترتيب برنامج لزيارة كَفر عبوش المجاورة لكَفر زيباد أيضاً ، فهو يعلم رغبتي بالقيام بجولة في كل محور الكفريات والممتد من طولكرم إلى بلدة عزون ، والمعروف أيضاً بمحور الصعبيات نسبة لبني صعب الذين ينحدر من سلالتهم نسبة من سكان هذا المحور، وكَفر زيباد من هنا المحور ولا تبعد عن الشارع الرئيس إلا بحدود كيلومترين فقط .

في الطريق كانت علائم الربيع المبكر على الأراضي منتشرة فمنحت أرواحنا جمالاً آخر مع الهواء البكر النقي ، فسألت سامح: لم يطلق لقب عروس المدارس على مدرسة كَفر زيباد؟ فابتسم وقال: حين نصلها ستخبرك هي بالسر ، فبالتأكيد ستتجول فيها وتستمع لهمساتها ، فكل مكان تذهب إليه يبوح لك بأسراره يا عاشق الأمكنة ، فابتسمت وركزت روحي لتأمل الحقول الخضراء وحقول الزيتون وكلما اقتربنا من البلدة التي تعتلي التلال كعروس جميلة ، كنت أطلب منه التوقف وأنزل لالتقاط الصور لجماليات اللحظة وتوثيقها بعدسة القلب ، حتى وصلنا البلدة وبدأنا نسير بين البيوت باتجاه المدرسة وعدستي لا تتوقف عن التوثيق ، حتى وصلنا المدرسة وعبر ممر شجري متميز بجماليته اتجهنا للإدارة عبر ساحة منظمة وواسعة محاطة بالأشجار والورود تضم ملاعب رياضية للطلبة ، فاستقبلنا بكل حفاوة وترحيب الأستاذ فالح هلال مدير المدرسة والسيدة حسنية غنايم والسيدة هيفاء شعفاطي من سيدات البلدة والأساتذة نبيل غنايم ومأمون صالح ، وبعد احتساء القهوة والتعارف فاجأتنا إحدى سيدات البلدة بإحضار أرغفة الخبز المحشوة بالزعتر الأخضر ، ورغم أني أفطر مبكرا إلا أني لم أقاوم إغراء الزعتر الأخضر فأكلت بشهية مع أكواب من الشاي.

حين أنهينا الإفطار وجلسة التعارف بدأت الجولة في المدرسة ، وكنت أتعجل هذه الجولة لأعرف سبب لقبها عروس المدارس ، وأنتظر أن تبوح لي المدرسة بأسرارها ، فبدأنا الجولة حيث كنت أنظر لجدران المدرسة فوجدتها تحفل بلوحات جدارية جميلة بعضها تصور الريف والتراث ولوحة لبافا عروس البحر

ولوحة فيها حنظلة ، وعبارة لابد للقيد أن ينكسر وهذه اللوحات على الجدار الذي يفصل بين الطابق الأول والثاني من المدرسة ، بينما حفل الجدار للطابق الأول بلوحات مخطوطة بعبارات وحكم وآيات قرآنية وأشعار وكلها منتقاة بدقة لتكون موجهة لأرواح الطلاب وهم يرونها يوميا ، وبعدها بدأنا الدخول لبعض الصفوف والتعرف إلى الطلبة وأجوائهم وأساليب التدريس والمدرسين ، وكانت فرصة أن عرفوني إلى بعض الطلبة من أبناء بلدتي جيوس والذين اتجهوا للدراسة في هذه المدرسة لتميزها ، ومن الجميل أيضا مستوى النظافة والترتيب في كل صف وركن تجولنا فيه.

وصلنا لقاعة المكتبة المزودة بعدد كبير من الكتب المهمة للطلبة وغير الطلبة ، ولفت نظري أيضا لوحات تصور علماء وأدباء وشعراء ومفكرين وشخصيات تركت بصماتها في تاريخنا العربي وفي ذاكرة فلسطين أيضا ، وبدأت افهم سر لقب عروس المدارس حين شاهدت ذلك وشاهدت يافطة داخل المكتبة كتب عليها: "تم تجهيز هذه المكتبة بكامل أثاثها وموجوداتها باستثناء الكتب صدقة جارية عن روح المرحوم علي جبر أحمد حماد" ، وهذه اليافطات منتشرة بأكثر من موقع في المدرسة وتدلل على حجم انتماء أهل البلدة لبلدتهم وتبرعاتهم للمدرسة لكي تكون متميزة ، فهذه المدرسة تخرج كل عام طلاب ثانوية من الأوائل على مستوى فلسطين ، وقبل خروجنا من المكتبة لفت نظري جدار عبارة عن لوحة شرف يضم صورا مؤطرة لكل المدراء الذين تولوا إدارة المدرسة ، وهذه التفاتة رائعة بحق أولئك الجنود الذين قادوا مسيرة التعليم بإخلاص ونكران ذات، سواء من أعلنت أرواحهم الرحيل أو ما زالوا على قيد الحياة.

وأثناء تجوالنا لفتت نظري يافطة رخامية تشير أن المبنى المدرسي وتشطيبه وتأثيثه وتجهيزه على نفقة المحسنة الشيخة شيخة بنت حمد سعيد الفلاسي، ويافطة أخرى تشير أن الطابق الثاني تم إنشاؤه وتشطيبه على نفقة المهندس مُحَمَّد نبيه طاهر علي غنايم عن روح ولده المهندس فارس ، فترحمت عليه وقرأت الفاتحة لروحه ، ومن ثم صعدنا إلى قاعة المسرح في المدرسة ، وهي قاعة واسعة تصلح لاحتفالات كبيرة حيث تزيد سعتها عن 300 مقعد في تقديري ، مع خشبة مسرح على عرض القاعة مزودة بالأجهزة الصوتية والإنارة وستار مسرح ، وأعتقد أنه يدوي وليس على الكهرباء كما يفترض بهكذا مسرح تفتقده بعض المدن ، والمسرح يحمل اسم الشيخة "شيخة" تكريما لتبرعها الكريم والسخي ، واستقبلتنا معلمة اللغة العربية السيدة أمل عبد اللطيف غنيم، وكانت تقوم بتدريب الطالبات على مسرحية حضرنا بعضا من تدريباتها ، وهي جزء من نشاطات المدرسة لتطوير قدرات الطلاب والطالبات، وسعدت أنها من بلدتي ومتزوجة وتعيش في كَفر زيباد.

أكملنا الجولة في مختبر الصوتيات وحقيقة فوجئت بوجوده بمدرسة وأنا الذي لم يره إلا في الجامعة ، ومنه إلى مختبر الحاسوب المزود بعدد كبير من الأجهزة الحديثة ، ومختبر المدرسة الحديث ، ومعرض لإبداعات الطلبة على طول ممر طويل ، وكم شعرت بالفخر أن هذه القاعات والأجهزة كلها تبرعات من أهل البلدة، وشاهدت لوحة جميلة مرسومة على الجدار على شكل غصن وفراشات ، فأعلموني أنه ظهر شق رفيع بقصارة الحائط وقام أستاذ الفن بتحويله إلى لوحة جميلة ، لننهي الجولة بزيارة مزرعة المدرسة والقائمة على الزراعة العضوية ، ويقوم بالزراعة فيها طلاب المدرسة ويشترون غلتها بمبالغ رمزية تشجيعية ، فتذوقنا بعضا من هذا الإنتاج الجميل ، وحين أنهينا الجولة شكرت الأستاذ فالح وكل من رافقونا في الجولة متجهين برفقة الأستاذ مأمون صالح والسيدة حسنية غنايم والسيدة هيفاء لزيارة مقر جمعية كَفر زيباد الخيرية وروضة الايمان ، واللقاء بمديرها الأستاذ عدنان غنايم مدير المدرسة سابقا قبل تقاعده من سلك التعليم ، ليحدثنا عن البلدة وجهود الجمعية لخدمة المجتمع المحلي ومشاريع إثراء المرأة ، ودور الروضة بتأسيس جيل يجري الاهتمام به كما العناية ببراعم الأزهار قبل أن يلتحقوا وهم مؤهلين بالمدارس ، لنكمل بعدها جولتنا في البلدة التراثية التي تروي حكايات من التاريخ وهذا ما سيكون الحديث عنه في الهمسة الثانية ، فكَفر زيباد ؛ وهي تعود لمرحلة الممالك الكنعانية في منطقة طولكرم أخذت اسمها من هذا التاريخ الضارب الجذور لأجدادنا منذ بداية الحضارة ، فاسمها مشتق من اللغة الآرامية ويعني "قرية زبد" وزبد هو إله الكرم والعطاء عند الكنعانيين ، فأصبحت تعني قرية الكرم والعطاء ، وهذا من سمات أهل البلدة المتوارثة أبا عن جد ، ورغم مساحتها الصغيرة فهي لا تتجاوز 7100 دونم ، إلا أن عطاءها كبير.

نسمات باردة في هذا الليل الرمضاني في عمَّان عاصمة الجمال والهوى ، استذكر زيارتي لكَفر زيباد وكَفر عبوش ، وأنا أستمع لشدو فيروز مع فنجان قهوتي وهي تشدو: "بيقولوا زغير بلدي ، بالغضب مسور بلدي ، الكرامة غضب ، والمحبة غضب ، والغضب الأحلى بلدي ، ويقولوا قلال ، ونكون قلال، بلدنا خير وجمال.. يا صخرة الفجر وقصر الندى يا بلدي" ، فأهمس: ولنا لقاء آخر كفر زيباد بعد عودتي للوطن ، فصباحكِ وصباح الوطن وكل أحبتي .. صباحكم أجمل.

حسن سليفاني

گولستان والليل

رواية قصيرة كوردية (6)

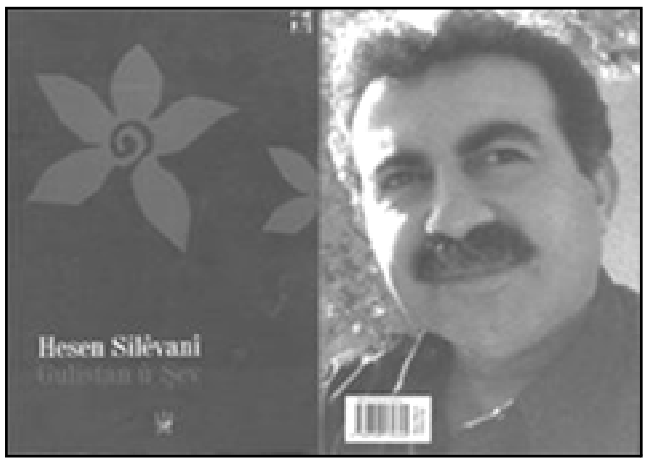

ما كنا نتمكن أن نتحدث مع بعضنا من كثرة أسئلة الطفلين ، من أين كانت تأتيهم كل هذه الأسئلة ؟

-أبي لا تذهب إلى العسترية بعد الآن.... أتسمعني يا أبي ؟

-لماذا يا ولدي ؟

-هكـذا يعجبنـي... العسـترية لا تـدعك أن تجلـب لـي البرتعال كل يوم..

-أو لا تشتري لك والدتك البرتقال ؟

-لا أريـد برتعالاتهـا..ل...لتأخـذني إلـى الـدكان وتشـتري لـي البستويت.

-شينوار لا يعرف أن يقول عسكرية ، انه يقول عسترية...

-لأنـه لا يـزال صـغيرا يـا اردلان ، انـه بيبـي ، حينمـا يكبـر ويصبح في سنك سيجيد الكلام بوضوح..

-أبي لقد تعبت ، احملني على كتفك..

- ليس الآن ، حينما نصل باب الحديقة حينذاك. تشجع يا صغيري..

-اااماه.. أماه إذن احمليني أنـت..أ..أ..أنا سـأعطيك حلـوى.. لقـد أخفيـت قطعـة حلـوى تحـت سـريري لكـي لا تأخـذها قتّتي(قطّتي)

أخذتني به رأفة وقلت لوالده:

-أحمله يـا رجـل.. ألا تقـدّر مقـدار تعبـه ، مـا عـادت سـاقاه تحملانه ، يا لقسوتك !.

انحنى عليه وابتسم له:

-وهل ستعطيني قطعة حلوى ؟

-ئا..ئا.. واحدة بس.

-تعال حبيبي.. يا ولدي العزيز..

عندما حمل شينوار ، حينها سأل أردلان والده:

-أبي.. لماذا لم اتعب أنا ؟.

-لأنك رجل نشط يا ولدي..لقد كبرت .

-لا والله لست رجلاً..مازلت صغيراً.. أين شارباي.. حينما ينبت لي شاربان مثلك سأكون رجلاً..

-من قال لك ذلك ؟.

-أمي قالت.

التفت الطفل ناحيتي وأكمل حديثه:

-أليس كذلك يا أماه ؟

-نعم يا نور العين يا ولدي..

حينما وصلنا الجسر صرخ أردلان:

-هوهو ، انظروا إلى طيور الماء كم هي كثيرة !.

كانـت أشـعة الشـمس ترقص بفرح علـى الحـان سـيمفونية رقيقـة علـى وجـه دجلـة الباسـم. علـى ضفّتي النهـر كانـت تنتشر أسراب من طيور الماء. أحيانا كانت بعضها تهاجم الماء بقوة وتغوص إلى الأعماق مثل الطلقة ، وسرعان ما كانت ترتفع ثانية إلى السماء.

قارب صـغير ليس فيـه احـد كان يرقـد بخمولٍ في الضفة الأخرى.

-لمَ يا أماه تعشق هذه الطيور الماء وتظل فيه ؟.

هذا ما قاله اردلان لي.

وأنا أحدق بشوق إلى أمواج النهر قلت له:

-إنها تصطاد السمك لأنفسها.

-كيف ؟

-أووه ، يكفي ، وكيف لي أن اعلم..

-أبي كيف تصطاد السمك ؟

-بمناقيرها تصطاد السمك.

-أين التَمَكْ ؟.

-السمك في الماء يا ولدي.

-صيدوا لي واحِدة.

-ليس بوسعنا ذلك.

قال أردلان:

-قلْ لطير الماء أن يصطاد واحدة لشينوار يا أبي !.

- يبدوا انك من الآن قد خرجت عن طورك ، ولن نستطيع السيطرة عليك يا أردلان.

-لا تتحدث هكذا عن ولدي ، هو لم يقل شيئاً.

-نعم ، نعم ، لا تتكلم عني هكذا ، وهل أنا مازلت صغيراً ؟.

-ما هذا الحلف يا ولد ، يبدو انك وأمك متفقان جداً.

-وهو كذلك أنا وولدي متحالفان معاً ، فاحذر !.

حينما اجتزنا الجسر ، التفتَ ثانية خلفه ونظر إلى النهر الذي خلفناه وراءنا. كل واحد منا امسك بيد طفل ، واجتزنا مبنى البلدية ، بصعوبة ، اجتزنا الشارع الغاص بالسيارات إلى الجانب الآخر. بعد دقائق صرنا وجهاً لوجه قبالة تمثالي الأسدين المصبوغين باللون الأبيض ، لا ادري أي عاقل قد أمر بصبغه باللون الأبيض ، أليس في مخهم ذرة عقل ؟ من رأى أسدا أبيض ؟.

في ذات اللحظة التي رأى فيها أردلان الأسدين قال:

- انظر يا أبي ، هذا هو الأسد ، هوو كم هو كبير.. انظر انظر كيف يسيل الماء من فمه..

من على كتف والده صاح شينوار:

-أين الاثد ؟..أين ؟

ردَّ عليه أردلان:

-هذا هو..ألا تراه.. هوو يا لذنبه الطويل..عوع..عوع..

ساله والده:

-أتحب الأسد يا أردلان ؟.

-نعم يا أبي انه صديقي ، أنا لا أسير حافيَّ القدمين أبدا ، لهذا لن يأكلني..ذات مرة رأيته في التلفزيون يطارد الأطفال الحفاة..

-نعـم.. نعـم يـا ولـدي الأسـد يحـب الأطفـال النظيفـين ، ويصـادقهم ، إيـاك أن توسـخ نفسـك هـا وإلا فـإن الأسـد سيزعل منك..!!

-حسناً يا أبي... حسناً...

-الاثد يصيح "هوو...هووو...هو" بصوت عالي.

الاثد قـذر..قتتي جميلـة وعاقلة وتقـول" ميوو...ميـوو..ميـوو "وأنا أيضا أقول لها " ميوو... ميوو... ميوو..."

-كفى إلى متى تبقون حول الأسد ؟

-عفوك سيدتي ، هيا تقدمينا...

-مع السلامة أيها الأسد ، مع السلامة يا صديقي

-قذر ، قذر أنت أيها الأثد

مـن خـلال الخطـوط البيضـاء اجتزنـا الجانـب الآخـر مـن الشارع ، سياج الحديقة العامة أصبح مقابلا لنا ، سرنا بضع خطوات ، اتجهنا يساراً ، أصبحنا في مدخل الحديقة التي كانت تفوح برائحة الورد والرياحين دخلنا الحديقة....

لم يتمالك اردلان نفسه ، أسرع إلى حيث الزهور.

قال شينوار لأبيه:

-أنزلني يا أبي ، سأذهب إلى اردلان

بهدوء انزله من كتفه ، وقبلهُ..أسرع شينوار إلى أخيه..

قال الأب لهما

-كونـا عـاقلين ، لاتقطفـا الإزهـار ، كـي آتـي بكمـا دومـاً إلـى هنا...

قال اردلان

-حسنا أبي حسناً.

لكن شينوار التفت إلى الخلف باسماً وقال:

-سأقطف زهرة واحدة !!

-سأزعل منك ، إياك.

-لا....لا...لن افعل.

أسرعا إلى رياض الزهور المتفتحة الملونة.

كانت أصوات الطيـور المتنوعـة وزقزقـة العصـافير تمنحني حيوية ونشوة كبرى.

جلسنا أنا وهو على مصطبة واسعة. عدد من الطلاب كانوا مشـغولين بـالقراءة... وصوت الأطفـال كان يـأتي من الطـرف الآخر.

قال لي ضاحكا:

-أهلا بك يا گولستان.

-أهلا حبيبي.

-المساء جميل أليس كذلك ؟

-رائع جدا ، جنة معك.

-هيا جمّلي المساء بكلماتك الطيبة.

-هل ستسخر ثانية من كلماتي ؟

-أمجنون أنا يا مجنونة ؟

-هذه الحديقة الشاسعة رائعة.

- هذه الحديقة كانت ملتقى الشبان الكرد ، لاسيما الطلبة... كل أيـام الجمعـة كنا نلتقي هنـا. لقـد قرأت كثيـراً في هـذه الحديقة... لنا ذكريات كثيرة في هذه الحديقة.

-والآن !

-كل واحد مضى في سبيله

-كيف أنت والأوراق والكتابة الآن ؟

-ليس على مايرام

-لَمِ ؟

-الضـابط يكـره الكتـب ، ويجـن جنونـه عنـدما يـرى أحـدا يقرأ... قبل الإجازة بأيام كنت جالسا على مقعد المدفع وأقرأ قصـة ، فجـأة سـمعت صـوت ارتطام أقـدام ، وقـال صـديقي القريب مني:

-خبأ الكتاب. جاء قدّوري.

قبل أن أتمكن من إخفاء الكتاب ، صرخ في وجهي بصوت جحش طائش:

-دلجاد جـم مـرة كلـت لـك لا تقـرا.... لا تقـرا... إذا الطيـارات جت شـن كوللهم... يا بـا دقيقـة خلي دلجاد يخلص القراية وبعـدين ؟ رئـيس عرفـاء عبـد دخلـو بـدفتر الـذنب... أنـت مايفيد وياك ، جيب الكتاب جيبو... آني أعلمك العسكرية. سحب الكتاب بقوة من يدي... وطيّره في الهواء ، ودخـان الغضب كان ينزف من انفه...

بهدوء قلت للضابط:

-لا خطورة كبرى الآن ، لـم نسـتلم أيـة أوامر مشـددة بشـأن الطيـران المعـادي. نحـن الآن فـي وضـع طبيعـي وحالـة اعتيادية ، آخر أمر حسب السجل هو الرمي مقيّد. لا أعتقد أن القراءة مضرة...

-ئو فوكها هم تحجي !!

-ليش الحجي هم ممنوع ؟

-كـل شـي ممنـوع عينيـك عالسـما وبـس... احنـا لازم نحـرك الجو حرك.... افتهمت يا وَلْ ؟

-زين والرادارات شنو شغلها.

-حضرة جنابك تستنكف دكول سيدي ، مو دلجاد ؟!

-لا العفو ، بس نسيت سيدي.

-رئيس عرفاء عبد اكتب بدفتر الذنب. الأفندي يستنكف يكول سيدي لآمر الرعيل... عود يم الآمر تفلسف براسي.

-زين سيدي هاي هم كتبتها.

-آني أعلمك العسكرية اشلونها يا دلجاد اصبر علي ـاصبر..

-أذن كيف تقضي وقتك بلا قراءة وكتابة ؟

- ليضرب رأسه بالحجر ، أو تعتقدين أني سأمتثل لأمره ، أنا أقرا واكتب ولكن في الخفاء وبسرية تامة.

..... يتبــع .....

كازانوفا في كولن

عبدالباقي حسيني

مجرد أن يتحرك "أفيندار"، تلتفت الأنظار إليه، يتوقع المرء بأن شيئاً جميلاً ما سيحدث، فهو معروف لدى أصدقائه بثقافته العالية وحنكته المميزة وإحساسه المرهف. كل تصرفاته كانت محسوبة ومدروسة. يحاول أفيندار قدر الإمكان إدخال السعادة إلى قلوب الآخرين، وخاصة إلى قلوب النساء.

في فترة المراهقة كان لديه دفتر خاص به يدون فيه مغامراته، يكتب فيه بشكل يومي من التقى بهن من الفتيات ومن بادلته العواطف والحب، فكان يكتب اسم الفتاة في أعلى الصفحة، ثم يبدأ بوصفها من القدم حتى الرأس: قوامها، ثيابها، مكياجها، أفكارها، يفصفص كيانها، يحللها من جميع النواحي. من خلال هذا الدفتر المليء بالأحداث الغرامية، أصبحت لدى أفيندار خبرة كبيرة بعالم النساء.

وخارج عالم الجنس اللطيف، فقد كان له أصدقاء من "الجنس الخشن"، أيضاً وكانوا من النخبة: كتاب، سياسيين، فنانيين. الكل كان يعرف أن أفيندار يملك قلباً رقيقاً ولساناً جميلاً، وهو سريع الوقوع في حب النساء. في المقابل كانت له شعبية واسعة عند النساء والفتيات، يطلقون عليه لقب "كازانوفا الكردي". عندما كانت تناديه إحداهن ب "كازانوفا"، لم يكن يأخذ على خاطره، كان يستلطفها ويتقبل منها هذه "المزحة".

كان أفنيدار من الرجال الأنيقين، يهتم بشكله وهندامه كثيراً، فهو رجل عصري، يتصرف في الحياة ضمن بروتوكولات معينة، لذا فقد كان مرغوباً به لدى شريحة واسعة من النساء والرجال. في بعض الأحيان كان أصدقاؤه يمازحونه ويقولون له: كفاك النظر إلى هندامك ومسح "الغبار" عنه، أنت وسيم حتى بدون هندام.

طريقة أفيندار في التعامل مع النساء كانت مميزة، فمعظم كلامه معهن كان شعراً وسجعاً محبباً، فهو مرن ودبلوماسي ويجامل كثيراً. كان يغريهم بأفكاره وهداياه الرمزية، ولكي يوقع إحداهن في شباكه كان يقول لها: إنني مشغول بكتابة قصيدة عنك أو بصدد رسمك عبر اللوحة القادمة. أفيندار كان متعدد المواهب، إذ إنه بالإضافة إلى أنه رسام تشكيلي محترف، فقد كان ينظم بين حين وآخر بعض الأشعار.

في إحدى المرات قرر أن يقيم عدة معارض فنية في مدن أوربية مختلفة، وكانت على رأس القائمة مدينة كولن الألمانية. اختار أفيندار "كولن" بذكاء، فهو لديه فيها وفي ضواحيها معجبون كثر وعلى الأقل ما بين ثلاث إلى أربع معجبات، لا بل عشيقات. فبدأ ببرنامجه من هذه المدينة، قام بحجز فندق راق -خمسة نجوم- لنفسه وكذلك استأجر إحدى قاعاتها لعرض لوحاته الفنية فيها. كان يقول في داخله:

سأصيد عصفورين بحجرة واحدة، في الفندق سأفتح معرضي وبنفس الوقت سألتقي مع عشيقاتي، فهنا مجال لكي أراهن بعيداً عن الأعين، وبمقدورهن أن ينمن عندي أيضاً.

كتب أفيندار إعلانات معرضه ونشرها على وسائل التواصل الاجتماعي، كتب في صفحته على الفيسبوك وفي قسم "حالتي" على الواتسأب وفي حسابه على التويتر، كما عرض بعض لوحاته على تطبيق السناب شات وتطبيق الانستغرام. عشيقاته في كولن علمن بمجيئه، وأنه سيكون هناك غداً، وسيكون بعد غد افتتاح المعرض.

عشيقته الأولى "بارين" كانت على علاقة مع أفيندار منذ زمن طويل، تعرفه منذ أيام البلد- قامشلو، عندما كانا يعملان معاً في الدائرة نفسها. الآن بارين متزوجة وكذلك أفيندار، إلا أنها تحبه وهو يبادلها نفس الشعور. علمت بارين عن طريق الانترنيت أن أفيندار سيكون في كولن غداً، لكن حظها العاثر لم يسمح لها أن تلتقي به هذه المرة، فهي وأولادها وزوجها على وشك السفر إلى تركيا في يوم وصوله ذاته، فقامت بكتابة بعض العبارات الجميلة إليه على الواتسآب، تعتذر منه على عدم تمكنها حضور معرضه والالتقاء به، فهي مجبرة أن تسافر مع عائلتها إلى تركيا للسياحة، فحقائبها "مضبوبة" الآن وهي على وشك السفر بعد ساعات معدودات.

عندما قرأ أفيندار رسالة بارين، أصيب بخيبة أمل، مد يده اليمنى خلف رقبته وبدأ يحكها، ويتمتم: آخ منك أيتها المفتونة، صاحبة المؤخرة الجميلة، لقد أفلت أنت أفلت من يدي هذه المرة، كنت سأشبعك حباً وقبلات، لكن ها أنت ستغادرين هنا بعد ساعات،.. دخل لبرهة في حالة من التأمل، بعدها انتابه بصيص من الأمل، وقال: لابأس، لدي هنا مايعوضني عنها.

العشيقة الثانية هي "جين"، فتاة مثقفة متعددة المواهب، تعرفت على أفيندار من خلال الفيسبوك، وأصبحت تكتب له على الخاص إعجابها به وبفنه، وهو الآخر يبادلها العشق والغرام. تعمقت العلاقة بينهما أكثر عندما سافر أفيندار ذات يوم إلى كردستان العراق، حيث تقيم جين هناك مؤقتاً. التقيا، بلقائها انتقلت كل العلاقة النظرية والأفتراضية بينهما إلى علاقة حب وغرام حقيقي. جين وقتها كانت تجهز نفسها للسفر إلى أوربا والالتحاق بعائلتها. بعد أشهر من لقائهما الحي، أصبحت جين في ألمانيا وسكنت مع أهلها في إحدى ضواحي مدينة كولن.

عندما سمعت أن أفيندار أصبح في كولن، بدأت ضربات قلبها تزداد خفقانا، وكانت على أحر من الجمر للقاء به، لكن القدر حال ألا يكونا معاً هذه المرة، كون عائلتها فقدت أحد أفرادها، وهم في حالة حزن شديد. فهي مجبرة أن تكون معهم في العزاء. فكتبت لأفيندار على المسنجر: عزيزي أفينو، كم كنت أود أن التقي بك وأحضنك وأشم عطرك الفهرنهايتي وأعيشك لحظات حلوة، لم تعشها حتى مع زوجتك، لكن لا نصيب لي فيك هذه المرة. عائلتي فقدت أحد أبنائها وهم في حالة عزاء، أنا مجبرة ان أكون قريبة منهم. اعذرني!!

صدم أفيندار من كلامها، ومد مرة أخرى يده اليمنى خلف رقبته وبدأ يحكها، ويتمتم: أيتها الرقيقة والرشيقة ذات الدم الخفيف والجميل، لقد أفلت أنت الأخرى من بين يدي هذه المرة، كم كنت في شوق أن أضمك إلى صدري وأتلمس شعرك الطويل وأقبلك من شفتيك القرمزيتين، لكن يبدو أنني سأعود إلى عالمي الافتراضي معك بعد أن عشنا معاً عالماً حقيقيا في كردستان. بعد برهة من السرحان والتخيل عاد إلى رشده وقال: لماذا هذا التأمل الطويل، لدي العشيقة الثالثة وهي التي تستقتل لكي تراني.

العشيقة الثالثة "هيفي"، المتيمة في حب أفيندار، والتي لها رغبة شديدة في رؤيته، فهي تكتب له بشكل يومي على الواتسآب رسائل عشق وترسل أحدث صورها إليه. صور بفساتين جميلة وألوان زاهية. صور شبه عارية، تظهر فيها ملامحها الأثنوية المغرية، ترسل له قبلات، شفاهاً حمراء، أغاني رومانسية، تسمعه صوتها الرخيم،.. وفي بعض الأحيان يتبادلان الحديث الرومانسي عبر السكايب والفيس تايم.

بدأت صداقتهما عبر الفيسبوك قبل سنتين، تحديداً عندما كانت هيفي في تركيا. كانت تتصل به بشكل دائم، تبدي رغبتها في المجيء إلى أوربا وتحديداً إلى البلد الذي يعيش فيه أفيندار. وقتها قدم أفيندار لها الكثير من النصح والملاحظات عن عملية اللجوء والفيزا والأمم المتحدة والطرق غير الشرعية للوصول إلى أوربا. بعد محاولات عدة أصبحت هيفي في أوربا، وهي في طريقها إلى بلد أفيندار تم القبض عليها في ألمانيا وأجبرت على أن تقدم لجوءها (طلب اللجوء) هناك. بعد حصولها على الإقامة تم تسكينها في إحدى البلديات القريبة من مدينة كولن.

كانت هيفي امرأة مطلقة، عمرها لايتجاوز أربعين عاما، لديها ابنة ذات ال ستة عشر ربيعاً، تعيشان معا. أفيندار لم يكن يعرف أن هيفي لديها فتاة بهذا العمر، كون شكلها يوحي على أنها فتاة في العشرينات أو الثلاثينات من العمر، فقد كانت مشغولة دائما بجمالها ومكياجها وقصات شعرها، فهي جميلة، رشيقة، لديها نهدان مغريان، من الحجم الكبير. عندما ترتدي هيفي فستاناً ضيقا، يكون شكل نهديها كمن ينادي "هيا على الفلاح".

اتصل أفيندار بهيفي هاتفياً وقال لها: ها أنا هنا في مدينتك، جهزي نفسك لكي نتقابل، أسكن في الفندق الفلاني، وها هو عنوانه. إنه فندق رائع، يناسب مقامك العالي. شعر أفيندار وهو يتكلم معها، لا صوت منها ولا إحساس. استرسل في كلامه وقال: غداً سيكون افتتاح المعرض، أتمنى ان تكوني موجودة، وبإمكانك ان تجلبي أصدقاء لك إذا أحببت.

كان أفيندار على أمل أن عشيقاته الثلاث ستحضرن معرضه وستفرحن قلبه العاشق وستساندنه في فعاليته هذه، لكن يبدو أنه أخطأ في التوقيت، فلا تجاوب من إحداهن. كلهن مشغولالات. حاول أفيندار مرة ثانية أن يهاتف هيفي، لكن لا جواب. في المساء انتابت أفيندار حالة من الذهول، كيف لا تتصل به هيفي، وهي التي كانت تتمنى مثل هذه اللحظة. راودته أفكار غريبة:

هل هيفي في مصيبة؟ هل هي مريضة؟ على الأقل كان عليها أن تقول لي ما الذي يشغلها. الآن بعد أن صرت بالقرب منها فهي تريد الابتعاد عني، لا أصدق!!. جرب أفيندار مرة أخيرة أن يهاتفها ويسمع قرارها النهائي. ردت هيفي وقالت: عزيزي أفيندار، صدقني لا أعرف ماذا سأقول لك، أنا آسفة جداً وحزينة ألا ألتقيك هذه المرة. الحقيقة كانت لدي خطة أن أراك وأبقى معك منذ مجيئك ولغاية الانتهاء من المعرض، لكن مقصوفة العمر "ابنتي" عطلت كل الخطة. ربما انك لا تدري أن لدي ابنة، اسمها " آواز" هي في مرحلة المراهقة، كانت خطتي أن أبقيها في بيت عمتي خلال وجودك هنا وأنا أبقى معك، لكنها رفضت أن تذهب إلى بيت عمتي، وأنا لا أستطيع أن أتركها وحدها في البيت، ومازال الحديث بيني وبينها مستمراً في هذا الموضوع، حقيقة لا أعرف كيف سأتصرف.

رد أفيندار عليها وقال: أقدر وضعك. طيب، حاولي أن تقنعيها بالمجيء معك إلى المعرض، سأكون سعيداً برؤيتك ورؤية ابنتك آواز. فأنا في انتظاركما غداً صباحاً. استودعها على أمل اللقاء.

في اليوم الثاني، تم افتتاح المعرض، كان إقبال الضيوف والاأصدقاء لابأس به. الكثير من أصدقاء أفيندار يعرفون إمكاناته الفنية، كانوا يبدون إعجابهم بلوحاته وفنه. كل الضيوف لم يلفتوا انتباه أفيندار، كانت عيناه دائماً في ترقب بقدوم هيفي وابنتها.

انتهى وقت المعرض، ذهب الزوار. للمرة الثالثة رفع أفيندار يده اليمنى خلف رقبته وبدأ يحكها ويتمتم:

أم الصدر الكبير أيضاً لم تأت، ما هذا العشق التعيس يا ربي، ولماذا لقب الكازانوفا؟ الآن تأكد لي أن كازانوفا رجل فاعل بدون فعل. هل معقول أن يصدف أن ثلاث عشيقات ينشغلن في الوقت، كنت في انتظار واحدة منهن على الأقل لتواسي هذا القلب المفجوع والموجوع!.

تاريخ الأكراد في عمان

- الحلقة الأولى -

د. محمد علي الصويركي

يعتبر الربع الأخير من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين الفترة الزمنية التي قدم بها الأكراد الى شرقي الأردن خلال العهد العثماني الأخير ، وقد جاء القسم الأكبر منهم من حارتهم المعروفة باسمهم (محلة الأكراد) أو (صالحية الأكراد) أو (حيّ الأكراد) في مدينة دمشق ، وعمل أغلبهم في سلك الدرك والجيش (الزاندارمة) ، وفي جباية الأموال الأميرية ، والتزام الأعشار ، والتجارة مع السكان المحليين ، وامتهان الزراعة ، وممارسة الحرف المختلفة ، ومع مرور الأيام استقروا في البلدات والقرى الأردنية في عمان وإربد وعجلون والسلط ، وتظهر عقود الزواج في (سجلات المحاكم الشرعية) أن الأكراد تزاوجوا مع السكان المحليين ، ولم ينعزلوا في أحياء خاصة بهم ، وانسجموا مع الحياة الاجتماعية السائدة في المنطقة.

عندما أخذ تجار دمشق من العرب والأكراد بالتوجه الى قرى شرقي الأردن في حدود الربع الأخير من القرن التاسع عشر لممارسة التجارة مع السكان من البدو والحضر في مدن الأردنية مثل عمان والسلط ومأدبا ، ومع مرور الأيام استقر بعضهم في هذه المدن وقراها ، وتملكوا المباني والأراضي ابتداء من عام1293هـ/1876م ، ولا يزال أحفادهم إلى اليوم يمارسون العمل التجاري في الأماكن التي أقام فيها أجدادهم وأباءهم ، وشكلوا جزءا من النسيج الاجتماعي الأردني ، واحتل بعضهم مناصب قيادية في الدولة الأردنية من مدنية وعسكرية.

وقد أسهم دخول خط (سكة الحديد الحجازي) العثماني إلى الأراضي الأردنية في مطلع القرن العشرين في تنشيط الحركة التجارية بين دمشق والقرى الأردنية ، فقد بدأ العمل بالخط في31آب 1900م ، وتم افتتاح خط درعا —عمان في أيلول 1903م ، وعمان -القطرانة 1904م ، والمدورة م1906م ، ومعان -تبوك 1907م ، وعمل به نحو (500) عامل ، وقام التجار الشوام بتسويق البضائع الدمشقية في القرى الأردنية ، والمتاجرة في بيع وشراء منتجات المنطقة من الحبوب والثروة الحيوانية (7) ، ويتضح بأن البلاد كانت مفتوحة للوافدين من مختلف البلاد المجاورة كفلسطين ومصر وسوريا ، ومنحوا فرص العمل والتملك ، واختلطوا بالسكان المحليين ، وحصلت بينهم المصاهرات ، وشكلوا وحدة اجتماعية جديدة وفعالة لمجتمع تشكل بالتدريج.

ويمكن القول بان الأكراد قدموا إلى الأردن طوال العهد العثماني للمشاركة في العمل الحكومي كضباط وجنود في الجيش ، والشرطة "الجندرمة أو الدرك" ، وكموظفين ، وجباة أموال ، ومأموري حراج ، وموظفي بريد ومحاكم ، أو للعمل في التجارة والزراعة والصناعة وخاصة في مهن النجارة ، والسروجية ، والخياطة ، والميكانيكا ، وتقلد بعضهم مناصب قيادية عسكرية وإدارية وقضائية بسبب كفاءتهم ، وإخلاصهم ، وولائهم.

أما بخصوص استقرار الأكراد في مدينة عمان ، فيعد الأكراد من أوائل من استقر بها بعد الشراكسة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي ، وكان عددهم كبيراً جداً ، ويسكنون في حارة خاصة بهم عرفت باسمهم (محلة الأكراد) حسبما ذكرت المصادر التاريخية ، وعرف (توفيق محمد) مختاراً لهذه المحلة (الحارة).

يعد (فرج بن علي الكردي) من أوائل الأكراد الذين سكنوا مدينة عمان في حدود سنة 1887م ، حينما قدم إليها من مدينة (أورفة=الرها) الواقعة اليوم في كردستان الشمالية ، وبعد فترة وجيزة قدم إليه أخيه (غطاس) وأبناء أخيه (علي و محمد) واستقروا في عمان ، وقد أشارت (سجلات المحاكم الشرعية) التي تعود لسنة 1900م إلى (فرج بن علي الكردي) وجاء فيها: "أن فرج بن علي الكردي وأخاه غطاس بن جاويش عمر من الكرد المقيمين في عمان..." , كما أشارت إلى محضر عقد زواج تم في منزل (فرج بن إبراهيم الكردي) المقيم في عمان بتاريخ 8 آب 1900م, وكان شهود التعريف محمود بن حسن بن خان الكردي, ومحيي الدين أحمد بن مصطفى الكردي.

كما يأتي ذكر (علي الكردي) بصفته أحد سكان عمان في قضية رفعها سليمان بن داود بن عصفور من نابلس والدكنجي والمقيم بقرية عمان ضد حسن برق خان نفر زاندارمة محافظ على المهاجرين على الزرقاء (حجة رقم (120) يوم الخميس 22 شعبان سنة 1321هـ الموافق لتاريخه 11 تشرين الثاني 1903م ، وقد أخذ كل من علي الكردي ومحمد الكردي يمارسان مهنة التجارة مع بدو المنطقة ، ونجحا في تجارتهما ، ومع مرور الأيام أصبح علي الكردي من كبار التجار والمتعهدين في عمان ، فمارس التجارة مع البدو والحضر القاطنين بجوارها ، وعمل متعهداً لتوريد مواد البناء إلى مشروع سكة حديد الحجاز المار بأراضي شرقي الأردن خلال العهد العثماني بين سنوات 1903-1908م ، وبعد تأسيس الإمارة الأردنية عام 1921م أصبح علي الكردي من كبار رجالات الوطنية والسياسة في مدينة عمان.

كما يعزى لعلي الكردي بناء عمارة له يشغلها اليوم (فندق الملك غازي) سنة 1926م ، ولا زالت قائمة في شارع السعادة بوسط البلد بعمان ، وتعد من أقدم مفردات التراث المعماري لفي المدينة ، فكانت مقراً لأول محكمة أنشئت في عمان عام 1927م ، ومقراً لوزارة المالية حتى عام 1927م ، ثم تحولت الى (مقهى حمدان) الشهير في الفترة ما بين أعوام (1927-1929م) مع بعض الأبنية الملاصقة لها ، وهو المقهى الذي عقد فيه المؤتمر الوطني الأردني الأول برئاسة الشيخ حسين الطراونة في 1928/7/25م ، وقد تحولت منذ نهاية الثلاثينيات الى أوتيل الكردي نسبه لمالكه الحاج علي الكردي ، ثم قام بتأجيره لمحمد مفلح الزعبي ، واقام به (فندق الملك غازي) ، وما يزال قائما في عمان الى اليوم ، ثم آل البناء إلى ابنه الصيدلي المرحوم محمد علي الكردي.

وتقول بعض الروايات أن (آل عصفور) الأكراد الذين قدموا من نابلس الى السلط ، ثم سكنوا فيما بعد في بلدة عمان ، وأن المنازل القليلة التي كانت في عمان قبل قدوم الشركس إليها كانت لبعض العائلات من آل عصفور الذين كان لهم حضور فيها ، وعرف منهم فيما بعد المدعو (يوسف عصفور) رئيس بلدية عمان ما بين سنوات 1925-1931م.

وفي عام 1908م غادرت أسرة (علي حسين الكوراني) وهم: خليل ، سيدو ، محمد ، محمود ، أحمد مدينة السلط نهائيا ونزلت على مدينة عمان ، ومارسوا حرفة التجارة والزراعة ، ونجحوا في ذلك عندما أصبح (سيدو بن علي الكردي) من كبار تجار عمان وملاكي الأراضي فيها ، ويذكر نوفان الحمود في كتابه (عمان وجوارها) أن سجلات دائرة الأراضي في عمان العائدة لعام 1912م أن (سيدو علي الكردي) اشترى (1043) دونماً في منطقة جاوه ، و(130) دونماً في سحاب وسلبود ، وفي عام 1910م استقر سيدو الكردي في قرية الرجيب وجاوه ، وكان يمارس التجارة مع بدو المنطقة المجاورين لعمان خاصة مع عشائر الدعجة.

كما أشارت سجلات الأراضي في قريتي الزرقاء والسخنة لإسكان المهاجرين الشيشان الفارين من روسيا القيصرية أنه صدر قرار من الحكومة العثمانية بتاريخ 1905/3/25م بأخذ مساحة كبيرة من الأراضي المملوكة لـ(سيدو علي الكردي) في الزرقاء ، ومنحته بدلاً عنها مساحة مماثلة من أراضي (النقيرة) في جنوبي عمان.

وتذكر سجلات مدينة عمان العثمانية أن (سيدو أفندي بن علي الكردي) اشترى دار (يحيى بن صوفار) الواقعة قرب سيل (نهر) عمان ، وكانت تشتمل على أربع غرف تحتاني ، وياخور ، ومغارة ، ومساحة سماوية مع عرصة ومشتملاتها ،. كما يأتي ذكر لـ(سيدو الكردي) بصفته تاجراً من قصبة عمان وشاهداً في قضية (محمد بن عبد الغني) من أهالي الشام في الـ(حجة رقم 122) وتاريخ 18 محرم سنة 1326هـ/ الموافق لتاريخه 21 شباط 1908م.

ونتيجة لنشاط (سيدو أفندي الكردي) التجاري ، وامتلاكه مساحات شاسعة من الأراضي أصبح من كبار وجهاء مدينة عمان على الصعيدين السياسي والوطني والاقتصادي ، وبرز دوره عندما تشكلت حكومة السلط المحلية بعد انهيار الحكومة الفيصلية في دمشق عام 1920م ، ورأسها مظهر أرسلان ، فتم انتخابه عضواً في مجلس الشورى لحكومة السلط المحلية كنائباً عن مدينة عمان عام1920م ، ومعه النائبين الشركسيين: شمس الدين سامي وسعيد المفتي.

وتذكر سجلات المحاكم الشرعية لعام 1303هـ/1911م, إلى امتلاك عدد من الأكراد الأراضي في عمان وجوارها ، فتذكر أن محمد بن علي الكردي قد اشترى من (ثاري الحنيطين) جميع قطع الأرض العائدة له في منطقة أبو علندا ، وأن عليا ومحمد أبناء محمد الكردي كانا يملكان (418) دونماً من أراضي سحاب وسلبود.

كما أصبح خليل الكردي (توفى 1960م) وهو أخو سيدو الكردي من وجهاء بلدة عمان في مطلع القرن العشرين ، وأقام مع إخوانه بتأسيس ديواناً خاصاً لهم عرف باسم (مضافة آل الكردي) في حي الشابسوغ بعمان في مطلع العشرينيات من القرن الماضي.

لقد استمر توافد الأكراد إلى مدينة عمان والاستقرار فيها في أواخر أيام العهد العثماني, ويقال أن أكثر من عشرين عائلة كردية كانت تسكنها منذ مطلع القرن العشرين, وهم متفرعون من عشائر كردية كبيرة من: الأزولية, البرازي, دوكان, المللية, ظاظا, قراقيش, الدقورية,الآشيتية.. أما أصولهم فتعود إلى مدن: ديار بكر, أورفة ، ماردين في كردستان الشمالية, وإلى حي الأكراد في دمشق ، ومنطقة الجزيرة في كردستان سوريا.

أما في بدايات تأسيس الإمارة الأردنية عام 1921م فقد قدم الى العاصمة عمان بعض العائلات الكردية من حي الأكراد بدمشق, مثل عائلة محمد فهمي الكردي وإخوانه, وإسماعيل الكردي وأخيه إبراهيم, والضابط بكر خليل ظاظا وإخوانه, وفياض الكردي وإخوانه, ومصطفى الملي وإخوانه ، وأحمد كرد علي وإخوانه, وعلي إبراهيم الأيزولي وإخوانه, ومحمد علي الكردي وإخوانه, وأمين بروسك الكردي (من ديار بكر), أما في خمسينيات القرن الماضي فقدمت عائلات كردية من العراق مثل: البابان ، وآل العسكري.

الأكراد في عمان في عهدي الإمارة والمملكة

عندما أصبحت عمان عاصمة للأردن عام 1921م أخذت تعج بالنشاط التجاري والصناعي, واستقطبت الكثير من الأكراد المنتشرين في مختلف أرجاء البلاد, فجاءوا إليها من أجل العمل والارتزاق ، أو الالتحاق بالوظائف الحكومية والعسكرية, ومع مرور الوقت أصبحت عمان تضم اليوم أكبر تجمع لأكراد الأردن, ومن العائلات الكردية التي هاجرت إلى عمان من مختلف المدن والقرى الأردنية: أبناء طاهر بدرخان من سمر / إربد, أحفاد سعيد عمر الكردي من أم العمد / مأدبا, أبناء محمد جمعة الأيوبي من الطفيلة, أكراد الشوبك والطفيلة الذين استقروا في الهاشمي الجنوبي ، والرصيفة ، وبيادر وادي السير, وعائلة البيروتي من الزرقاء, وآل مراد الكردي من إربد, وعائلة عبد الله ياسين الكردي من عمراوة في المقابلين, وأبناء محمد هاشم الكردي من دير أبي سعيد, وأولاد خلف البارافي من إربد, والكثير من أكراد مدينة جرش وعين جنا وإربد والكرك والطفيلة.

كما استقرت بعض العائلات الكردية في عمان قادمة من كردستان تركيا في بدايات القرن العشرين المنصرم بعد أن تمكن مصطفى أتاتورك مؤسس تركيا العلمانية من التغلب على ثورة الشيخ سعيد ملا الكردي وإعدامه شنقا في الميدان العام في ديار بكر عاصمة كردستان تركيا عام 1925م ، مما اضطرَّ ..... يتبع .....

فندق الملك غازي وسط العاصمة عمان

خالد ديريك على جثة الوعد اندثر!

عصمت شاهين دوسكي

في عوالم الشعر تستنهض المشاعر والأفكار والهواجس والرؤى مع تجليات الواقع حيث يكون التجسيد على آفاق بعيدة وقريبة في نفس الوقت رغم تكوين المباشرة واللا مباشرة التي تتجلى بين حين وآخر في الصور الشعرية.

الشاعر خالد ديريك من الشباب الواعدين الذين يحركون الراكد ويثيرون الساكن ويدخلون في ثورات فكرية شبابية، خاصة في لقاءاته وحواراته مع الأدباء والفنانين بمعاني إنسانية ومضامين تحيل الواقع إلى كارثة أو إلى أمل مشرق والأحداث إلى طوفان يغرق المعنى واللامعنى وإعصار قوي يقلع البسيط والعميق ليجعل من الحوارات طاقة إيجابية ينطلق من خلالها إلى عوالم غريبة بعيدة عميقة قيمة.

في قصيدته " على جثة الوعد اندثر" يعكس حالة الضوء والعتمة، العتمة التي تضمحل الرؤية وتتعثر بأشياء لا تكن في الحسبان فلا موعد ولا ميعاد ولا خلاص ولا إخلاص للزهر للأفق الجميل، والفراق عن أنوار الأمل ومداها وأطياف الحياة وألوانها مأساة تكور نفسها على واقع الفكر والجسد، ومهما حاولنا أن نطوي مسافات العتمة تبقى جهالة العتمة مدوية كونها غرست في أرض الفكر مما يؤدي إلى انفجار الآهات والحسرات وتجلي العادات والتقاليد البالية.

((منذُ أَنْ حَجَبَ الضَّوْءُ
عَنّي زَهْرَةَ المِيعَادِ...
أُعانِي الفِراقَ،
أُجاهِدُ لِطَيّ المسَافاتِ
وَإِنْهاءِ الحَسراتِ
وَهَدْمِ العَاداتِ...)).

تمضي المحاولات بعد محاولات بشوق يمتطي حوافر الأثر لكي يلحق ما نأى لكن يتراءى كالسراب، والخيال يطوي الخيال المبحر بين واقع مر وإحساس أمر كالعلقم فغربة الديار تترك صور مؤلمة وحزناً مدهماً والابتعاد عن الديار لا يوصف بكلمات لأنها أعمق من أن تكون مجرد ديار مكونة من أحجار وطين وماء، أكبر من أن تكون غربة فقط فهي تندمج بين أمل العودة واللا عودة، الانتظار واللا انتظار، وأمل المكان المغترب يحيا في النفس صور إنسانية وذكريات الديار تأبى الرحيل عن هاجس الفكر والروح، ومهما كانت علو الأسوار فلا بد من العودة وإن تظهر عودة خيالية أو فكرية أو تأملية أو هاجسية.

((وأَمْتَطِي صَهْوَةَ الشَّوْقِ
أَقْطَعُ الأَمْيالَ...
أُلاحِقُ الخَيالَ...
لِأُقَبِّلَ خُدُودَ الدِّيارِ
رَغْمَ عُلُوِّ الأَسْوارِ)).

يمتد خيال الشاعر خالد ديريك بعد عوالم العتمة ومأساة الانتظار والعودة إلى الديار إلى ذات طائري يحوم على فضاء بيدر يحاول أن يلتقط حبة قمح التي تجسد الغير الوفير في أرض مأساوية في الإدارة والعدل والتربية السليمة والمساواة بين جميع أطياف وفئات المجتمع، ركود وعتمة وفساد وجهل وانكسار وانهيار خاصة حينما تكون الديار محاصرة بيد الظالمين الطامعين والتابعين والفاسدين والجاهلين فلغة القنص ترمي إلى قتل كل ما هو جميل في الحياة، قتل الإنسان والجمال والفكر والتطور والإبداع، والقتل ليس حلاً في أرض الإنسانية، ورغم المحاولات تمتد الخيبة حينما يستحيل كسر الطوق والحصار خيالاً، حلماً.

((أَرَانِي طَائِرًا ...
لَا يُفَارِقُ البَيْدرَ
لِأَلْتَقِطَ حَبَّة القَمْحِ
رَغْمَ مَخاطِرِ القَنْصِ
فَأَخِيبُ ظَناً
دُونَ كَسْرِ حِصَارِ،)).

يدعم الشاعر خالد ديريك نصه الشعري تشبيهات ورموز وهي تعتبر طاقة فكرية جمالية متناغمة مع الواقع والطبيعة فالموج الهائج والصخور واصطدامهما اصطدام فعل (الثابت والمتحرك) وقد يكون المتحرك صور إنسانية عاطفية حسية فكرية والثابت المكان الديار الوطن حيث يلم متاعه ويعود إلى منفاه دون فعل متغير جديد على أرض الواقع.

((مِثْل ذَاكَ المَوْج الهَائِجِ
الذِّي يَصْطَدِمُ بِالصُّخُورِ
وَيَلْطِمُ الطَّحالِبَ
وَيَعُودُ إِلى مَنْفَاهُ دُونَ
أَنْ يَشُقَ بَرْزَخاً،)).

صدمة الواقع المأساوي، صدمة الغربة في بلاد الغربة بلا حدود، صدمة اللا عودة، صدمة الكارثة الإنسانية من قتل البشر وخراب الديار ودمار الفكر، ونزوح وتشريد وتهجير، نفير نفسي للبحث عن أمل جديد وابتسامة تأملية حيث يبقى وجه الجلنار راقياً منوراً كالقمر المنير في ظلمة الليل رغم كل المآسي.

((وفَجْأَةً ...
أَخْرُجُ مِنْ حِزامِ الصَّدْمَةِ
عَاشِقاً...تَائِهاً.... أَبْحثُ...
عَنْ عَبَقِ الابْتِسَامَةِ
فِي وَجْهِ الجلْنَارِ،)).

وفي صمت الروح يكون المنادي هاجساً، صوتاً والملتقى البعيد والقريب شحروراً يتناغم مع صورة جوهر النص الشعري والجمال الشحروري والحرف الروحي الممزق بين الوجود واللا وجود والمكان واللا مكان بين الوطن واللا وطن يبحر عاشقاً إلى شواطئ آمنة ليعلن من هناك على جثة الوعد المنتظر، وعد اللقاء والمحبة والجمال ولم الشمل، وعد عودة الوطن والديار والمكان والذكريات، لكنه يترنح كتائه في صحراء جرداء كالسكير بلا خمر ويندثر على حافات حضارة إنسانية راقية دمرها الهمج والجهل والطمع والفساد الفكري.

((أَسْتَمِعُ إِلى بَقَايا صَوْتِ
شُحْرورٍ...
فَأُلَمْلِمُ أَشْرِعَةَ
قَصَائِدي الممَزَّقَةِ
التِّي تُبْحِرُ
لِلْوُصُولِ إِلى
شَواطِئِ يَدَيْكِ
وَأَقِفُ عَلى جُثَّة الوَعْدِ
أَتَرَنَّحُ ثُم أَنْدَثِرُ
مِثْلَ حَضَارَةٍ غَزَتْهَا
حَوَافِرُ الهَمَجِ.)).

اعتلى الشاعر خالد ديريك في نصه صهوة جواد المأساة الإنسانية والمكانية ليثير وراءه غبار العتمة والمعاناة وصور العودة والذكريات التي تتراءى في خيال الغربة وتندثر كالسراب، ورغم هذه الصور المعتمة يبقى الأمل في مضامين النص والمعالجة والحلول رائية ويبقى تنفيذها على الأرض وعداً قد يكون قريباً ولا يندثر.

قصيدة للشاعر خالد ديريك من ديوان مشترك " صهيل من فلوات الأرواح" مع د. كريمة نور عيساوي.

نص القصيدة لخالد ديريك ...

عَلَى جُثَّةِ الوَعْدِ انْدَثِرُ
مُنْذُ أَنْ حَجَبَ الضَّوْءُ
عَنّي زَهْرَةَ المِيعَادِ...
أُعانِي الفِراقَ،
أُجاهِدُ لِطَيّ المسَافاتِ
وَإِنْهاءِ الحَسراتِ
وَهَدْمِ العَاداتِ...
أَمْتَطِي صَهْوَةَ الشَّوْقِ
أَقْطَعُ الأَمْيالَ...
أُلاحِقُ الخَيالَ...
لِأُقَبِّلَ خُدُودَ الدِّيارِ
رَغْمَ عُلُوِّ الأَسْوارِ
أَرَانِي طَائِرًا ...
لَا يُفَارِقُ البَيْدرَ
أَلْتَقِطَ حَبَّة القَمْحِ
رَغْمَ مَخاطِرِ القَنْصِ
فَأَخِيبُ ظَناً
دُونَ كَسْرِ حِصَارِ،
مِثْل ذَاكَ المَوْج الهَائِجِ
الذِّي يَصْطَدِمُ بِالصُّخُورِ
وَيَلْطِمُ الطَّحالِبَ
وَيَعُودُ إِلى مَنْفَاهُ دُونَ
أَنْ يَشُقَ بَرْزَخاً،
وَفَجْأَةً...
أَخْرُجُ مِنْ حِزامِ الصَّدْمَةِ
عَاشِقاً...
تَائِهاً....
أَبْحثُ...
عَنْ عَبَقِ الابْتِسَامَةِ
فِي وَجْهِ الجلْنَارِ،
أَسْتَمِعُ إِلى بَقَايا صَوْتِ
شُحْرورٍ...
فَأُلَمْلِمُ أَشْرِعَةَ
قَصَائِدي الممَزَّقَةِ
التِّي تُبْحِرُ
لِلْوُصُولِ إِلى
شَواطِئِ يَدَيْكِ
وَأَقِفُ عَلى جُثَّة الوَعْدِ
أَتَرَنَّحُ ثُم أَنْدَثِرُ
مِثْلَ
حَضَارَةٍ غَزَتْهَا
حَوَافِرُ الهَمَجِ.

قراءة في "قطوف من جلالستان"

للشاعر جلال زنگَابادي

هكذا شطح الكائن مستقبلئذ...

فضاءات لقراءات نقديّة متعدّدة

عبدالكريم عمر خيركي

إن أول ما يصادفه القاريء ،في القصيدة الملحمية(هكذا شطح الكائن مستقبلئذ)*للشاعر جلال زنكَابادي ،هو الوجود الأخطبوطي السافر لـ(أنا)الشاعر ،وهي(أنا) صاخبة ،متمردة ،جهمة ،فظة وغيرمتسامحة مع العقول والتواريخ التي تتهاون فيها النقائض بوئام منافق ،رغم تعارضها المريب!

إنها(أنا الشاعر)تزهو بامتلاكها للألم كله ؛لأنها تمتلك التاريخ كله ،وتدعي إمتلاك الحقيقة الرافضة ،النافية لهذا الألم وهذا التاريخ ؛كونها مدركة للخفايا التي تتشكّل فيها:

"الخرائط المكتظة بطوابير أتعس الشياطين"

كأنها تريد أن تقول كل شيء ،وتمتلك كل شيء ،وتحطّم كل ما يعترض سبيلها:

"أنا الحقيقة الفظة،اللعينة

لابدّ أن أستهتر بأقصى وقاحتي العادلة"

غيرأن أكثر الأحكام إمعاناً في الخطأ ،هو الإعتقاد بأن هذه الـ(أنا)هي مجرد ذات منفردة لامثيل لها ،ذات طابع خاص وفردي ،وأن القصيدة صرخة يأس ، أو أنها الحومة الدونكيشوتية التي تستطيع فيها هذه الذات بسط سلطانها بعد عجزها عن بسطه في الواقع ، ثم إن هذه النزعة التهديمية التي تمارسها هذه الـ(أنا) ضد الآخرين الـ(هم) ما هي إلاّ محاولة لإمتلاك الإرادة المفقودة أصلاً ؛ لعجزها عن إمتلاك الواقع.أجل ، إن مثل هذا الحكم سيكون إمّا صادراً عن تفكير كلياني لايحبذ مطلقاً أية نزعة فردية وجودية ليبرالية تنمو بالضد من كليلنيته القطيعية المنشأ ،أو صادراً عن شعور أوّلي بالتقزز من هذا الوجود الشامل لل(أنا)دون أن يكون صاحب هذا الحكم قد حاول الخوض في النص ؛حتى يتأكد من صحة حكمه أو خطئه.

فالإقتراب من النص هو الطريق الأوحد لفهم طبيعة وجوهر التناقض والعداء بين الـ(أنا)والـ(هم) ومن ثم إستشراف آليات التوحد والإنسجام بين الـ(أنا)والـ(نحن)في هذه القصيدة الرحيبة ،الغائمة والقاتمة.ولذا فإن محاولتنا هذه تبتغي مثل هذا الفهم ، مع اليقين التام أن الجانب الذي سنعالجه هو أقل بكثير من أن يكون جزءاً ذا وجود مستقل ؛ مادام جزءاً من عمل أدبي متعدد المستويات ، معقد البنية ، وشديد الكثافة للأفكار التي تمتلك وزناً نوعياً فائق القيمة ثقافياً وتاريخياً ، وعسانا لانقع في أحد الأفخاخ المقدسة ، التي ينصبها الشاعر لنقاده في ثنايا القصيدة ، وليحفظ الله أنوفنا من أيّ قضم محتمل:

"لامناص ؛سيقضم كبريائي أنفك الأسطوري يا نويقدي"

(4) ألـ(أنا) ورؤية الشاعر للوجود:

إذا كانت الـ(أنا)هي التعبير اللفظي عن وجود الشخص المتكلم ؛ فهي عند شاعرنا ، كما هو الحال عند الكثير من الشعراء ، أكثر طموحاً من أن تكون مجرد لفظة ، بل تحاول أن تكون تكثيفاً وجودياً لذات الشاعر بكل أبعادها الفيزيقية والميتافيزيقية ؛ وعليه ليست القصيدة مجرد إنفعال لل(أنا) بالصورة التي تجعلها ذاتية محضة ، وإنما هي محاولة لتكثيف رؤية الشاعر عن الوجود العام ، الذي يضم وجوده الفردي ، وهي رؤية تستند إلى تجربة معرفية هائلة ، مستوعبة للتراثين القومي والإنساني ، ولايمكن فهمها إلاّ في السياق ، الذي تعبر فيه عن نفسها ،ألا وهو السياق المتجرد من كل ما هو لحظويّ وسكونيّ.

إنها رؤية تتعامل مع العلاقة بين الإنسان كذات وفكر ، في إطار السيرورة اللاغية لأية تحديدات فيزيائية لأبعادها الزمانية ، حيث يتحد فيها الأزل والأبد ، منذ أن كانت وحتى ماتكون:

"آ...مستقبلي الغابر

لكم وحّدنا شطح هذي القصيدة!

آ...مستقبلي الحانق عليّ

ليوافك-ليوافني

هذا الشطح الكرديّ بالصواعق

أتكون مثلي

سهماً تمتدحه المديات اللامرئية ؟!"

ضمن هذا الفهم للزمن ، حيث يكون المستقبل فترة غابرة لما يليه ، والماضي كان مستقبلاً ؛ بما معناه تمتلك(أنا)الشاعر ماهيّتها. وهذا الفهم الذي يعنيه الشاعر للزمن يلغي هذه الـ(أنا)المحدودة السكونية الجامدة ؛ كي تكون ذاتاً واعية للسيرورة ، وكائنة في زاوية تأثرها وتأثيرها في كل الأحداث ، التي تصادفها عبر سيرورة التاريخ البشري عموماً والتاريخ القومي خصوصاً للشاعر ،وهكذا تكون(أناه) قد ذابت وتماهت في الـ(نحن) أي في الجماعة ؛ لأن الجماعة غير المتناهية بكينونتها وديمومتها وصيرورتها هي القادرة على إمتلاك السيرورة ، بل وعلى الإدعاء:

"وجدت عمري دهوراً لاتنتهي"

(1) كيف تظهر هذه الـ(أنا)في القصيدة:

على الرغم من أن مفهوم الشاعر للزمن هو السيرورة اللامتناهية ، إلاّ أن الحيّز المكاني لتفاعل ذاته مع السيرورة محدد لايتعدى حدود الوطن والأرض:

"ما أروع عشقنا

أيتها القصيدة الأزليّة

وما أبهاه من فضيحة هوجاء!

في هذا الديجور الدبق"

فهنا تنقطع سكرة العشق في الأزل بصحوة الكائن في"الديجور الدبق" الذي هو محك التعارض بين الذاتي والموضوعي ، بين الحرية الداخلية والضرورة الخارجية ، قد وجد حله بملء حريته(1)

(2) ألـ(أنا) وآمالها:

ليست آمال الشاعر التي مابرحت القصيدة تفتح في دياجير التاريخ سبل مجيئها نزوعاً تأملياً للـ(أنا) نحو التملك الفردي والأناني للموضوع ، حتى في أقصى حالات اليأس والعزلة ، ثم إن المواضيع التي كانت الـ(أنا) تسعى إلى إمتلاكها لم تكن من ذلك النوع ،الذي يحقق رغبة ذاتية معزولة كالطعام والجنس...إلخ ؛ فالنزعة التملكية عند الشاعر جماعية وإنسانية دائماً:

"متى

ستبزغ تحت قدميّ أرض

وهل سأشهد سماءاً فوق وطني ؟"

و"متى

سينهمر النور

على كوكبي الممصوص ؟"

و"أنا المسفوع بشمس القرون الآتية"

على الرغم من أن المواضيع ، التي يتمنى الشاعر إمتلاكها هي في القصيدة خارجة عن إطار وجودها الفيزيقي المباشر ،ولها مدلولات ذهنية تجسد إجمالاً الأمل في الحرية ، لو إفترضنا جدلاً أنها يمكن أن تكون من حيث الإمكانيات الكامنة فيها ذات قيمة إستهلاكية فردية ؛سنجد أنها غيرقابلة للإستحواذ إلاّ بفعل جماعي ، إذ لايمكن لشخص واحد أن يفوز بكل الأرض والشمس والكواكب حتى لو كان مشروع دكتاتور فاشل ؛ مادامت الحرية التي يحلم بها هي حرية جماعية:

"أوّاه!

يا ميديا

هل ستولدين كقصيدتي...؟"

هو ذا جل حلمه سواء أكانت قصيدة أو وطناً ، فهو الحرية المنشودة ، الحلم الكامن في المستقبل-الحلم ، الذي تشن القصيدة من أجله هذه الحروب ضد "خرائط الموت" في أرض ميديا المحتلة بالدكتاتوريات والخنازير والبورصات والمنافقين والسيركات الدجالة:

"فلولاك

يا ميديا من

سيلملم أشلائي

في ملاحم لاتنتهي

والتابوت بطلها الأوحد ؟"

فعلاً أولم يكن التابوت أحد الأبطال دائميّ التواجد في تاريخ أمتنا؟ ومع ذلك فإن تفاعل الشاعر مع هذه المأساة القاتمة وإحساسه بالمرارة والقنوط لايؤدي به إلى الوهدة العدمية ، بل إنه لايتوانى عن التصريح بأنه في عودة (ميديا) هذا الكيان الجماعي ، الذي كان دولة في فجر التاريخ الكردي ، وكأنه يعارض نفسه بأن الحرية الكاملة لاتتحقق إلاّ في "دولة منظمة وفقاً لمتطلبات العقل ، تكون جميع القوانين والمؤسسات تحقيقات للإرادة طبقاً للتعيينات الأكثر جوهرية"(2)

إن الحيّز المكاني لوجود الشاعر وهذا التناقض الصارخ بين الإمتداد اللانهائي لزمان القصيدة ومحدودية المكان ، يحرمه من أيّ هناء صوفيّ قد يتحقق خارج الوجود الأرضي ؛ لأنه الوجود الأوحد لديه ، ليظهر له التاريخ كله في لحظة مرئية معاشة ومؤلمة ، فيكون الإحساس بالألم هو رد الفعل الأول لل(أنا) حيال كل ما هو لامعقول في هذا التاريخ. وفي هذا الإطار المكاني المحدد تحققال-(أنا) هويتها الجماعية ، كما تكشف عن علل آلامها وتمزقها:

"ثم لماذا يجايلني الأزل ؟"

و"منذ قرون

وأوثانكن تسفسط

كالريبة تطارد أشلائي المفقودة"

أي منذ البدايات الأولى للتراجيديا الكردية ، منذ ألف(صدّمصور) قبل سايكس بيكو وسعدآباد وجالديران ، منذ نقطة موغلة في الألم. وثمة في الماضي البعيد يحدد الشاعر ماهو ذاتي بما هو موضوعي ؛ وبذلك يحدد أحد مستويات العلاقة بين فرديته وإنتمائه إلى الجماعة ، وهو المستوى القومي. وفي إطار هذه العلاقة تنفرد (أنا) القصيدة في التعبير عن كل تلك التراجيكوميديا ، وتحاول طوال القصيدة تكثيف صوت كل ما هو واع وإمتلاك نبالة الرفض الهدام لهذا التاريخ اللامعقول. ثم تزداد سمات علاقة الشاعر بأمته وضوحاً ؛ كلما يدلف الزمن في المستقبل ، إذ يفقد ضمير المتكلم خواصه الفردية ليشمل صوت الأمة في تناغم حزين ومارق:

"لكنك مازلت ضيقة

يا قصيدتي

وا كردستاناه!

"يا بلاداً

أتتني في الهزيع الأخير من مستقبلي

ليشفع لي سطوع عناقك

علّ جثتي تضيء شمس غربتي

أينما السيركات يتبقرطن كالسموات المؤجلة

مادام قتلاك يطاردون القتلة

منذ قرون"

هاهي القصيدة ، لكي تكون حرة ورحيبة ؛ تستنجد بالوطن(كردستان) وهاهو الوطن يجيء حلماً وإن كان في مستقبل بعيد جداً ، فيمنح الشاعر سعادة العناق مع الحرية ، كأنه يريد التأكيد أن(أناه) وقصيدته ووطنه والشهداء الذين مابرحوا يطاردون الطغاة وسيركات الهزائم والنفاق لاتلتقي بكليتها إلاّ في كيان موضوعي هو الوطن الحر ، الذي يشبع حاجات الجسد والروح ؛ فيكون الإنسان إنساناً.

(3) ألـ(أنا)المتحولة إلى(نحن):

من أجل حريتها ، وفي مواجهة الحشد الإبليسي الواقف خلف آلام الشعوب وحيرتها ؛ لم تكن الـ(أنا) وحيدة ومعزولة ؛ لأن للشاعر رؤية واضحة إجتماعية وتاريخية لطبيعة الإستلاب والإغتراب الذاتيين ، فهما ليسا إلاّ إنعكاساً لإستلاب وإغتراب جماعيين يكتنفان حياة الإنسان وتاريخ الأمة ، التي ينطق الشاعر بعذاباتها:

"طوبى لي

أنا المحظور أبداً

وأنت يا شعبي الغريب شبيهي

إضاءة على كتاب "أدب الفولكلور الكردي" للكاتب حيدر عمر

كمال أحمد

بقراءة متأنية لفصول الكتاب ، يظهر لنا مسار الرحلة التي خاضها الباحث ، إلى / وفي ..أعماق الذاكرة الكردستانية ، جاهداً وساعياً ، الى التغلغل والولوج ، في شعاب هذه المزامير والاسفار التراثية ، ولم يكتف الباحث بجغرافية واحدة ، من جغرافيات كردستان المتشظية / بين تركية ، وعراقية ، وايرانية ، وسورية ، وأرمينية روسية ، وحتى في شتات الدياسبورا بل سعى إلى لملمة وجمع هذا التراث المتشظي ، كتشظي الجغرافيا والديموغرافيا الكردستانية ، بما استطاع إلى ذلك سبيلا ، ويتميز ويستمد هذا الكتاب البحثي ، أهميته ، وأهمية ما ورد فيه ، من مجموعة من الدواعي والحوافز ، القديمة / الحديثة.. ويمكن إيجازها ، وإيجاز البعض منها في إشارات وإضاءات عليها وهي:

1- هو سعي الباحث ، الذي يسكنه جواهر الهوية الكردستانية ، وهي سبيكة الأمة الكردستانية ، قوامها (اللغة ، والتاريخ ، والفولكلور بألوانه ، وتجلياته المختلفة ، والذي يعبر ويوثق الحياة اليومية ، للأجيال الكردستانية المتوالية والمتعاقبة ، بطريقة التوارث والتواتر ، يرضعه جيل لاحق ، من جيل سابق ، كحليب الأمهات) واستطاعت هذه الامة صيانتها والمحافظة عليها ، رغم حروب الابادة والإلغاء والإقصاء ، سعي الباحث ، وبذل الكثير من الجهد كما أسلفنا في التوغل في جغرافيات كردستان المتشظية ، وجمع المتاح من هذا الفولكلور منها ، لذلك يعتبر من الدراسات ، والأبحاث الجديرة بالإهتمام ، خاصة بالنسبة للقارئ الكردستاني..

2- أشار الباحث في الخاتمة ، إلى كم لا بأس به من المصادر والمراجع (وبالإطلاع على قائمتها ، بلغت 87 مرجعاً منها مراجع ومصادر باللغة العربية ، ومنها باللغة الكردية ، من مصادر أدب الفولكلور الكردي) ، وهذا يدل على الجهد المبذول من قبل الباحث للحصول عليها ، لكي يوثق ويبني عليها ، وينجز هذا العمل الأدبي -التراثي الرصين والتي من خلالها ، توصلت الدراسة إلى نتائج ، نعتقد أن بعضها جديدة وغير مسبوقة على الأقل في الدراسات الكردية باللغة العربية ، فقد لاحظ البحث غنى أدب الفولكلور الكردي بأنواعه المتعددة ، كالقصص الأسطورية والملحمة والحكاية الشعبية والحِكَم والأمثال والغناء والموسيقى والأدعية والطرائف والأحاجي ، ويقابله شُحٌّ في الدراسات في اللغتين الكردية والعربية.

ولأول مرة في تاريخ الدراسات الأدبية والفكرية الكردية ، لاحظ الباحث أن أغلب الأغاني الفولكلورية الكردية عن الحب كانت من إبداع المرأة وغنائها ، وهذا يعبّر عن انفتاح المجتمع الكردي على المرأة وحريتها ، وأن هذا الغناء غنيٌّ بالنزعة الإيروتيكيه ، التي لم تُبتَذل ، ولم تنحدر إلى التعبير البورنوغرافي المبتذل الخادش للحياء وللمشاعر عامة ، فقد جاء التعبير عنها في إطار الرغبة ، دون ولوجه إلى الصور الحسية الفاقعة.

ولأول مرة حوى البحث على مقارنة سريعة ، بين الثقافة الكردية والثقافات المجاورة ، وانتهى إلى أن الثقافة الكردية ليست مدينة لغيرها دائماً ، بل أعطت غيرها الكثير مما لم يعره الباحثون الآخرون ، كرداً أو عرباً أو فرساً أو تركاً ما يستحق الاهتمام والدرس ، فبالرغم من أن الثقافة الكردية إصطدمت بمحاولات المنع و الصهر والانحلال ، التي سعت إلى أن تفرض عليها التثقُّف بثقافة المجاورين ، منذ خمسة وعشرين قرناً ، فإنها قاومت تلك المحاولات ، وتفاعلت مع الثقافات الأخرى ، ولاسيما المجاورة التي تجمعها معها الجيرة والديانة ، فأخذت منها ، وأعطتها..

3- أظهرت ثورات ، أو إنتفاضات ، أو أزمات الربيع أو الخريف ، أو الشتاء العربي ، وكل يلبسه العباءة أو الجلباب ، أو الثوب الذي يناسب مصالحه وأهواءه ،!!! أظهرت هذه الثورات والأزمات والانتفاضات ، وأظهر هذا الحراك ، وأماط اللثام عن ثقافة متجذرة لدى شعوب المنطقة ، من شركاء الأوطان والأديان ، بألوانها وأطيافها وشاراتها المختلفة (القومية البعثية منها ، والناصرية ، وكذلك الاشتراكية اليسارية ، بما فيها (سكر خفيف أو سكر زيادة) وكذلك الإسلام السياسي ، المتطرف ، أو الذي يزعم الإعتدال والوسطية)، وإذا حاولنا التقيد بمنهج الموضوعية ، والحيادية ، وعدم التعميم ، بتناول الأحداث والمواقف التي أظهرها هؤلاء ، القوميون واليساريون والاسلاميون من شركاء الاوطان والأديان من الحقوق الكردستانية ، وخاصة بعد إستفتاء إقليم كردستان العراق ، وكذلك بعد إعلان الفيدرالية أو الإدارة الذاتية في روجآفا في سوريا ، أظهرت الغالبية العظمى من هؤلاء ، (إلاّ من رحم ربي منهم) موقفهم المعادي للحقوق المشروعة لهذا الشعب ، بل ذهب الكثيرين منهم ، وأنكروا وجود شعب بهذا الاسم وبهذه الهوية ، وظهر الكثير من النخب الممثلة لهذه القوى والفعاليات ، من الاعلاميين والكتاب والسياسيين ، في القنوات الفضائية ، ومن خلال البرامج الحوارية ، وكذلك من خلال مقالات الرأي في الصحف والمواقع الالكترونية ، وحتى بعض الأكاديميين ، من الكتاب ، بذلوا جهوداً في البحث والتأليف ، جاهدين وساعين الى إنكار الهوية الكردستانية ، وإنكار الوجود المادي لهذا الشعب ، بل ووسمهم ووصفهم بأنهم أقنان مزارع ، وعبيد خدمة ، ومماليك حراسة وقتال ، ولا يتسع المقام لإيراد الأمثلة على ذلك كثيرة ، وأعتقد أن القارئ الكريم مدرك ومطلع على ذلك ، أي أنّ الجهود المعادية للهوية الكردستانية ، كانت ملحوظة في ظهورها ، وحدتها ، وسعتها ، وعمق مصادرها ، في تراث وموروث شركاء الأوطان والأديان. وخاصة فيما تقوم به سلطات الإحتلال التركي ، ومرتزقته من فصائل المتأخونين – المتأسلمين في منطقة عفرين ، إضافة إلى أعمال النهب والسلب وإنتهاك الكرامات ، تقوم بالتغيير الديموغرافي ، وذلك بتهجير ومنع العودة لسكان المنطقة من الكرد من العودة إلى قراهم ومزارعهم ، وبإحلال عائلات المليشيات المرتزقة من العرب والتركمان في منازلهم وممتلكاتهم ، وتقوم أيضاً بتغيير الهوية الكردستانية لإقليم عفرين ، وذلك من خلال إبادة الآثار والأوابد التاريخية ، وكذلك تغيير أسماء القرى والبلدات من كردية ، إلى تركية. وبعضها إلى عربية... والاستنجاد ببعض الإعلاميين والكتاب المرتزقة.. بشأن تزوير تاريخ المنطقة..

4- وبإستعراض فصول الكتاب نجده مترامي الأطراف والمناحي ، وأن الخيمة التي أراد الباحث من جمع ولملمة هذا الفولكلور تحتها ، كانت كبيرة ، ويمكن إلقاء الضوء عليها ، من خلال عرض فهرس المحتويات ، لإتاحة الفرصة للقارئ الكريم ، لإلقاء نظرة بانورامية على الأزهار المبدعة لهذه الخميلة التراثية ، أو على الفلذات والمعادن المنصهرة والمكونة لهذه السبيكة الهوياتية الكردستانية:

تتمة: قراءة في "قطوف من جلالستان"

أيّنا الغريب ؟

سيّان

سيّان

سيّان

أناأنت/أنت أنا"

أما مهرجانات اللقاء بالحرية والسعادة فلاتدخلها الـ(أنا) وحدها ، بل لاتدخلها إلاّ وهي تمثل ماهو جوهري في الجماعة ، كما لاتدخل أيّ صراع ضد الحشود الإبليسية إلاّ إذا كانت تمثل جوهر الجماعة ، التي تملك السيرورة بالإتجاه الذي تنساق إليه أحلام الشاعر:

"حيثما الذباب

من الأباطرة ،القياصرة ،السلاطين ،الفهاررة والعفالقة

يؤدلجني ،

أهشه بذيلي المبارك -لهب قصيدتي

إذ يتحلّق كوكبي

لربما يهرّب شموساً أخرى إلى قمقم البلاغة ؛

مادام الكرديّ يحلم أن يمضي إلى ذاته

كزنبقة صاعقة ولو مرة

في كل1000عام"

وها نحن حيال تحوّل كلّي لل(أنا) حتى من ناحية التصريح اللغويّ المباشر ، كأنما الشاعر يتعمّد أحياناً أن يضع متلقيه في صورة ال(أنا) التي قد يساء فهمها ؛ إذ يصرّح:

"إن(أنا) ليست غير (أنت)/(هو)

ماقبل أو مابعد قرون"

وأينما نذهب في القصيدة ، وكيفما تكون القراءة ، بشرط أن لايصحب القراءة أيّ شعور بالرهبة من فظاظات ال(أنا)الثاقبة الكاشفة ؛ سنجد أن كل الإرهاصات الصاخبة لضمير المتكلم في القصيدة معالم وجيهة لآلام الـ(نحن) وفي زمان أزليّ ومكان هو الوطن كردستان ، وإن (أنا) الشاعر قد حاولت أن تكون ذلك الجزء الصدامي المتمرد من الـ(نحن) والواعية لذاتها ولغيرها ، والتي مابرحت تخوض صراعاً متواصلاً مع ال(هم) ذلك الحشد الشيطاني ، الذي يحضر كمدعين وشهود عند محاكمة (بلاتيرو) أي في نهاية الملحمة وهي بؤرتها ، حيث تنهض ذروة إستحالة ال(أنا)المتماهية في الـ(نحن) وفي قمة الإنتماء والقنوط والمجابهة:

"*إسمك السرّي ؟

-كل الأسماء

***عمرك الحقيقي ؟**

-كل العصور"

فلنسدل الستارة ، ولتستمر الملحمة المضادة!

إشارات:

(1) و (2) هيغل /فكرة الجمال /ت:جورج طرابيشي /دار الطليعة -بيروت

*هكذا شطح الكائن مستقبلئذ /ملحمة مضادة /جلال زنكَابادي /مجلة(القافلة)

ع(3-4) صص(217-256)/أبريل -1993. علماً أن موقع(جهة الشعر) الأنترنتي بإشراف الشاعر المعروف قاسم حداد قد نشرها على صفحاته ضمن أفضل كتبه المختارة،منذ عام2001

عنوان البحث	ص
الإهداء	3
مقدمة المؤلف	7
مقدمة الدكتور أحمد محمود الخليل	11
تمهيد	15
الفصل الأول :تأصيل المصطلح	21
معنى الفولكلور	23
أهمية الفولكلور	35
الفولكلور و الشعب	41
الفولكلور و الفكر القومي الكردي	49
الفصل الثاني :من الأفواه إلى الأوراق	57
أعمال الكردولوجيين الأجانب)	59
أعمال الفولكلوريين الكرد	71
أعمال الجيل الأول	71
أعمال الكرد في روسيا و أرمينيا	79
في تركيا	85
في سوريا	95
في اقليم كردستان و العراق	101
في إيران	105
الفصل الثالث :أنواع أدب الفولكلور الكردي	109
-القصص الأسطورية	111
الحكاية الشعبية	123
الملحمة	135

عنوان البحث	ص
الملاحم الكردية :الملحمة البطولية .قلعة د م د م .ك كرَّ و ك . ملاحم الحب والعشق .ملحمة ع يشا إيبي . ملحمة خجي و سيامند .ملحمة -ممي آلان	138
القيمة الفكرية والأدبية لهذه الملحمة	163
الأمثال و الحِكم	169
مضامين الأمثال و الحِكم	176
قيم الشجاعة و الفروسية .الاعتزاز بالنفس .العمل . مكانة المرأة	
الموت و الخلود	
الأمثال مادة للدراسات الاجتماعية و التاريخية	197
النسيج الفني للأمثال	201
الغناء	203
الإيروتيكية في الغناء الفولكلوري الكردي	217
الموسيقى.	233
الرقص	239
الأدعية	245
الطرائف	257
الأحاجي	267
الفصل الرابع :مقارنة	273
الثقافة الكردية و الثقافات المجاورة	257
تثاقف (تثقُّف)أم مثاقفة ؟	295
الخاتمة	299
المصادر و المراجع	303

5 – وحيث أن الباحث قد أشار في مقدمته التي مهدت للدراسة التي أدرجت ضمن أربعة فصول. جعلت الفصل الأول تأصيلاً للمصطلح ، تحدثت فيه عن معنى الفولكور وأهميته ، وعن الفولكلور والشعب ، والفولكلور والفكر القومي الكردي ، واستعرضت ما أمكن آراء المفكرين وعلماء الفولكور كلما دعت الحاجة. وخصصت الفصل الثاني للحديث عن أنواع أدب الفولكلور الكردي جمعاً وتسجيلاً، فبدأت باستعراض أعمال الكردولوجيين الأجانب ، ثم أعمال الفولكلوريين الكرد ابتداءً بالجيل الأول ، الذي تمثَّل في شخصيتين اثنتين ، ثم عرضت أعمال الفولكلوريين الكرد في روسيا وأرمينيا ، وفي كل جزء كردستاني على حدة. وتضمَّن الفصل الثالث ، وهو لبُّ هذا العمل ، دراسة أنواع أدب الفولكور الكردي ، ولمَّا كان الرقص قريب الصلة بالغناء والموسيقى ، فتحدَّثت باقتضاب عن الرقص الكردي أيضاً في هذا الفصل.

واشتمل الفصل الرابع على مقارنة تحدثت فيها عن العلاقة بين الثقافة الكردية والثقافات المجاورة ، خرجت منها بنتيجة ، لعلها تظهر للمرة الأولى في الدراسات الكردية سواء باللغة الكردية أو باللغة العربية ، وهي أن ثمة مثاقفة بين الثقافة الكردية من جهة والثقافات العربية والتركية والفارسية من جهة أخرى ، قبل ظهور مفهومَيْ التثاقف والمثاقفة في القرن الثامن عشر.

وحيث ، وكما أشرنا فيما سبق ، بأنّ الفولكلور ، هو من المكونات ، والأيقونات الأساسية ، للهوية القومية الكردستانية ، نرى أنّه من المفيد إيراد بعض الأمثلة ، مما أوردها الباحث في كتابه البحثي الرصين هذا ، من خلال العرض ، والإشارة إلى بعض العناوين والبحوث ذات الدلالة ، التي تشي بذلك فيما يلي:

A–أهمية الفولكلور:

ما سبق من تعريفات الفولكلور أو مضامينه ،يشير إلى الأهمية التي توليه إياه الشعوب والأمم المختلفة. الفولكلور كما مرَّ سابقاً ، هو جزء من تراث الأمة ، يعبِّر عن فكرها و فكرها و رؤاها وخيالها وأخلاقها وقيمها الاجتماعية. مما يعني أنه مرآة تعكس هويتها.

الفولكلور بجانبه الشفاهي ، مثل الأساطير والمعتقدات الدينية ، والشعر الشعبي ، والحكاية ، والحِكَم ، والأمثال ، والطرائف ، والنوادر ، والأحاجي ، والسحر ، والتعاويذ ، والرموز الرقمية ، والألوان والسِّيَر ، والموسيقى وأغاني العمل والأعياد والمناسبات الاجتماعية والرقص والحركات التعبيرية والعادات والتقاليد (المتعلقة بدورة الحياة: الزواج والولادة والوفاة وغيرها)، والمعارف (كالطب الشعبي) والتصورات (حول الجمادات والنباتات والحيوانات). وبجانبه المادي كالمنتجات المادية المحسوسة كالثياب المطرزة والحلي (الزي الشعبي) وأدوات الموسيقى ، والطبخ ، والحصاد ، والأبنية والمساكن ، والحرف الشعبية ، ومجمل مستعملات الحياة الشعبية بشقّيها الروحي والمادي. هو جزء من الذاكرة القومية للأمة ، وهو وفق ما يقول الدكتور أحمد محمود الخليل "من أهم عوامل تجانس المجتمع ، والممثِّل الأكثر صدقاً لروح الشعب ، وفيه يتجلَّى قدرٌ كبيرٌ من أصالته وشخصيته العفوية ، وإن إقبال الشعوب على فولكلورها هو أحد أشكال تقمُّص أرواح الأسلاف ، والتمسُّك بالهوية الوطنية والقومية. وهو بمعناه الاجتماعي جسر يربط بين المرء و الآخر ، وبين المرء والجماعة التي ينتمي إليها، وبين الجماعة والجماعات الأخرى ، التي تتشارك بخصائص مشتركة ، وهو المرآة التي تعكس حياة الشعوب وتاريخها ، وعاداتها وتقاليدها وخبرات أفرادها الفكرية ، ويحافظ على لغتها وهويتها الوطنية والقومية من الضياع.

يقول الباحث روهات آلاكوم: "الفولكلور بالنسبة للمجتمع كالمرآة ، يستطيع المرء ، بواسطة هذه المرآة ، معرفة المجتمع على أفضل وجه. يستطيع من خلالها الإبحار بسهولة إلى أعماق القرون الماضية. ومن جهة أخرى ، يمكن أن يكون الفولكلور أساساً متيناً ، وخزينة غنية للغة والأدب الحديث. وهذا ما يذكِّرنا بقول الأديب الروسي الكبير مكسيم غوركي الذي قال: "إن أساس الأدب يكمن في الفولكلور ، أي أدب الشعب ، والفولكلور مادة خام كبيرة ، وهو مصدر ومَعين لجميع الشعراء والأدباء. وإذا فهمنا الماضي جيداً ، كان نتاجنا الحالي رائعاً جداً ، وسنفهم آنذاك بدقة أهمية الفولكلور ، والفولكلور ، حسب ألكسندر كراب ، "هو السلف المنشئ المباشر الذي تشكَّل منه الأدب".

لقد أثمرت وصية غوركي على يدَي الشاعر المعروف رسول حمزاتوف ، الذي اتجه إلى لغته الأم (اللغة الآفارية)، التي كان عدد المتكلمين بها حينذاك لا يتجاوز ثلاثمائة ألف ، واتكأ على فولكلور قريته الصغيرة ، فأبدع أدباً عظيماً ، سرعان ما تمت ترجمته إلى اللغة الروسية ، ثم إلى اللغات الأخرى. لقد ولج حمزاتوف إلى العالمية من خلال قريته البعيدة والصغيرة.

وانطلاقاً من هذه الأهمية سعت الدول الاستعمارية ، بغية تشديد قبضتها على الشعوب ، إلى معرفة حياة الشعوب المستعمَرة ، وعاداتها وتقاليدها ، وأنماط تفكيرها وأساليب حياتها. وهذا ما دفع المستشرقين إلى بذل جهود جبارة في جمْع ودراسة فولكلور الشعوب لأغراض استعمارية ، إلا أن دراسات بعضهم في هذا الميدان كانت بهدف الاستفادة من الماضي لبناء الحاضر وإغناء الثقافة الإنسانية.

لقد لفت الفولكلور انتباه مختلف الشعوب والأمم ، وهبَّ مفكروها إلى جمْع مواده ودراستها ، ولعل الأخوين جريم (ياكوب و فيلهلم) الألمانيين يأتيان في مقدمة هؤلاء ، فقد عملا ، وخاصة في فترة الغزو الفرنسي لألمانيا في القرن التاسع عشر ، دون كلل في ميدان الثقافة الألمانية ، وجمعا قدْراً هائلاً من مواد الفولكلور الألماني ، فحفظاه من الضياع. وكذلك لجأ الفينلنديون إلى الفولكلور بغية إحياء وجودهم الحضاري وبناء شخصيتهم الثقافية ، بعد أن حاول الاستعمار السويدي ، وبعده الاستعمار الروسي أن يصهرا الشعب الفينلندي ، كلٌّ في بوتقه.

ومن هنا يشير المستشرق باسيلي نيكيتين ، إلى أهمية الفولكلور ، من خلال إشادته بالفولكلور الكردي عند دراسة الأدب الكردي إذ يقول: "إن أي دراسة وتحقيق في الأدب الكردي ينبغي أن يكون قبل كل شيئ ، وعلى وجه الخصوص ، لفولكلور هذا الشعب الذي يقتات ليس فقط بالإسهامات البالغة الغنى للأجيال الماضية ، بل إنه يحمل في ذاته اليوم أيضاً قوة حيوية وطاقة خلاقة تحير الألباب ، وهذه الطاقة والقوة في تجدد مستمر ، بل إنه يضيف إلى غناها وازدهارها المزيد باقتباس المواضيع الفولكلورية من الأمم الجارة ، والمجاورة ويصهرها في بوتقته الكردية.

تأتي أهمية الفولكلور من ارتباطه الوثيق بحياة الشعوب ، فهو بما يحويه من مأثورات شعبية ، يشكل نواميس اجتماعية تعبِّر عن علاقة إنسانية مع البيئة والمجتمع ، ما يمكن المرء أن يقول إن فولكلور الشعوب والأمم هو تاريخها الصحيح ، ذلك لأن التاريخ بشكله الكلاسيكي يميل إلى القادة والطبقات الأرستقراطية ، وهو كذلك في ميدان الفنون أيضاً ، إذ يلفت الانتباه فقط إلى ثمرات الفنون في أشكالها الراقية ، أي إلى نتاج النخبة. بينما الفولكلور ، هو سِجلُّ تاريخ المجتمعات الشعبية ، كما تمثله أحداث العامة من الناس ، وذلك بانبثاقه من هؤلاء العامة.

تؤكِّد المستشرقة الفرنسية جويس بللو ، حقيقة ارتباط التاريخ بالطبقات السائدة والعليا ، حين تذهب في بحثٍ لها عن تاريخ الأدب الكردي إلى أن هذا الأدب كان يُقرأ فقط من قِبَل المدنيين (أي سكان المدن ، وهي تقصد المثقفين)، أما أدب غالبية المجتمع الكردي ، الفلاحين والرُّحَّل ، فكان ينتقل شفاهاً. وقد أشار لافارج ، وهو أحد الفولكلوريين الماركسيين الأوائل ، بل أكَّد "من خلال تحليل مواد الفولكلور عن أهميتها بالنسبة لتاريخ مركز المرأة في العائلة والمجتمع.

يتضح مما سبق أن "الفولكلور يرتبط بحياة الشعب ، وبطقوسه وعاداته وتقاليده ، وعلى صفحته تنعكس خصائص مختلف المراحل التاريخية ، لذلك نرى علوماً أخرى ينصب اهتمامها على الفولكلور ، كعلوم اللغة والأدب والأجناس والتاريخ ، بحيث يتعامل كل علم مع الفولكلور بمنظار تخصصه ، فعلم اللغة يتناول الكلمة في الفولكلور ، وتاريخ اللغة التي تتراءى فيه ، وعلاقتها باللهجات ، أمّا الأدب ، فيدرس السمات العامة للفولكلور والفرق بينه وبين الأدب المدون ، وعلم الموسيقى يدرس العناصر الموسيقية والمسرحية في الفولكلور ، وعلم الأجناس يتعرض لدور الفولكلور وآثاره في حياة الشعوب وارتباطه بالطقوس والتقاليد ، وعلم التاريخ يبحث في الوعي الشعبي لتفهم الأحداث التاريخية التي يعكسها الفلكلور أو التراث الشعبي بصفته ذاكرة الأجيال وهويتها. ومن هنا يمكننا القول مع الدكتور أحمد محمود الخليل: "إن من يدير ظهره إلى تراثه الشعبي ، إنما يدير ظهره إلى هويته".

B–الفولكلور و الفكر القومي الكردي:

تبين فيما سبق ، أن الفولكلور مرتبط أيما ارتباط بالمجتمعات البشرية ، ويثمِّن الفينلنديون "الكاليفالا" تثميناً عالياً ويعتبرونها الوسيلة التي عرَّفت الآخرين بهم. وأن علماء الفولكلور الألمان وغيرهم بحثوا في الفولكلور عن روح الشعب.

وتبين أيضاً أن الدراسات الفولكلورية إنما بدأت في أوروبا تحت تأثير الحركة الرومانسية القومية. وهو الأمر الذي يؤكده عالم الفولكلور ويليام آ. ويلسون إذ يقول: "كانت الأعمال الفولكلورية منذ البداية مرتبطة بالحركات الرومانسية القومية ، وبالتزامن مع هذه الحركات بدأ الباحثون الوطنيون بإنجاز الدراسات الفولكلورية ، التي لم تكن غايتها الكشف عن كيفية معيشة الأقدمين فحسب ، بل كانوا يطمحون إلى الكشف عن النماذج التاريخية ليبنوا عليها الحاضر ، في سعيهم إلى بناء المستقبل. ويقول ريتشارد دورسون: "كثيراً ما تتفاعل العلاقة المشتركة بين الفولكلور والروح القومية. ومن هنا يمكن القول إن الفولكلور والقومية مفهومان مترابطان.

إذاً ، يمكن للمرء أن يذهب إلى أن الفولكلور يشكل عنصراً مهماً من عناصر الفكر القومي ، وهو عنصر غابت معرفة قيمته عن الكرد بسبب تجزئة وطنهم منذ أمد بعيد وضمه إلى جغرافيات دول مختلفة فكراً ولغة ، فلم يستدركوا هذه القيمة إلا متأخراً. ومن المحزن أن المتنوِّرين الكرد لم يتفاعلوا مع صرخات أحمد خاني ، الذي أشار في ملحمته "مَمْ و زين" قبل أكثر من ثلاثمائة عام إلى أهمية دور اللغة والتاريخ في الفكر القومي قبل أن يعمل المفكرون الغربيون في هذا الاتجاه ، ولم تجد نداءات خاني صدى لدى المتنوِّرين الكرد إلا متأخراً ، وكان ذلك بفضل القنصل الروسي ألكسندر (آڤكوست) ژابا ، في أرضروم بين عامي (1848 - 1866)، الذي لفت انتباههم إلى ضرورة البحث والتنقيب عن مواد الفولكلور وجمعه ، وشكّل منهم فريقاً لهذه الغاية ، لعل ملا محمود بايزيدي كان أبرزهم ، فدوَّنوا "مخطوطات كثيرة كان بينها مخطوطات في قواعد اللغة الكردية ، ومواد فولكلورية وتاريخية وإثنوغرافية وأدبية ، ولكن تلك الجهود اقتصرت على الجمع والتدوين دون أن ترافقها الدراسات المعمَّقة.

لقد اشتد ظلم الدولة العثمانية ، قومياً واجتماعياً في أواخر عهدها ، ما أدى إلى نشوء حركات تحرر الشعوب والأمم التي كانت خاضعة لها، إنْ في البلقان أو في البلاد العربية وبين الأرمن والكُرد ، وكان من نتيجة ذلك أن قاد بعض المتنورين الكُرد نشاطاً سياسياً وثقافياً ، أسفر عن صدور صحف كردية باللغتين الكردية والعثمانية ، مثل صحيفة "كردستان" التي أصدرها مقداد مدحت بدرخان في القاهرة بين عامي (1898-1902) وصحيفة "التعاون والارتقاء" التي أصدرتها جمعية التعاون والارتقاء الكردية" عام (1908)، ومجلة "شمس الكُرد"عام (1909)، و "الاتحاد" عام (1913)، و "يوم الكُرد" عام (1913). وجميعها ، باستثناءصحيفة "كردستان" صدرت في القسطنطينية / استانبول.

إلا أن بعض المتنوِّرين الكرد آنذاك "بدلاً من أن يتحدثوا عن الهوية الكردية ، كانوا يعتبرون أنفسهم عثمانيين ، ينقل الفولكلوري آزاد أصلان من العدد السادس لصحيفة "كردستان" أن عبدالرحمن بدرخان رئيس تحرير الصحيفة ، بعد أخيه مدحت كتب: "بالنسبة لكل مسلم ، يجب أن تبقى الدولة العثمانية ، إن جسم الدولة كما رأينا مريض بسبب سوء الإدارة ، يجب علينا أن نداوي هذا الجسم ، نزيل أسباب المرض ، ، فحياة الدولة حياتنا ، وموتها موتنا!!!". كما هو واضح لم يضع عبدالرحمن بدرخان حدوداً بين الكُردايتي والعثمنة ، بل يرى حماية الدولة العثمانية وبقاءها واجباً، وعلى الكردي أن لا يتخلف عن أدائه. ويرى آزاد أصلان أن موقف صحيفة

..... يتبع .....

هل كان للكرد أدباء وفلاسفة قبل الإسلام

- الجزء الثاني -

د. محمود عباس

أ ظهرت في نهاية القرن الثاني الهجري، ومن شبه العدم، موجة أدبية بين الشعوب المحتلة، بخصائص قومية ولغة عربية، ومن بينهم الكرد. وهذا النهوض خلقت عدة أسئلة اقتراضية:

1- هل كانت الحركة الثقافية معدومة فعلا قبل الإسلام، ونبتت تحت تأثير الدين الجديد؟
2- أم أنها طمرت تحت فرض النص الإلهي المطلق، وظلت طوال تلك الفترة بدون صوت؟
3- أم أن الانحلال في ثقافة الشعب المهيمن تحت الغطاء الإسلامي واللغة العربية، كان من القوة بأن تذيب معظم المآثر الأدبية الماضية.
4- أم أن الأجيال اللاحقة تخلت عن مآثر أسلافهم فعلا، كرها أو قناعة؟

وأي كان، فالنتيجة كانت كارثية، ضياع آثار قروناً من النتاج الفكري الحضاري. وعمليات الانحلال في الأخر تكررت مع أسلاف الكرد سابقاً مرتين:

الأولى عند هيمنة الأخمينيين، والثانية في عهد الحضارة الساسانية، حيث المزج شبه التام بالفرس، أصحاب السلطة، تحت تأثير الدين (الزرادشتية والمانوية والمزدكية) والتقارب اللغوي، وعرفوا جميعا عند المؤرخين اللاحقين بالفرس؛ والثقافة الفارسية؛ والإمبراطورية الفارسية، وهو ما نقرأه اليوم في معظم المصادر التاريخية، فنادرا ما نجد صفحات تخص الكرد دون الهيمنة أو الصبغة الفارسية، وكانت عن طريق الإرضاخ والسلطة، وإلا فلو كانت عن قناعة لما بقي من آثر للوجود الكردي، ويصف ول ديورانت في كتابه قصة الحضارة هذه الحقيقة، عندما يقول " **أما أدبهم وفنهم فلم يبق منهما لا حرف ولا حجر"** ويقصد أدب أسلاف الكرد من الميديين، أصحاب الباع الطويل في الشعر والأدب الملحمي، والتي على اثرها بنى ملوك الاخمينيون لوائح المديح عن ذاتهم، ونوع من الفلسفة الدينية بعد أن مزجت بالفلسفة اليونانية، فانبثقت منها المذاهب المتفرعة عن الديانات الزردشتية والمانوية والمزدكية، وكتبهم هي التي وقف جاحظ ضد ترجمتها.

وبالاطلاع على كتاب (الفهرست) لأبن النديم، وهو خير من عرض أسماء الأدباء والعلماء والفلاسفة والشعراء وفي الحقول الثقافية والعلمية والفنية الأخرى في عصره وما سبقه، والقارئ سيلاحظ ورود أسماء عديدة كردية وفارسية وسريانية ومن غيرهم من الشعوب في فهرسه، أو ذكر كتبهم إن كانت بلغاتهم أو المترجمة إلى العربية لكنها جميعا أسماء لأدباء وشعراء وفلاسفة للذين تم الاحتفاظ بمآثرهم، خارج الجغرافية الإسلامية العربية، كانت مخزونة في مكتبات الجغرافيات التي لم تتم السيطرة عليها، ومن المدن التي لم تطالها أياديهم، في اليونان أو الهند أو المدن البيزنطية أو الرومانية، كما ونلاحظ بأنه حتى نهاية القرن الثاني للغزو، لم يكن حتى لهؤلاء ولا لكتبهم من ذكر، إلى وتأكيداً على ما قيل، فإن العديد من المؤرخين والباحثين في التقاربات الثقافية والتراث الأدبي، وبينهم عرب، نقلوا فتات من الأدب والشعر الصوفي في الحضارة الساسانية، كقصص الحب العذري، والتي ظهرت في المراحل المتأخرة من الغزوات الإسلامية بأشعار عربية، ونسبتها شعراء العرب إلى ذاتهم، فصاغوها بلغتهم وأسلوبهم، كقصة (مجنون وليلى) حيث الحيز الصوفي العذري في أشعار لم تكن موجودة سابقا في الشعر العربي، وهي دلالة على أن الأدب الأفيستي كان سائدا حتى فترة متأخرة، ونشطت بعد هيمنة الترجمة إلى العربية، لغة السلطة، وزالت بعدها كلياً آداب الكرد والفرس والسريان ما قبل الإسلام عندما تصاعدت حركة تعريب الدواوين، وألغيت الكتابة بالحروف البهلوية وحرمت لغة أفيستا، والتي طمرت مع الزمن مقابل لغة القرآن.

أن بدأت حركة الترجمة إلى العربية، ومعظمها دمجت أيضاً بالثقافة الإسلامية العربية. علما أن أغلبية من عمل في النقل والترجمة كانوا من غير العرب، ومن بينهم العديد من الكرد أمثال (محمد بن الجهم البرمكي وهشام بن القاسم موسى بن عيسى الكردي) وآخرون وردت أسمائهم في كتاب الفهرست لأبن النديم يمكن التعرف عليهم فقط من خلال نسبهم.

وهكذا وعلى مدى قرنين أو أكثر من الزمن طمرت انتماء شعوب المنطقة، إلا ما ندر، إلى قوميتهم أو جغرافيتهم أو لغتهم، وهي الفترة التي سيطرت فيها العصبية العربية تحت الموجة الإسلامية، إلى أن برزت الموجة الشعوبية على يد الخلفاء العباسيين، ليقلصوا الهيمنة العربية، وبها فتحت الأبواب لردة الفعل عند هذه الشعوب، فتحررت مجموعات من هيمنة اللغة العربية، وأحيوا لغاتهم، وفي هذا يقول، المبالغ في وصف الأدب العربي القديم، كارل بروكلمان في كتابة تاريخ الأدب العربي الجزء الأول الصفحة(36) " ولم يؤثر الإسلام تأثيراً عميقاً في شعراء العرب، فقد سلك شعراء العصر الأموي دون مبالاة في مسالك أسلافهم الجاهليين. ولم تسد روح الإسلام حقاً إلا بعد ظهور العباسيين...وهكذا نما في عهد العباسيين أدب إسلامي بلسان عربي" وفي الواقع موجة الشعر العربي كان حديث العهد حينها، وكان في تصاعد مثير، لذلك لم تحد منها الموجة الإسلامية فأقدم الشعراء الجاهليين (والذين ينفي وجودهم طه حسين وديفيد مرجليوث في كتابه أصول الشعر العربي بل وينكران استعمال الكتابة في شمال الجزيرة العربية قبل الإسلام كليا) لم يسبقوا الإسلام بأكثر من مئة عام، وفي هذا يقول كارل بروكلمان في كتابه المذكور آنفاً وفي الصفحة (55) "أقدم ما نعرفه من الشعر المستند إلى مصادر صحيحة نسبياً لا يمتد إلى ما قبل المئة عام على مولد النبي (صلى) " مقابل ما كان لشعوب الحضارات العائدة أدبياتهم ومن بينها الشعر والفن لعشرات القرون ما قبل الميلاد. والشعر كان الأدب الوحيد لدى العرب حتى ظهور الإسلام، إلى جانب أن الفن بكل أنواعه كان شبه معدوم حينها. ويقال إن فن ألقاء الشعر بحد ذاته أخذ من الشعوب المجاورة، ويؤيد كونراد بورداخ هذه النظرية، وبأنهم تأثروا بشعراء ملوك الإسكندرية، والبيزنطيين والساسانيين.

ورغم المرحلة الزمنية القصيرة بلغت موجة الشعر العربي قمتها في منتصف العصر العباسي، وبدأت تتراجع أمام الموجة الثقافية الإسلامية، وعلى أثرها وفي فضائها عاد الأدب الكردي والفارسي والسرياني إلى الحياة ثانية، لكن بنكهة إسلامية صوفية، ولا شك الإسلامية تعني نفحات من لغة القرآن. وبرز أسماء شعراء وأدباء ومشايخ كرد وفرس، ومؤرخين سريان وأراميين وباللغة الآرامية، تحت غطاء السلطة الإسلامية العربية، والعديد منهم عادوا إلى الكتابة بلغاتهم لكن بالحروف العربية، مع طغيان كلمات الفقه الإسلامي، والآيات القرآنية العربية، ومن المؤسف أن هذه الموجات ظلت سجينة الحيز الإسلامي دينا والعربية حروفاً وكتابة، فلم تتمكن من أحياء التراث الماضي ما قبل الإسلام، ولم ينسخوا أثرا أدبيا، والذي لربما كان لا يزال باقيا على رفوف المكتبات المهملة، كالمكتبة التي تم اكتشافها تحت أنقاض مدينة أصبهان عام 35 هجرية وهي شبه تالفة، ولم تنسخ منها ومن غيرها إلا شذرات لا تذكر مقارنة بما قامت به السلطات العربية الإسلامية، خاصة في عهد الخلفاء الأمويين وبدايات العباسيين، من استخدام أساليب للحفاظ على أسماء الشعراء الجاهليين ونتاجهم، وفي هذا يذكر بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي، الجزء الأول، الصفحة (65) " ا ولم يبدأ جمع الشعر العربي إلا في عصر الأمويين، وإن لم يبلغ هذا الجمع ذروته إلا على أيدي العلماء في عصر العباسيين" والغريب أن معظم هؤلاء العلماء كانوا من الكرد

والفرس والسريان وغيرهم من الشعوب التي رضخت للنص القرآني، وخدمت اللغة العربية وطورتها.

من اللافت للنظر، لو طالت الغزوات العربية الإسلامية حينها الأراضي اليونانية لغابت أسماء فلاسفتهم وشعرائهم وعلمائهم ونتاجهم، ولربما ما كنا سنعرف اليوم شيئا عن سقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم من مدرسي المدرسة الرواقية، مثلما حدثت لفلاسفة ومدرسي مدرسة كنديشابور ونصيبين والرها وأربيل وغيرها، والتي لم تكن أقل رقيا عن المدرسة الرواقية بل وكانت بعضها، حسب المقارنات التاريخية، أوسع اختصاصا، فحتى الهنود واليونانيين كانوا يقصدونها للتعلم، وهذه المقارنة تجري على جميع المدن المحتلة حينها، وخاصة في مراحل الغزوات الأولى.

لنفهم ما حصل لماضينا، ونحن كنا أحد أصحاب الحضارة الساسانية، علينا أن ندرس ما جرى لاحقاً، من خلال ما فعلته السلطات المعادية، وما قام به أعداؤنا من التحريف إلى الفبركة التاريخية، بعد الغزوات بقرون، كما وستبين أن تلك القوى المهيمنة لم تكتفي بما حصل من طمس لأسماء الأدباء الكرد وفلاسفتهم حينها، بل خططت، لإلغائهم كشعب من الحضارة، خاصة في المراحل المتأخرة من الخلافة العباسية، عند صعود العنصر الفارسي والتركي! وهو ما أدى إلى غياب اسم الكرد وظهور الاسم الفارسي مكان الساسانيين.

فالمراجع التاريخية والأنثربولوجية تبين أن حلقات الوصل بين الكرد والفرس كانت متينة حتى الفترات المتأخرة من الحضارة الساسانية، ورغم الصراعات على السلطة، ظلت الثقافة متداخلة في العديد من جوانبها، وتصعيد أي طرف كان على خلفية العنصر المهيمن، فلغتيهما المتشابهة والجغرافية الواحدة حافظت على تداخل العلاقات رغم تناوب الحضارات، فأدباءهم وفلاسفتهم لم يكن بينهم تمييز واضح، من حيث الأسماء والنتاج، وتتبين هذه من خلال التسميات المتتالية لحضاراتهم، والتي لم تسمى أية منها بالكردية أو الفارسية، إلا متأخراً، وعلى الأغلب في منتصف الخلافة العباسية، وتشكلت عند المؤرخين الإسلاميين. وعلى الأغلب الطفرة الانتقالية من الواقع القبلي إلى حيز الشعب ظهرت في نهايات الحضارة الساسانية.

كان التداخل الثقافي والاجتماعي والديني حاضراً خلال الحضارات الميتانية والميدية إلى الأخمينية والساسانية، فحتى عندما كان الكرد فيها يقودون الحضارة الميدية والفرس بدو، كانت شريحة منهم في السلطة، ولولا ذلك لما تمكنوا من السيطرة على الإمبراطورية الميدية ومن داخلها، وعملية اعتماد أحد أمراء الميديين على الفرس لاستلام السلطة معروفة للمؤرخين، لذلك فالمرحلة الأخمينية استمرار للميدية خاصة من الناحية الحضارية، استورثوا أكثر مما دمروا، فتعلموا من الكرد الميديين العديد من العادات والتقاليد الاجتماعية، واستمروا على نفس النهج الثقافي، وأخذوا منهم طريقة استخدام العربات العسكرية في الجيش، وفي هذا يقول ول ديورانت: أن الفرس عندما سيطروا على الحضارة الميدية قلدوا الكرد في أناقتهم وطريقة لبسهم وغيرها من العادات الاجتماعية في الأكل والملبس والمجالس. ولا شك هذا الرقي الحضاري بالنسبة لتلك الفترة الزمنية، كان يرافقه تطور ثقافي، من آداب التعامل إلى الأدب الفكري، كالشعر والفلسفة، وغيرها من المعارف.

رغم قلة الأسماء الثقافية الخالدة من تلك الحضارات، إلا أن تأثيرها استمر على المجتمع حتى بعد قرون من الحكم الإسلامي العربي. وهي الشريحة المنتمية إلى حضارات الكرد والفرس، وليس من السهل عزلهما، وما حدث في القرون اللاحقة من الفرز، وتعريفهم بالصفة الفارسية، كانت على خلفية هيمنة سلطتهم، في عهد الصفويين، والسلطات الفارسية اللاحقة، إلى جانب إطلاق المؤرخين العرب على جميع شعوب المنطقة أسم الفرس، مثلما فعلوها بالشعوب الأوروبية، وتسمية الجميع بالفرنج.

وبداية مرحلة تصعيد الاسم الفارسي على حساب الكردي أو السرياني أو الشعوب الأخرى، تعتبر فترة فبركة وتحريف تاريخ الحضارات المنتمية إليها الكرد والفرس، ولا تختلف عن التزوير الجاري لتاريخ الكرد منذ هيمنة السلطات العروبية. وجميع الأسماء التي سنأتي على ذكرهم الأن كانوا في الماضي يدرجون تحت أسم الساسانيين، أي الكرد والفرس، وما تلاه من التعتيم للكرد وتضخيم الأسد الفارسي، كان تعديا على التاريخ. ولا نظن أن أي مؤرخ صادق يستطيع التحديد الدقيق لانتماء أي من الفلاسفة الروحانيين، أو الأنبياء الفلاسفة : كزرادشت، وماني، ومزدك، والفيلسوف جاماسب، معاصر زرادشت، وكتب عنه كتاب سمي بـ(جاماساب نامك، أي رسالة جاماساب بالكردية والفارسية)، أو الفيلسوف أوستانيس المختلف على أصله بين اليونانيين والساسانيين والمعروف بأنه أوستانيس الزرداشتي وكان مرافقا للملك كسريكسس أثناء حروبه على اليونان، والفيلسوف السياسي تانسار(موبد) كان زرداشتي الديانة وعاش في عهد الملك أردشير، والفيلسوف والطبيب بورزويا عاش في عهد الملك الفيلسوف كيخسرو الأول وضاعت جميع كتبه المنسوخة بالحروف السنسكريتية بعد الغزوات الإسلامية باستثناء كتاب منسوخ بالحروف البهلوية، أخذ عنه أبن المقفع كتاب كليلة ودمنه، والحكيم الأديب الوزير(بزرجمهر) صاحب الوصايا المشهورة، ومنها " ما ورث الآباء الأبناء شيئاً خيراً من الأدب، لأن بالأدب يكسبون المال، وبالجهل يتلفونه" والملك الفيلسوف (كيخسرو الأول) صاحب الفلسفة التي قال بذاته عنها بانها تبحث عن اكتشاف الحقيقة، وعلى هذا المبدأ فتح المجال لجميع الأديان في مملكته بممارسة شعائرهم، وقال بأنه لا يرفض الناس بسبب دينهم، فاق في ثقافته أو اهتمامه بالعلوم والفلسفة القيصر الروماني الفيلسوف ماركوس أوريليوس (مات عام 180م). ولا شك هناك العديد من الفلاسفة الذين لم تصلنا أسمائهم، كما ولا يعقل وجود هذه الشريحة من الفلاسفة دون مرافقة مجموعة من الشعراء والأدباء، وحيث وجود المراكز الثقافية المتقدمة، كجامعة نصيبين، كما يسميها (غيل مارلو تايلور) وكنديشابور، والمدائن، والرها؛ وأربيل وغيرها.

يقول (غيل مارلو تايلور) بروفيسور جامعة كاليفورنيا، في كتابة (الأطباء في كنديشابور) (كنديشابور تعني قرية شابور باللغة الكردية، بناها الملك شابور الأول، وزوجته ابنة الإمبراطور الروماني أورليان، وهي تقع ضمن منطقة قبائل اللور الكردية) ذاكراً في النسخة الإنكليزية " كانت تدرس في جامعة كنديشابور الفلسفة؛ والطب؛ والفيزياء؛ والشعر؛ والبلاغة؛ والفلك، وكان المركز التعليمي يستقبل الطلاب الوافدين من اليونان للتعلم وتبادل المعلومات" وكنا قد ذكرنا سابقاً، كيف أن الشعراء الجاهليين العرب تعلموا سجع الشعر من شعراء دواوين الإمبراطورية الساسانية وقياصرة البيزنطيين وملوم الإسكندرية.

لا بد من التنقيب، والبحث عن الفلاسفة والشعراء الذين طمرت أسمائهم ونتاجهم ولم يتمكنوا من مواجهة موجات الطمس والنسيان ولربما التدمير، إن كان متعمدا أو غير متعمد. فهذا الضياع الجدلي، حتى الأن، وعدم بذل الجهد المطلوب من قبل الباحثين والكاتب المتخصصين في مجالات الأدب الكردي وتاريخه، وعدم العثور على ذاك التراث الحضاري، تراث ما قبل الإسلام، ستؤدي إلى استمرار منطق عدم وجود الأدباء والشعراء والفلاسفة الكرد أو الفرس أو السريان أو غيرهم في المنطقة قبل الإسلام، **..... يتبع.....**

رحلة في سبر الألم في رواية "عندما تعطش الأسماك" لـ حليم يوسف

ريبر هبون

إن توظيف الرموز في الرواية التي تأخذ منحى سياسي اجتماعي هادف، دلالته محاولة لاستنطاق الغامض، ومعرفته وفتح المجال لسيل الاحتمالات المتمخضة عن العملية النقدية المختصة بالتأويل والإتكاء على المنهج التحليلي كوسيلة لعقد رؤى ومقاربات توغل ملياً لما وراء سياق المعاني والدلالات، وتقتحم الحدث استناداً على أسس فهمه عن كثب، حيث إصابة البشر بداء البكم، وبدء الرواية به كوسيلة لجذب المتلقي لفهم الحدث بتجسيده الرمزي وهالته الدرامية هو باعث أولي ومفصل حساس لعملية صياغة الحدث وقراءته من منظور تحليلي، والتعامل مع الرمز كونه دالاً على كنه المكنونات.

وهنا تكمن أهمية الرحلة النقدية في التعاطي مع رواية تدفعنا للمزيد من البحث وتوظف الخيال على نحو إدراكي، يخرج المرء من مساحة التأمل الخارجي، إلى فسحة أكبر وأوسع، حيث الرمزية تعد بمثابة المعنى المتضمن في جوهره عدة معانٍ، وغاية التحليل هو توليد الإبداع من خلال فهم دلالات الرمز، حيث نلحظ وجود شخص يعيش مع كلبه ويكثر لغط الناس حوله، هذا الشخص يدعى "ماسي" ومعنى اسمه "سمكة"، واسم كلبه "بوزو"، حينما تأمر البلدية باجتثاث الكلاب وقتلها، لأنها عاثت في أرزاق الناس الخراب، لم يتجرأ ذلك المدعى "معصوموا" الاقتراب من كلب ماسي، بعد أن أطلق الأخير تهديده بقتله إن تجرأ وهمَّ بقتله.

إن وصف مظاهر الحياة التقليدية في هذا المجتمع الريفي المنسي، والذي يعاني أشكال التهميش والإقصاء، هو مثار تأمل ومواكبة لمسيرة الجماعات البشرية التي تعيش ظروف العوز والفاقة، والتحقيق في مصائرها وفق هذا المنظور، يمكّننا من إيجاد دلالات أكثر نضوجاً تحكم أقدار هذه الجماهير التي تعيش في ظروف نفسية لا تستطيع الإنفكاك من خلاله عن مظاهر الطاعة والتصوف والإذعان لرجل الدين الغارق في نشره لخرافاته وعوائده المكبلة لدى الأفراد روح التأمل للبعيد، فهمُّ الرواية الاجتماعية أن تعاين هذه العلل والآفات السلوكية بمنظارها التجسيدي، وتسلط النظر على واقع شعوب مغيبة بحكم الجغرفيا وجور التاريخ.

إن هذا المجتمع المجبول على طاعة أولياء النعم يعيش في بقعة منسية، متجرداً من هويته وانتماءه، وتحرص تلك النظم المستبدة على إبقاءها في عزلة، يبدأ مسار الرواية في الحديث عن جمال "جميلة" الساحر، واضمحلال هذه الفتنة بعد أن يتم تزويجها من كهل من ثم حين تنجب تزعم بجنون أن طفلها من ذلك الحبيب، مشيرة إليه في صورتها، تذهب حيناً وبخفاء للقاء حبيبها فيكتشف الناس المقربين إليها ذلك، فيبدأون بالهجوم عليها، متوعدين لها بالقتل إن حاولت مجدداً، ونجد ماسي وكلبه في فلك عزلة ينظر إليها من حوله بغرابة، فالحديث عن جفاء العلاقات الإنسانية والعزلة النفسية مردها إلى طبيعة الأعراف المسيطرة على عقول الأفراد، مما يجعلهم يعيشون في دوامة. نلحظ أن تجسيد المأساة وإظهارها في المجتمعات الأبوية هو استدلال غير مباشر لتتبع معضلات انتقال الأبوية للمنظومة الحاكمة والتي بدورها تقف بالضد من حرية الفرد وتطلعه لعالم أقل إحباط وبعيد عن القيود، فنجد الكاتب "حليم يوسف" في عرضه لحديث الكلب بوزو مع نفسه أنسنة تنحو لنقد العيوب والعلل وجشع البشري في استماتته لإرضاء أنانيته وكراهيته للآخر، لنتأمل هنا ص21:

"أنا هو عينه ذلك الكلب الأسود، والذي حيكت حوله ألوف الحكايا والقصص، من الممكن أن يكون بعضها صحيحاً، إلا أن سكان هذه المنطقة يحبون المبالغة في الأشياء، عندما يرونني أصبحت أبيضاً، على الفور يقولون، بوزو غيّر جلده، أنا أذهل لعقولهم، لكثرة رضاهم عليها، يتحدثون عن انتصاراتهم، نباهتهم ومعرفتهم، غير أنهم غافلون عن غباءهم، أحدهم حين يولد بالكاد يتذكر قليلاً أنه كبر، ينسى أن نهايته هي الموت، غير راضٍ عن عمره أو حياته، ولا يعجب حتى بالموت، يقولون أن الحياة قصيرة وفي الآن ذاته يهرعون لصناعة الأسلحة ليل نهار، لينظروا من يقتل أكبر قدر من البشر، يبتكرون الأفكار التي تمهد لهم الطرق للقتل، إلا أننا نحن الكلاب التعساء نأتي للحياة عمياناً وصماً، ولا نستطيع أن نعيش نصف ما يعيشه إنسان، فبمجرد مرور عشرة أيام إلى خمسة عشر يوماً وما نكاد نفتح أعيننا ونبصر الدنيا حتى يلقينا الله بين أيدي البشر، كل كلب وحسب حظه، إلا أن طالعي جيد كوني صادفت شخصاً كماسي".

إن أنانية الإنسان وجشعه هما مصدر صناعة المأساة في كل زمن، إذ أنه يعيش أضعاف عمر الحيوان، ولا يسلك منطق الوداعة والبراءة في حياته، إذ يقحم الأفكار والقيم والشعارات في أفعاله وتصرفاته التي تصب في خانة التحكم والسيطرة على مقدرات الآخرين، إن أنسنة الكلب وإسباغ الفكرة المناقضة للسلوك العنفي تحوير للحوار وتوظيف له في سياق المناجاة الداخلية، والتي هدفها التأثير على الإدراك والخيال معاً، وتحريضهما وهذا من عمل الرواية على وجه الخصوص، يمكن عبره فهم داخل الإنسان الحالم، وقدرته على توظيف اللغة للتأثير على المتلقي من منظور العاطفة والإدراك معاً، ولا ضير من توجيه الخيال واستخدامه في أطر وزوايا تسهم في تعريف آليات الفن الروائي، لما له من قدرة على محاكاة الداخل ونزع فتيل الغموض عنها، في سياق وحدة الإبداع والتلقي مقابله، والإفصاح عن قيم الإنسان الطبيعي بمواجهة القوى الساعية للخراب ونبذ التعايش، حيث وصف الحياة البسيطة تعبير عن دماثة الفئات التي لا تملك ما يؤهلها لتجنح للغرور وشهوة التملك، وإنما تجد في سهولة الحياة والتنعم بالمثل ضرورة لتنفس الحياة دون تصنع وتلوث بمفاهيم التزلف والتملق،

ونجد حقيقة الصراع بين الطبيعية والقمع كامناً، وكذلك نجد الشخوص على قدر بساطتهم فإن لهم قدرة على النظر بدقة، حيث لذلك دوراً في إيقاظ الأفكار في روح المتلقي الذي يتخذ من مواكبة النص الدرامي مساراً تخييلاً لرؤية الأفكار عن طريق الإيحاء بها، ولهذا يكمن السبر في روح المتلقي المدرك، ليجد أن أكثر الأفكار يسراً وتجلياً تمر من بوابة التخييل التي تمنحها الرواية الاجتماعية في أحايين كثيرة، لاسيما حينما تتداخل مع الفلسفي بميلانه المتعمق للواقع السياسي وأزمات السلطة، فخوض سجال المشاهد الوجدانية التي تختزلها الملامح أقدر على مواكبة تجربة الإنسان في خضم غوامضه وتجلياته، وحديث ماسي عن الموت ومن أنه فقط يبصر الموت في التغوط وما الرائحة الصادرة عن ذلك إلا تجسيداً لحقيقة الإنسان المتلاشية، والتي تخبرنا بها النتانة والدمامة والتي تعكس صور الفناء بشخوصه المتهالكة.

إن سبر تعاسة الذات ورؤية الفناء في الحدث هو ما يمكن تفسيره في منحى معرفة النفس الإنسانية في إيغالها في تأمل حقيقة العالم المفضية للتلاشي والزوال، وأن الثابت الوحيد في ذلك هو الموت المحيط بالذات المتحركة، وما التعاسة في ذاتها إلا صفة بعيدة الكنه، عميقة الجذور في النفس، لما لها من تداعيات على الذات في مرورها لأطوار الإرتقاء إلى الكبر، إن نقل حصيلة المعتقدات التي يؤمن بها مجتمع معزول من ولاء للشيوخ وبعض الرقية الدينية هو بمثابة عقد مقاربات تأويلية عليها، بغية استنطاق مكنونها وتعريفها على شكل وثيقة تبين مدى درجة الغبن المفروض على تلك الفئات وتغييبها عن التنوير، وهذا يستدلنا لحقيقة التخلف الذي منيت به هذه المجتمعات الريفية التي تفتقر لنظام يهندس حياتها عدا عن سيطرة الخرافات المرتبطة بالدين على عقولها وأذهانها، وهو حال الأمم المهددة بالتلاشي ضمن بوتقة الانصهار الممارس عليها، نجد ذلك يتجسد أكثر في شمال كردستان- تركيا- وحقن هذه المجتمعات بنمط تقليدي يتجلى في الولاء للشيوخ المرتهنين للسلطة التركية الفاشية، الذين يعملون لإماتة الشعور القومي لدى الكوردستانيين، من طمس لغتهم الأم، وجعلهم يرون في اللغة التركية والإسلام التقليدي، نظرة ذات إجلال، وهذا أدى بالتدريج إلى خنق الروح القومية والتنوير المعرفي لدى المجتمعات المقيمة في الأماكن النائية.

إن تجسيد حليم يوسف لهذه البيئة لربما لم يكن أسير رقعة محددة، وإنما يتحدث عن تلك الرقعة المنسية الممحية عن خريطة العالم، وهي كردستان المقسمة بين أربع دول، إن سريان قانون البقاء للأقوى مهد السبيل لعبودية من هم في الأدنى، عبر إبقاء التقاليد والعادات التجهيلية فيها، الأمر الذي يغيّب عليها المطالبة بحياة أفضل، تتسم بالرفاهية والمعرفة، فكان خنق الإنسان بالعوز والخوف سبيلاً لجعله عبداً لغيبياته ومعتقداته الساذجة، فحديث الكلب عن فضائل ماسي، يجعلنا ندرك مدى قسوة البشر تجاه بعضهم البعض، بخاصة إزاء الفئات التي تعاني التهميش والإقصاء على رقعتها الجغرافية، فالعلائق الطبيعية معزولة بالأسلاك والألغام والحراس المناوبين والفاصلة بين شمال كردستان وغربها، والحديث عن ما يحصل في الوجدان الجماهيري إثر هذا الفصل عميق.

نجد الرواية الاجتماعية الواقعية قادرة على الإحاطة بهذا الوجدان الباعث على الحزن والتأمل الذي يدفع بالذهن للتفكير واستنباط الدلالات والرؤى، ففي ظل هذا التقسيم الجائر للشعب الكوردستاني، نجد الأحداث المأساوية تتحدث عن غياب الأمن الداخلي لدى الأفراد وعزلتهم وقلقهم من المستقبل في ظل قيام الأنظمة القمعية في الاستعباد بطرق شتى، تترك المجتمعات تتخبط في ظل هذا الصراع العنيف على إبراز لغة لصالح طمس لغة أخرى، وتفجير كوامن هذا التباين الطبقي الحاصل بين الفئات الاجتماعية، وزرع الخوف في نفوسها على الدوام، ولاشك أن الحب هو نظام ثورة يسعى إليها المدرك لحجم الكارثة لبيان حقيقة الصمود بوجه الجور والتخبط في الحياة في زمن الخوف والعوز الكبير، والذي يمكن أن يكون لصيقاً بالمجتمعات المحاصرة بأغلال الفقر والإهمال، حيث بدأ ماسي بقراءة الكتب، جعله يبصر "برفين" وكلماتها المدوية في قلبه، وأمام لعنة الحدود، يجد للحب نكهة الألم وفهم مآسي مجتمعه المقسم بين من هم تحت الخط الحديدي ومن هم فوقه، إلا أن الحب لا يعترف بالألغام والأسلاك، ولا يقيم وزناً لكل الصعوبات القائمة، ونجد التأمل هنا طافحاً في ذروته يسبر الأغوار في النفس ويحاكي أعماقها، ويستنبط منها الدلالات والرؤى، ومنها نجد العلاقة بين السلوك والبيئة، في دوام عزلتها وأثر ذلك على سلوك الأفراد. فالتبصر في حياة الناس المقيمين في تلك الرقعة وحالة الإصرار على دوام الاتصال رغم تلك الأسلاك، هو ما راح يرسم المفاهيم المتصلة بالانتماء للأرض ولقاء ذلك نجد الألم قد أخذ مناح وسياقات عديدة تبعث على التفكير في مآسي الذين يعيشون في الرقعة التي تم تجزأتها وجعل حياتها أشبه بمأساة ماثلة لا تتغير وتتشابك عقدها باستمرار.

هنا تدور على الحدود الفاصلة ما بين كردستان الشمالية التابعة لتركيا والغربية التابعة لسوريا، قصة حب مؤلمة لم تكتمل بين ماسي و برفين، التي زُفت لعريس غريب، وهنا تنمو تلك المأساة وتأخذ أشكالها المتعددة والتي تدور في فلك أبناء اللغة الواحدة، حيث الأسلاك لم تمنع من سريان الحب الذي يدفع بماسي في الاستغراق ملياً في تأمل هذا الوجع التاريخي، إن الحديث عن هذه المأساة تدعونا إلى السفر في حقل الوجدان المدرك، لنتعرف على تأثيره العام في صناعة المخيلة التي تعي أن جوهر الحياة يكمن في الإيغال ملياً في الألم ومعرفة حكمته البعيدة، حيث الحب المنتهك في جغرافيا وادعة ومنسية، لهذا نجد هنا الجغرافيا المنسية تتحدث عن وجع المحبين للتوحد، هو ذاته أمنية الكوردستاني في إزالة تلك الحدود التي تحارب إرادة عشاقها، ولكنها لا تستسلم لهذا الأنين الصادر عن قلوب أنقياءها ومعذبيها، لهذا نجد بياناً لهذا الصراع القديم الأزلي بين أنصار الحب وأنصار الإقصاء والقمع، وقد استند هذا الصراع على حقيقة أن القيود الموزعة في كل مكان، يقف المدرك بينها عاشقاً لأهمية الصفاء والبحث عنه، ومعرفياً يبحث عن سبل الخلاص من التبعية والانطواء في فلك العزلة والاغتراب.

تمضي الرواية في مسارها التأملي للبحث عن أسباب ودواعي هذا الاستنزاف النفسي الذي يعانيه الشخوص قي ظل قلقهم من المستقبل الآتي، وفي ظل بروز هذا التجهيل السائد لحياة هذا المجتمع الريفي المحاط بعوائد دينية يميل أفرادها للخرافات والأقاويل، دون فهم الحياة من منظور مختلف، فما المختلف على ضوء المعالجة النقدية للظواهر الاجتماعية كونها عاكس لمراحل تعسف السلطات القامعة، ونيلها من تآلف المجتمعات في محاولتها لمناهضة الجور، إن بيان حقيقة المواجهة لهذه الأغلال التي جاءت نتيجة تلاقح بغيض بين السلطة ورجال الدين، في إنشاء المنظومة الذكورية، وإفشال الحب الذي سعى ماسي وبرفين إليها كتأكيد عن حقيقة الترابط الاجتماعي وزيف الحدود ووهم الأسلاك، جاء الحب هنا ليعبر عن حالة الاتحاد الطبيعي بين الرجل والمرأة عبر الحقب الطويلة من الصراعات القهرية، إن الصراع الفكري مشتق من قوة الإيمان بالعاطفة ومدى تحديها لقسوة الاغتراب والتوحش السائد والذي يعكس بطبيعة الحال تجلياته على الأفراد ونزوعهم إلى التحرر والاستقلالية.

إن اعتكاف ماسي على القراءة واستبدال مكتبته من كونها كانت تعج بالكتب الدينية إلى كتب فلسفية تعكس في

ذاته أسئلة البحث عن التغيير في ظل واقع قائم على النكوص والسبات ، فهنا المرء المعرفي بعد اكتشاف نزيفه ومعرفة أن العالم يعج بالنقص ، ذهب ليتقصى الحياة من خلال القراءة في الكتب التي تعكس مساعي عديدة لفهم إرادة الإنسان في مواجهة العوائق والصعوبات الواقفة في طريقه ، تلك الإرادة المفعمة بالطاقة والتي تنافس سعي أولئك المهيمنين على العقول بواسطة الخرافة ، إن إرتقاء الأحاسيس ناتج عن الصدمة وبمواكبته فإن العقل ينشط ويبدأ التهافت على فهم حقيقة الوجع ، ومغازيه ووضع الإمكانات لدفعه ، فمحاولة الإنسان دفع صخرة الهزيمة والفشل ، هو وسيلة لفهم معاني الإرادة الكامنة ، والتي تدفع بالأفراد لدفع الخطر عنهم ، وكذلك فإن ما يعتمل الذات من انكسار وخيبة ، هو في أحيان كثيرة مثار تصميم على تجاوز المحن وذلك بدفع ذلك الخطر بوسائل شتى تعمل العاطفة والإرادة المدركة على بلوغها ، فالمأساة ناتجة عن رادءة التفكير وتقليديته ، وطرق عيش الحياة على نمط مبتذل ولا يلبي تلك الرغبة القصوى لنيل حياة أفضل تتحقق في ظلها العدالة والرفاهية.

إن سعي الفرد المدرك في ظل المجتمع المنقسم بين فئة قليلة تتحكم في عقول فئة تعيش لتقتات الفتات في كل يوم ، وتعيش على رقعة حدودية مفعمة بحكايا الانتماء المؤلم لوطن مقسم ، وقضية مبعثرة في أجزائها الأربع ، هو تجلي حقيقي لمسيرة الحياة باتجاه الحرية والخلاص ، وتسلك الرواية قضية المواجهة تلك لما تتخللها من صعوبات وعثرات ، وعلل تدك مفاصل الحياة الاجتماعية والمعيشية ، وتحاول النيل من حقيقة هذه المواجهة ، إلا أنها تفتح حتماً المجال لتساؤلات المتلقي وشجونه في آن وتعرفه على عالم الروح الجمعية لهذا المجتمع المهمّش والمنعزل ، وخليط الأفكار والعادات والمعتقدات التي لها أثر في ترسيخ التخلف الاجتماعي والسياسي ، حيث التباعد بين الرجل والمرأة ، وخنق الحريات ، وقتل الحب ، وذلك الاغتراب الهائل بين الإنسان الفرد والمجموع .

إن النظر في هذه الحدود الفاصلة بين مجتمع واحد يتمايز بلغته وتقاليده الموحدة ، هو بمثابة سبر لأطوار الوجع الذي رافق مسيرته في خضم البحث عن الحرية ، فالكلب بوزو يشرع في مواكبة أحزان ماسي ، وتأمله لتلك الحدود الفاصلة بين غربي كوردستان وشمالها في رقعة فاصلة ما بين سوريا وتركيا ، الأمر الذي يجعل الأذهان تشرع في البحث عن دلالات هذه الأحزان المتمخضة عن قصة عشق لم تكتمل بين ماسي وبرفين ، فإذ به يشرع في قراءة رسالتها ، وإذ ببوزو يتأمل ويمعن بملامح ماسي ، يقتفي ذلك الألم الذي يعتصره ، لنتأمل هنا ص41:

"أنا كلب الله الأصم والأبكم ، بين هؤلاء البشر الناقمين علي ، وجب من الآن وصاعداً مهما بدا ذلك سهلاً علي أم صعباً ، أن أقبض خبز يومي ، كي لا أموت في الشتاء برداً في تلك الشوارع التي أقاموها ، علي أن أعثر على زاوية ، كي أقي نفسي من رصاص وحجر وغدر هؤلاء البشر ، ليتني استطعت فعل شيء ما لماسي ، حتى لا يدعني ويدع نفسه وحيداً ، إلا أن هذا قد تأخر ، ولا جدوى من المحاولة ، لكنت قد ارتويت من النظر لماسي وقفلت عائداً أدراجي في الصباح ، سأزوره كل مرة عندها ، وأسعى في الحياة ، كون أعمار الكلاب قصيرة جداً ، ولو يهبني الله عمراً ، لعدت مجدداً لماسي ، وفيما لو أن ذلك لم يحدث وتقطعت بي السبل ، فإن الحدود قريبة من هنا ، وكأي كلب مستاء ، لاستطعت أن أمشي على ألغام الحدود لأنهي حياة هذه الكلبنة".

ففي هذا التعبير الصارخ يمكن استشعار المأساة على نحو أكثر درامية ، فهنا يعبّر الكلب عن حياة الشرائح المعدمة التي تعيش حياة أشبه بحياتها ، ولو أن التعبير جاء هنا على لسان حيوان يبصر وجع الذين يعايشون رهبة التأمل من على الحدود والأسلاك ، إلا أن ذلك يواكب نفسياتهم ، كونهم يعيشون حياة أشبه بتلك الكلاب الخائفة من رصاص حماة الحدود ، فأنسنة الكلب وسرده لأحزان ماسي مقصودة والغرض منها إحداث نوع من المقاربة على نحو ما ، حيث الحاجة إلى التعاطف والحماية تجسد تلك المصالح الضرورية بين الإنسان والآخر ، كما بين أفراد المجتمع ككل ، وتلك القيم والمعايير الأخلاقية هي من الأشياء التي يمكن أن تقيم تعاقدات طبيعية أكثر ترسخاً مع الزمن ، وهي ما تخلق مبدأ الالتزام المتبادل ، لمواجهة الأخطار الناتجة عن ضياع الروابط القيمية ، إثر تفشي الترهيب والعنف على نحو متصاعد ، فالحياة الاجتماعية هنا تنحو منحى الانقسام والتصدع ، نتيجة تفشي الجهل والفقر على حد سواء ، إلا أن هذا الانقسام لم يقف حائلاً أمام نظرة الشعب الكوردستاني في الحدود والأسلاك أنها من فعل الأعداء المغتصبين لكوردستان ، والذي جعل المجتمع رغم انقسامه اقليمياً بين أربع دول مصطنعة ، متوحداً ومتآلفاً روحياً ومؤمناً بقوة في عدالة القضية والهدف ، فما الحدود إلا وهم أمام عظمة الحب وقدسيته ، حيث خلق هذا الانقسام كل معوقات العيش من فقر وبطالة وموت ، إلا أنه بالمقابل جعل التلاحم عظيماً رغم توالي التحديات والظروف الصعبة.

إن نكبات المجتمع وآلامه تتراءى جلية في حالات الصراع والتصادم الفعلي مع الجهل ومخلفاته من عادات وتقاليد مستمدة من الدين السياسي ، والذي ساعد على تجذر الفقر والتخلف بصورة منتظمة وممنهجة ، الأمر الذي جعل الحدود تبدو كما نتأمل على رقعة الشرق الأوسط التي نجد خاطتها تتربع على مساحات من الأرض التي تكتظ بصراعات مجتمعاتها الطائفية والعرقية ، ونجد الحب هنا منكوباً ، وسط مجتمعات تزرع الأغلال والحواجز بين عشاقها ، وتحارب فيهم روح الاختيار ، حيث نجد عبودية الأمم من انتكاس وخيبات عاشقيها في نيل مرادهم ومبتغاهم من الوصال والهناء ، ونجد الحدود مقيمة في الأذهان أيضاً ، وليست فقط مجرد أسلاك وألغام موضوعة على طول الحدود التركية السورية ، أي التي تفصل بين غربي كوردستان وشمالها ، إذ يسعى المهمشون في سباق مع الوقت لكسب غمار المواجهة مجدداً ولغلبة الحب على الحدود الهزيلة.

ولهذا كان تمترس ماسي بالكتب وقراءاته للفلسفة ، بحثاً عن نهضة بدأ يتحسس ضرورتها شيئاً فشيئاً ، فالحب بات منتهكاً على مسرح الحدود الصماء ، والوطن يعج بالفقر والخرافة والجهل ، وأمام ذلك لا بد من إشعال فتيل النهضة المعرفية ، والتي وظيفتها تحريك المجتمع لينهض من سباته ، وليرفع عن كاهله الغبار والتعب الكبير. لهذا سلك حليم يوسف في هذه الرواية مذهباً آخر ، راح يعبر عن حقيقة تحسس المعرفي لآلام وتطلعات جماهيره ، ليسير باتجاه معرفة المفتاح أو الحل لإزالة كل هذا الجور والغبن ،فكلب ماسي يحاول أن يقول أن حياة الظلم التي يعيشها الإنسان المهمّش ، لا تختلف عن حياة الكلاب وأعمارها القصيرة ، وأن الاستعباد يجعل المرء يحس بدونيته عن البشر ، لهذا نجد لسان حاله مجسداً مشاعر البشر من خلال مشاعره ومواكبته لماسي وأحزانه وتأملاته ، إننا نجد هنا رومانسية واقعية تتجاذب عرض الأفكار وتسهم في تعريف مصادر المأساة لدى الإنسان الشرق أوسطي في رقعة الواقع الكوردستاني بصورة خاصة ، هذا الواقع الذي تعرضه الرواية انطلاقاً من تأويلها لرمزية الحدود والأسلاك والألغام الفاصلة بين أبناء لغة واحدة وواقع مجزأ ، وسبرها للواقع الاجتماعي المعبر عن التقاليد الجمعية التي تناقلتها الأجيال على نحو فطري ، عبر تمسكها بجملة معتقدات ومسلمات ، جعلتها تعاني العزلة ولا تستطيع مواجهة الظلم الذي تعانيه ، نظراً لتلقيها ذلك على ضوء اعتقادها أن ذلك بمثابة عقاب من السماء ، وهنا يتجلى هذا الاستشراف البعيد للأحداث في الرواية ، إذ جعل حليم يوسف من شخصية ماسي بمثابة المنقب عن ثورة ما تعيد الحياة إلى مجتمع يحتضر ، فماسي يقرأ ليبحث عن أسباب الويلات والضعف ومن ثم ليبدأ بالانتفاضة عبر الحدود ، التي ستنجلي عن طور الصراع الضاري بين إعادة المجتمع لنهضته وبين من يحولون ذلك وعبر زرع الألغام والأسلاك ، وإقامة الحدود ، فبوزو يقرأ تداعيات ما يتجسد في ملامح ماسي ونواياه في تغيير قدر التاريخ ، وصناعة تاريخ جديد ، وحاضر أفضل ، فتلقي الوجع بشدة يليه فعل لمواجهته والاستعداد لخوض المشقة في سبيل دفعه.

وهنا يحاول ماسي إبراز قوة الفرد في إبراز مكنون المجتمع وروح التغيير الكامن فيه ، وتحويله إلى واقع قائم، رغم أن هذا التغيير محفوف بالمخاطر ، ويتجلى في حالات الصراع التي يخوضها الأفراد إلى جانب محاربتهم لتركة التقاليد والعادات البائدة المقتبسة من تأثيرات الدين السياسي ، والتي أصلت الذكورية في أعلى مستوياتها ، مما سيعاني الكثير في خضم هذه المواجهة ، بمعنى آخر ، فإن الحرب الدائرة بين المجتمع وصناع الحدود والمآسي لن تكون مباشرة ، وإنما سيخوضون أولاً تلك الأغلال التي تكبل حركتهم والمتجسدة بتقاليد الذكورة المتفشية في مجتمع يقمع شبابه وشاباته عبر زجهم في عقود حياة تالفة وقمعهم للحب ، وهكذا لا يغدو المجتمع ، مجتمع مواجهة ، لكونه مقيد بأغلال متشابكة ، إنها ترعى تركة السلطة وعقيدتها البائسة ، يحاول ماسي هنا خوض غمار تجربة الانضمام للذين حملوا السلاح للدفاع عن قضية تأبى التهميش وشعب يأبى الانصهار ، وكذلك فإن جوهر بحث ماسي عن الحقيقة يكمن في رغبته في اكتشاف الحياة الأخرى، الحاملة في طياتها معاني تعزيز الإرادة وإزالة الحدود وكذلك إيجاد الحب الطبيعي بين الجبال وحياة الحرب والسعي لأحلام تأبى التلاشي، إنها أحلام الوصال والرغبة في إيجاد حياة ذات معنى بعيد عن مجتمع مكبل بأغلال الذكورة وواقع صنعه الكبار ، راسمي الخرائط والحدود ، ممن أوجدوا أطراً للكراهية تتجسد في تقسيم كوردستان ، وبث الكراهية لأمد أطول بين شعوب الشرق الأوسط عبر حكوماتها المصطنعة ، ممن أوجدت التباين وعززت من ترسيخ التخلف السياسي على نحو أكثر شناعة.

وبانضمام ماسي لصفوف المقاتلين واعتزامه على خوض حياة يراها المثال لتحقيق أهدافه وأحلامه المنتهكة ، تكمن تلك الجذوة في ترسيخ التحرر عبر الانقياد لنداء الفكر والوجدان معاً ، حيث باتت الحدود محفزة على النفور من واقع يقض المضاجع ، وكذلك بدأ البحث عن الحرية جلياً في فكر من تعرضت روحه للانتهاك تحت ضد المفاهيم الذكورية والتسلط السلطوي الذي دأبت السلطات الشمولية في سلوكه لقهر كل تطلع لدى الفرد ، فالمجتمع يبدي عجزاً كبيراً حينما يتم خنقه عبر إزاحة الحريات في حياته ، وجعله هامشياً يعيش على فتات ما يقتاته كل يوم ، وهذه العزلة الخانقة هي التي سببت مع الوقت احتقاناً عميقاً وكراهية لحياة البؤس ومسبيبها على الدوام ، لهذا فإن الحروب تتضخم شيئاً فشيئاً لتغدو لزاماً على الأفراد لاستعادة دفة الحياة المنتهكة عبر ردح من الزمن ، هكذا تغدو الحالة رهينة هذا الضغط المتصاعد شيئاً فشيئاً ، حيث إرث المنظومة الأبوية يتقوض مع الوقت ، ليحيل الجماهير إلى جمرات ملتهبة تحت الرماد.

لقد تم نعت الإنسان البائس بالكلب وفق هذا الانزياح والإسلوب المؤنسن الذي ارتأى الكاتب من وراءه التعبير عن قمة اليأس والألم التي وصل إليها الإنسان الكوردستاني في ظل واقع أفرز عللاً جماً في مختلف الميادين والصعد ، بات الإنسان يعيش في الماضي ، متقنعاً بالمفاهيم الدينية التصوفية المعتقلة للعقل ، والتي يلزمها بطبيعة الحال ، تفكير مضاد بالانقلاب عن هذا الواقع وسلوك مسار جديد ومختلف ، يعمد إلى تحقيق مقومات التغيير ، استناداً من العمل لأجله ، فما ترك ماسي لحياة الألم والانقياد لتداعياته وخروجه إلى الجبال ، إلا تعبيراً عن ذلك الصراع الخانق ، والكبير بين مستعمر توغل إلى حد كبير في مفاصل حياة المجتمع ، زاراعاً فيه نبتة الجهل والتخلف والإسلام التقليدي ، وتكبيل العقل ، وبين أفراد عاشوا في ظل هذا الواقع الجائر ، وعمدوا إلى الانتفاضة بكل إمكانياتهم الغضة ، حيث من هنا نجد أنه بات لزاماً عليهم خوض هذه الحرب بين طرف قوي يسعى لإبادة وصهر شعب في بوتقته ، وبين مجتمع ينتفض ويحاول بشتى السبل إزالة أشكال القيود الفكرية والسلطوية والأبوية عن حياته ، ولاشك أن هذا الاختبار شاق وكبير ، وتاريخي في محاولات انعتاقه من الأسر المقدس.

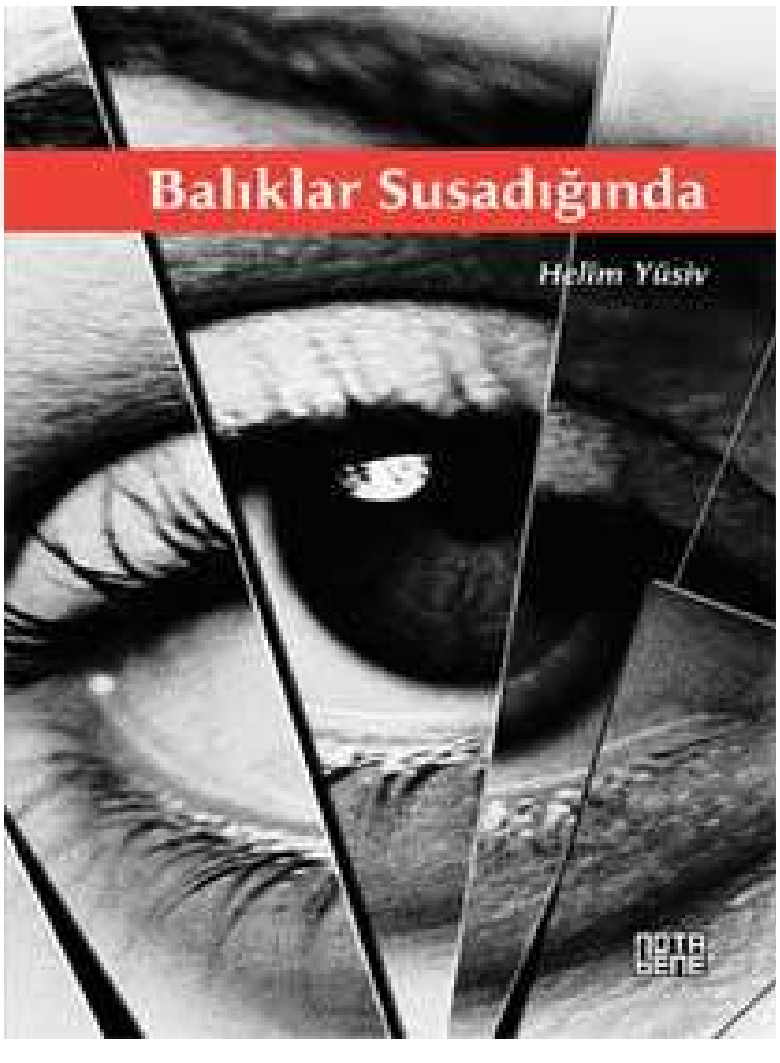

رواية "عشبة ضارة في الفردوس" في هاجس العنوان ودلالته

د. ولات ح محمد

كثيراً ما يذكر الأديب في حواراته أو في أثناء سرده لأجزاء من تجربته الكتابية أنه قد غير هذا المكون النصي أو بدّل تلك الفكرة أو الشخصية في هذه المرحلة من كتابته أو تلك. ويمكن القول إن أكثر المكونات النصية التي تتعرض للتغيير أو التعديل تتمثل في الاستهلال والنهاية، أما أبرزها وأكثرها عرضة لتلك العملية لمرات عدة فهو العنوان، لأن هاجس العنوان يظل يقلق صاحبه في أثناء اشتغاله على النص ولا ينتهي بانتهاء الكاتب من كتابته ولا بدفعه الكتاب إلى المطبعة، لما له من دور في إلقاء القبض على القارئ وفي تلقيه النص وقراءته وتأويله أو الفكاك منه والإحجام عنه وتركه على الرف.

كنت واحداً من المحظوظين الذين سنحت لهم فرصة قراءة رواية (عشبة ضارة في الفردوس) للسوري هيثم حسين عندما كانت مخطوطاً قيد التجريب، أما ما دفعني لكتابة هذه السطور فهو أنني قرأت الرواية/ المخطوط آنذاك تحت عنوان (ترويض الشياطين). وإذا كان التغيير أمراً طبيعياً يمارسه الكاتب مع نصه بهذه الدرجة أو تلك من حذف وإضافة واستبدال وتعديل وغير ذلك، وإذا كان هذا جزءاً من آليات الكتابة وطقوس التأليف كما سبق القول، فإن العنوان يبقى أحد أبرز الهواجس التي تشغل المؤلف حتى اللحظات الأخيرة قبل إرسال كتابه للمطبعة. لهذا يبقى العنصر النصي الأكثر عرضة لإحدى تلك العمليات النقدية آنفة الذكر.

في هذا السياق ولكي يصبح أكثر قرباً من النص الروائي المرصود، يتصدى المقال للإجابة عن جملة الأسئلة هذه: ماذا لو بقيت الرواية محتفظة بعنوانها الأول؟ ولماذا غير الروائي عنوان روايته هذا التغيير الجذري؟ وما دلالة كل من العنوانين في علاقته بموضوعة الرواية أو الرؤية المطروحة فيها؟ والأهم ما الذي سيختلف لدى المتلقي إذا قرأ الرواية تحت هذا العنوان أو ذاك؟.

لا يمكن الركون بطبيعة الحال إلى أن سبب هذا التغيير الكلي للعنوان يقتصر على وظيفته التعريفية المتمثلة في إزاحة عنوان وتمييز الرواية بآخر مختلف، ولا على وظيفته الإغرائية (على أهميتها هنا) التي تدفع القارئ لتناول الراوية والإقبال عليها وقراءتها، بل تتجاوزهما. حسب هذه القراءة. إلى تغيير الناص رؤيته في نصه وبؤرة الدلالة التي أراد توجيه انتباه القارئ إليها؛ فالعنوان في أحد أدواره يعد العلامة الأولى والأبرز التي تضع القارئ أمام أفق (قد يضيق أو يتسع) يتوقع من خلاله ما يمكن أن يقرأه في هذا النص أو ذاك. من هنا يمكن فهم تغيير هيثم حسين لعنوان روايته الأخيرة على أنه تجسيد لرغبته في وضع قارئه أمام أفق توقع مختلف وتوجيهه إلى بؤرة/بؤر دلالية معينة في نصه مغايرة لما كان عنوان الرواية الأول يدفعه باتجاهها.

(ترويض الشياطين) يوحي للقارئ بوجود مجموعة من المتمردين (الشياطين) الخارجين عن الأعراف أو القوانين أو الشرائع أو المسلمات أو الأصول، وبوجود من يحاول أو يعمل على تهدئتهم وتدريبهم (لترويضهم) وإعادتهم إلى أصول اللعب وجادة الصواب. ذلك هو العالم الذي يتوقعه القارئ من خلال ذلك العنوان الذي ينطوي على الكثير من الإغراء للقارئ لجذبه إلى دهاليز النص، ولكن يبدو أن الروائي اكتشف في لحظة ما أن ذلك العالم ليس هو ما يدعو قارئه إلى اكتشافه في هذه الرواية.

(ترويض الشياطين) عنوان مفعم بالحركة واللعب والتمرد والفهلوة والذكاء، على العكس من العنوان الثاني الذي صدرت تحته الرواية والذي يَسِمه السكون والهدوء؛ فهذا الأخير أقرب إلى وصف حالة ثابتة وقارة (عشبة في الفردوس) تحرك سكونَها مفردةُ (ضارة) الفاعلة والعاملة على إلحاق الضرر، ولكنه في الوقت نفسه يوحي بوجود عالم جميل مثالي (الفردوس) تعكر صفاءه وجماله ومثاليته (عشبة ضارة) واحدة تنهض وسط أعشابه المفيدة الكثيرة وفاكهته اللذيذة ومياهه العذبة.

الفرق بين أفق التوقع الذي يرسمه كل من العنوانين في مخيلة القارئ هو تماماً الفرق بين الرؤية التي أراد الروائي تقديمها لقارئه في المرة الأولى وتلك التي يريد طرحها في الثانية، أو ما يريد للمتلقي أن يتوقعه للنص من خلال عنوانه. من هذه الزاوية يبدو أن هيثم حسين. وهو يحاكم عنوان روايته الأول ومبتغاه في نصه ويقوم بعمليات الإزاحة والإحلال. قد غادر فكرة الشياطين وترويضها إلى فكرة أن يرى الآخرون في أحدهم عنصراً مفسداً وضاراً بفردوسهم المزعوم الذي يظنون أنهم يمثلونه أو يعيشونه وأنهم يمثلون الملائكة فيه، أو فكرة أن ترى نفسك فاسداً منبوذاً مكروهاً وسط الآخرين، أو أن تكون كذلك حقاً، ولكن من وجهة نظر الكاتب على أقل تقدير.

العنوان الجديد البديل يدور في هذا الفلك الدلالي وهو مختلف اختلافاً جذرياً عن الأول، علماً أن النص الروائي هو هو. هذا التغيير في العنوان يعني بالضرورة أن الشخصيات والأحداث الروائية التي تمثل "العشبة الضارة والفردوس" قد تقدمت في رؤية الكاتب الجديدة على حساب تراجع مثيلاتها التي تمثل "الشياطين وترويضها" في النص. وهذا يعني، تالياً، أن صاحب (إبرة الرعب) قد غير هدفه من نصه وأراد أن يغير وجهة قارئه أيضاً باتجاه مبتغاه الجديد، فكان استبدال العنوان أولى العلامات الدالة على هذا التحول في الرؤية وأفضل الآليات القادرة على إيصال هذا التحول إلى القارئ بأفضل الصور وأسرعها.

ينبغي أن أشير في هذه العجالة إلى أنه بين مخطوط الرواية التي قرأتها وبين تلك التي صدرت مطبوعة إلى القارئ لم يكن العنوان هو المكون البنائي الوحيد الذي أعمل فيه مؤلف (الرواية بين التلغيم والتلغيز) مبضعه النقدي تغييراً أو تعديلاً أو حذفاً أو إضافة؛ بل هناك الكثير من بنيات النص التي تعرضت لواحدة من تلك العمليات أو أكثر، من إضافة لفقرات أو صفحات وحذف لأخرى وتغيير لمواقع بعض فصول الرواية، وتغيير لمواقع الراوي والمروي له وتنويع لطرائق السرد وغير ذلك. كما أن الشخصية الروائية التي تمثل العشبة الضارة باتت أكثر حضوراً في المشهد الروائي مع العنوان الجديد مقارنة بما كانت عليه في (ترويض الشياطين). كل ذلك بغض النظر عن أيهما (العنوان وبنية النص) قد تسبب في تغيير الآخر؟.

الجدير بالذكر، أخيراً. ضمن هذه التغييرات المرتبطة بتغيير العنوان. أن الروائي قد جعل من (ترويض الشياطين) عنواناً للفصل الأول من (عشبة ضارة في الفردوس)، وهذا يدل على أن هيثم حسين لم يغادر فكرة الشياطين وترويضها تماماً وإنما جعلها في موقع فرعي من رؤيته الجديدة في نصه. وهذا ما يتوقع حسين لقارئه أن يكتشفه بعد أن يبدأ بتخطي عتبة العنوان حاملاً توقعاته باتجاه دهاليز النص وخباياه التي تنتظره ليخوض معها مغامرته الخاصة لاكتشاف عوالم الرواية وخباياها بأدواته القرائية الخاصة أيضاً.

غمكين مراد

ترجمة جنيٍّ للملل

مَهدُ لقاءٍ بينَ
ترابٍ ودمٍ
مرحٌ لغضب وبكاءٍ
مأساةٌ تفصحُ عن ملهاة الخلاصِ
مرتعٌ لضيوفِ الصمتِ ومنفي الجبالِ
بسطتها أجنحةُ آذارَ الصارخِ على شقائقِ النعمانِ
ما كانَ :رحلَ دون حنينٍ
والمشهدُ حاضرٌ يتنهدُ جراحَ السياطِ المهترئةِ بالعمر
أطفالٌ
شيوخٌ
نسوةٌ
يدّلون العويلَ إلى أضرحةِ الخلودِ
ما من عفوٍ
ما من مُزاحٍ
بين نقائضِ الدمِ.
ملحمةٌ بيراعِ الحناجرِ من قصب جغجغ وخابور
إلى آمد وأورفةَ وهوليرَ وسَنه.....
الصوتُ: ما من هدنةٍ بين الموتِ وطالبِهِ
ما من فجرٍ بلهبِ الصدفةِ دونَ هدوءٍ عاصفٍ
صدىً للأشجارِ
للهواءِ والجدرانِ
والحجارةَ وعصافيرِ المكانِ:
قُدنا أيّها الصوتُ
أكتافنا حاملةٌ لبنادقِ حياتكم.
في مسرحِ الموتِ
حصارٌ
قوةٌ
هديرُ أجنحةٍ تُديرها
احتراقُ الدمِ الهادرِ من صنابيرِ مائِها
رضيعٌ ومخه
شريكين في كسرِ الحصارِ
شريكين في سهرةٍ لصنعِ ثوبٍ ، للموت
تُسدَّلُ ستارةُ الغيبِ على تعبٍ
تُرفعُ الستارةُ عن صباحٍ حذرٍ
الغدُ يحملَ نعشَ البراءةِ في خجلٍ
الحديقةُ حمراءُ
شلالُ كلماتٍ ترميها زلازلُ خطواتٍ
عطرُ الحديقةِ ينتثرُ
كراسيها تسيرُ
أوراقُ الحديقةِ تصرخُ
ريحٌ تُردّدُ العويلَ
ما من وقوفٍ أمام ريحِ الأثيرِ
حاجزٌ
ظلالَ ثعابينَ
سمومُها تُرشفُ من فوهاتِ الهزيمةِ
وراءٌ يرسمُ للخطواتِ سياقها
للحاقِ بالهربِ
تُسدَّلُ الستارةُ على ثقوبٍ في الجسدِ
تُرفع الستارةُ بإلهامِ كلماتٍ غافيةٍ على خدِّ القبرِ
هدوءٌ يترقبُ
زمنٌ يحبو
وأبنيةٌ تدخرُ الفراغَ ،
اعترافٌ مخدرٌ
ثم انتظارٌ.
تُسدَّل الستارة بِنَفَسِ انتقامٍ
تُرفعُ الستارة عن أبنيةٍ جائعةٍ
تملأُ الفراغَ
يُقتلُ الزمنُ
والهدوءُ يعتكفُ بالندمِ
ما من نهايةٍ تشبهُها
ما من سرٍّ في تخثرِ الدمِ دونَ دفءٍ في الخفاءِ
تُسدَّلُ الستارةُ
تُرفع الستارةُ
مدىً للصوتِ
مدىً للحكايةِ
مدىً للكلماتِ
تنهمرُ على الوقتِ في مضضٍ

بيار روباري

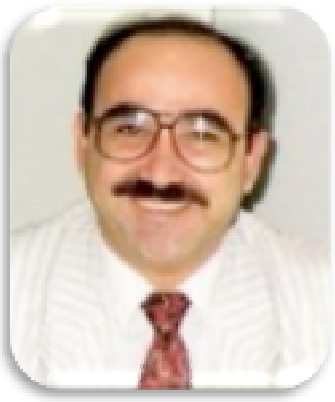

الشاعر وتاجر العملة

ذات صباح
كنت أتوجع من الرياح
بادر إلى ذهني ولاح
صورة الأهل وليالي الملاح
فإتصلت بهم لأرتاح
فبعد السلام والتحية
والكلام عن أحوالهم والبقية
وعدتهم بارسال خرجية أو لنقل عيدية
لشراء بعض اللوازم وكم من هدية
فأرسلوا لي رقم هاتف وإسم تاجر
يقيم في أمستردام شقيقة البندقية
وقالوا يكفي أن تتصل به وهو سيتكفل بالبقية
إتصلت **برشيد** ورويت له القضية
فطلب مني القدوم إلى أمستردام وجلب النقود مخفية
ذهبت ومعي النقود ملفوفة بظروف ورقية
بعد التعارف والتحية دخلنا في صلب القضية
سوامني سيادة التاجر وأصر على نسبة سبعة بالمية كإجرة للعملية
هذا وصورة اوجلان معلقة فوق رؤوسنا كلوحة جدراية!!
ليست هنا القصة والخبرية
الحكاية بعدما إنتهينا من ارسال "الحوالة" النقدية
طلب مني حضرة التاجر كتابة قصيدة بالكردية
مضمونها يدور ثورة الحرية
هدفها رفع الروح الوطنية
قلت له حسناً يا سيدي التاجر مثل هذا العمل له كلفته المادية
فإنفجر في وجهي كالقنبلة البخارية
وقال لي:
أين وطنيتكَ ، والتضحية من أجل القضية ؟
قلت: حضرة السمسار مهلاً ولا داعي لكل هذه الثورية
فمنذ لحظاتٍ كنت تساومني على النسبة المئوية
وأخذت مني نسبة تفوق تسعيرة كل البنوك المحلية والأجنبية
والأن تتحدث دون خجل عن الروح الوطنية الكردية ؟!!
إخوتي الكرد هذا نموذج من نماذج تجار القضية
فإحذروا مثل هذه النماذج الشيطانية
فهي لا تجلب إلا الأذية للقضية ... للقضية.

2018 - 08 - 15

فواز قادري

كأنني أخلط الدنيا

أصحو عليكِ
بين كلّ حلم وكابوس
وأخلط بين مراياكِ
وبين الفرات الساهر على الطلول
بين فراشة تطير
وبين رصاصة تخترق الجمجمة
بين شعركِ المهفهف الطويل
وبين أظافر انتظاري
بين رغيفكِ الساخن
وبين دمعة أمّي
أخلط بين عيون تبكي فرحاً
وبين امرأة تحار بدمعتها
بين أياد تلوّح في الوداع
وبين التي تصافح القادمين
أخلط بين الدير في صباها
وبين الدير الخالية من الأحباب
أخلط بين مدينتي وبينكِ
بين بلادي والدنيا
أخلط قلبي كلّه بدمعتكِ
تماماً قبل أن أبكي.

علي عبدالله كولو

شيخي الحزين

من جنتك الفردوسية
يا شيخي اعتزل
اطلب من ربك الإذن
وغادر الجنة
فالوطن في جحيم
فيرد شيخي الشهيد
لن أعود.. لن أعود
فقد ضيعتم دمي
وتركتم الوطن ينزف
حزينُ أنا يا بني
لا لأني غادرت باكراً
ولا لأني تركت أطفالاً
بل لأنهم لم يدعونني
أنهي الرسالة
مفجعون نحن شيخي..
مفجعون
لأنهم خطفوك بالغدر
وطعنوك بالغدر
وساستنا صامتون
إرجع..إرجع أيها المخلّص
فشيوخنا مرتزقة
وحركتنا مشتتة
وشعبنا يائس
ارجع.. فقد مللنا الانتظار
ارجع.. فنوروز تنتظرك شيخي
وقامشلو الحبيبة

بعد أن رحلت تاهت
عائدُ أنا يا بني
في دموع أمٍ ثكلى
وإرادة أبٍ سجين
وعيون طفلٍ
ينتظر جلاء الظلمة
في وحدتكم ...عائد
في إخلاصكم..عائد
عائدُ عائد
2006/ 12/1

لمى اللحام

نبال مفردات

نبالَ عيني لا يُشق لها غسق..
نالت ياقتك
تعشقت لفتاتُك ألوان مبسمي
صمتكَ ذاعَ بتيّمٍ رهين..
بائت..
نَتف صمتي الرخيمُ أوراق الغاردينيا..
شريط حدادٍ شُدَ على الشفتين
باستدارتِك
و ثوت المفردات
في الأوتار
بكمٌ أطبق على الحنجرة!
تذكرتُك من أدراجِ ليالٍ سرحت..
همستَ في ركني بأني أصعب النساء..
بقلبي الطفل
عقلي الرجل
جسدي متفجر الرمان
غازلتَ شعري بالشلالين المنحلين
من كحلِ عين المساء
الشرفاتُ إطلالاتُ وداع..
و الكلمات بيوتها قرار الريام!

أماني خليل

كريشندو

يوم جَديد
نجمة ونجمتان
تنامان في بطن سماء تَحترق
لايشهد على نمو الأبيض بين أذرعنا
إلا احتراق الإسفلت تحت أقدامنا الغاضبة
في حَرارة أغُسطُس

المنديل الورقي يَمسح جبهتنا المُتعرقة برفق
كما يتشرب ببطء أحلامنا المبتوره
في المرآة وجهي لا يَصلُح تم امًا لملامحي
إنه أكثر غرابة من طاقم أسنان جَدي
شاشة التِلفاز تؤكد
أن العام الجديد يحمل جُنونًا أكثر
"الأنتي بايوتك "عاجز عن عِلاج
انحناء رَوحي
بلا رسالة على الهاتف
زُهوري المَنزلية تُوَدِعني
في الصباح أجد جُثتها في الإصيص

قُبلة وقُبلتَان
كريشندو القُبَل
تَعقُبه أحضان مالحة
في المَساء
تَصفَعَني واجِهات المحلات
أنتِ تَعِيسة جدًا يا امرأة
لا شيء قادر على إبهاجِك
لا شيء

شعر:
مؤيد طيب

ترجم من الكردية:
ماجد الحيدر

على ظهرِ زلزلةٍ وريح

"أنا ملكٌ لكنني لا أملكُ سوى آلامي" شكسبير/ريتشارد الثاني

عرشي همومٌ
وتاجي أحزان!
في كل ليلةٍ
ينهارُ لي خندقٌ
وفي كل نهار
شطرٌ من عاصمتي
يستحيلُ مقبرةً!
...
أميرٌ أنا
آهلٌ بلاطي
قِبلةٌ هو
لكلِّ يدٍ وفم
وحولي من الأربعةِ الأطراف
لصوصٌ وقُطاعُ طريق.
أكبر اللصوص:
كفٌّ ملأتُها أنا ،
وكلبٌ
أضريتهُ أنا!
...
أميرٌ أنا
عامرةٌ قلعتي
شامِخةٌ عصيّةٌ كالجبال
لكنها
على ظهرِ زلزلةٍ وريح.
عن يميني والشمال
ضوارٍ ووحوشٌ كاسرات.

وجيشي
جرادٌ حطَّ على جنائني.
جيشي زنابير
تنهشُ روحي.
أميرٌ أنا
ذي قلعتي
ذا بلاطي
ذي عاصمتي
ذا تاجي وعرشي
هاكموها!
هنيئاً لمن يريد!
ولكنْ فليضَعْها على هامته ،
على جناح الشمس
لا أن يحيلهَا
منفضةً للسجائر
على طاولةِ شاهِ العجم
وعاهلِ الروم
أو مسبحةً
تعبث بها أصابعُ
خليفة العراق والشام!
...
أميرٌ أنا.
ليتني أبدلتُ تاجي وعرشي
بقلبٍ نديّ
وحلمٍ رضيع.
ليت لي مكانَ قلعتي وبلاطي

باقةً من برنواتٍ قديمة*
وأربعةَ خنادقَ عامراتٍ
ليتني ما كنتُ قَطُّ
قريبا كما الآن
وبعيدا كما الآن
من حلمي القديم.
ليتني ...ما كنتُ أميرا!
غير أنني
ما زلتُ أميراً
ما زالَ عرشي هموماً
وتاجي أحزانا!
وفي كل ليلةٍ
يُهجَرُ لي خندقٌ
في كل نهار
شطرٌ من قلبي ..يستحيلُ
مقبرةً!

بغداد 2013

* في تشسيكوسسلوفاكيا (brno) البرنو: بندقية نصف آلية أخذت اسمها من المدينة التي صنعت فيها أول مرة في أواسط العشرينات من القرن الماضي ، وكانت لفترة طويلة السلاح المفضل للثوار الكرد "البيشمركة".

منير محمّد خلف

ككوثرِ الشّعر

سلامٌ يلفّ رقيق يديكِ
ويُقرِئ أحلى كلامٍ
إلى شفتيكِ ،

ويحملُ مسكَ لقاءٍ
ليبقى لديكِ ،

فهل ترسمين
لشوقِ يدِيْ ليديكِ
مساحةَ عمرٍ جديدٍ ؟
تحاولُ فيها يدايَ وجوداً
يرتّبُ أوراقَ أحلامنا
كي نكونَ
وتزهرُ
في حضرة الماء
أنفاسُ خضرتكِ الضوء
يسكن قلبي
على سفح مجدكِ
رايةَ شوق ،
ترفرفُ آلاؤها
وشمَ حبٍّ
على ساعديكِ ،

وتنشط دورة عشقي
سلاماً
إلى كوثر الشّعر
في شفتيكِ

رصيد قلب

سأودِعُ قلبي
رصيداً لديك
وقد عادَ
طفلاً صغيراً إليك

وبات يلوّنُ دفترَ عمري
كلاماً جديداً
على ساعديك

ويركضُ يركضُ
دون اقترابٍ
ودون وصولٍ
إلى شاطئيك

ويحملُ
فانوسَ ضوءٍ صغيراً
ليُشعلَ دربي
إلى مقلتيك

ويوقفُني
عند بابٍ كبيرٍ
يجدّدُ نارَ ارتباكي
لديك
وأسأله :
كيف تُبعدُ عنّي
يديَّ اللتين
هما في يديك ؟

أيا طفلَ قلبي
تمهّلْ قليلاً
وخذني إليَّ
وخذني إليكِ

قصائدُ تعشقُ الشمسَ

قصائد كوردية من ترجمة الشاعر حسن سليفاني

يلدز جاكار

إنتظار

إذا يوما ما قصدت صوب درب بيتنا
ارفع رأسك
وأنظر للنجوم
حينها ستنساب دموعي قطرة قطرة من السماء
أدخل يدك في جيبك
وأشعل سيكارة
تمش قليلا
لكن اِياك أن تنظر في عيون المارات
اِبق صامتا
غنِّ في سرِّك
حينما تصل ميناء البحر
تعال اليَّ كمسافر
موجا موجا
خطوة خطوة
كن حبيبا لآلامي
تنزَّه في خيالات قوس قزح
أنقش بيدك صورة حبنا
ليكن اللون ابيض فاتحا
لينفجر مصير الأسود
واصل المسير
تعال الى جانب الشمس
هات كلماتك برسالة مقدسة
ضعها تحت رأسي
وبهدوء تام
اِقترب مني..
برد
وأنا في اِنتظارك
200-11-14

الكلمة الأخيرة

أبداً لا تسأل عن صمتي
أنا قلعة موت ،قوافلا ، قوافلا ، تجتاز الآلام حياتي
منذ أَن هجرتني اِنطفأت مصابيح القدر واحدة تلوَ الأُخرى
ولم تقبل منيَّ الأدعية المقدسة ثانيةً
...
لا تسأل أبداً عن غربتي
أنا في قلعة موت ، قوافلا ، قوافلا ، تجتاز الآلام شباك آفاقي
غير حاسة بالمشعل
ولا الشّمس تشرق فيَّ
ربَّما لأنكَ هجرتني
...
لا تسأل أبداً عن زعلي
أنا قلعة موت ، قوافلا ، قوافلا تجتاز الآلام في حبي
منذ أن هجرتني ، غدوت اِنكسارَكَ في كلمة لم تُقَلْ
غدونا قضاءً وقدراً
تاهت عيونك في مدينة خربة
لا تراني ولا ترى نفسك
...
لا تسال أبداً عن اِرتجافي
أنا في قلعة موت ، قوافلا ، قوافلا ، تجتاز الآلام في بحاريَ
قلتُ لا تسرق أمطاري التي تنَقِعني الآن بلسانك ثانية
وكان لسانكَ كلمة صامتة ، الصمتُ كان اِسم ساعة
ما عداكَ كل الغربان كانت تغدو سيوفا أمام أبواب فيضاناتي
والصمتُ تشظّى الآن ، وعقرب الساعة جنَّ أيضا
...
أبدا لا تسأل عن اِنكساري
أنا في قلعة موت ، قوافلا ، قوافلا ، تجتاز الآلام على بقاياَ
التي دُستَها بقَدَمكَ
الآن لُمْها لي ولك
...
أبدا لا تسأل عن ضياعي
أَنا في قلعة موت ، أَموتُ ببطءٍ وأنت لا تأتي لزيارتي
أبدا لا تسأل ، فقط أنا أتساءَلُ عن وحدتي
أتتذكر من أجل موت بلا زمن ، صيفاً كان حينما قصدني ظِّلكَ
سألتهُ عن اسمه ، قال: ديار بكر
لا تسأل أبدا ، إنهُ الخريف الآن
وبالقوافل يجتاز الخريف ظِّلكَ
وتخليتُ عن الظِلِ وعن عينيك أيضا
"لمْ أَطلب منكَ لا نجوماً ولا القمر ،
بل شبر تراب في موطن قلبكَ وسببا وسماحاً
2007-1-22

عبدالرحيم الماسخ

تسريع

هُنا في سكْرة الموتِ الأخيرة ،
عند تودِيعي
وقد فقدتْ جهاتُ الكون
سعيَ مُكابدٍ ومُعاندٍ
يرتدُّ من شبعٍ إلى جوعِ
هنا ،
ومسافةُ الترحالِ ضاقتْ بعدما قصُرتْ
هنا ، والوقتُ قال بلا يدٍ .....
وصمتْ
هنا ، والذكرياتُ تلفّتتْ في الليل عن لغةٍ
ودارتْ
والظلامُ إلى الظلام كسا يديهِ الموتُ
وهو يحلُّ تجْميعي
أنا الضوءُ ، الترابُ ، الماءُ
ذاكرتي لمن ذهبوا ومن جاءوا
أحاسيسي لقبْضِ الريح أنباءُ
وصمْتي لا يردُّ
يردُّ كيف وحولهُ الداءُ
مررتُ كما يمرُّ الماءُ بالحقلِ
كمسِّ الضوءِ في قيلولةِ الظلِّ
كأغنيةٍ بها ذابتْ دموعُ الشوق
في تكعيبةِ الفلِّ
كعطر الروضِ مدفوعاً
بكفِّ الريحِ للغربةِ والقتلِ
مررتُ فلستُ أولَ عابرٍ
يتخطّفُ النسيانُ هَيبتهُ
وتمسحُ خطوَهُ الأيامُ
مرَّ ولادتي ومُجاهداتي وانكساري
كالظلالِ
كصُحبةٍ ناموا كما قاموا
كأهل الكهفِ
مثل العاثرين عليهمُ
كالناسِ مَن جمعوا ومن فقدوا
ومن صلّوا ومن صاموا
مررتُ كمَرِّ مَن قبلي ومن بعدي
كما يتلقّفُ النسيانُ نبضَ الكفِّ بالقيدِ
مررتُ كمَرِّ من نصروا ومن ذلوا
فكيف يظلُّ يدفعُ يأسيَ الأملُ ؟
مررتُ ، عبرتُ خطَّ الماء ، خطَّ النار
مِن حقلي ومن داري
ومن ولدي ومن جاري
ومن صبري على الدنيا ومن فسحةِ أفكاري
هنا سقفُ السماءِ دنا
لِتبقى الأرضُ قاعدةَ انطلاقي في يدِ المعْنى
كعصفورٍ به انقطعتْ جهاتُ النورِ
يُنبوعٍ تكسَّرَ في غصونِ الرملِ
أنفاسٍ مُكابدةٍ بصدرٍ مُجهَدٍ تغلي
وغاصتْ في المُحيطِ الشمسُ
عن شفقٍ يُحلِّقُ في مسامِ الليلِ
مشدوداً إلى الأجلِ.

عماد يوسف

شموخ صخرة

التقاطة لصخرة ربما تعد أكبر صخرة في قريتنا
آلة قوس ، تلك الضيعة التي شهدت صخور عدة
وأحجار من مستويات وأحجام متفاوتة
لدي يقين تام وقناعة أن هذه الصخور زادت القرية جمالاً
وخلعت عليها غلالة من تميز وخصوصية
إنها إحدى وسوم القرية
طالما كانت ملعباً للصبا
وملاهياً لليفاعة
ومحطاً لغدواتنا ؛ نتعربش عليها
وبها نختفي
عندما كنا صغاراً
إذن هذه الصخور التي أضحت علامة فارقة
هي حديثنا لليوم
سبحان من أبدعها وجعل منها لوحة يطيب للناظر أن يتأملها
ويتأمل بديع خلقه في هذا الكون الفسيح البالغ الفتنة والسحر
فضلاً عن جماليتها ، اتخذها سكان القرية للإعمار
من بعد تحديدها لتتخذ هيئة تصلح أن تكون طوباً لبيوت
وللأسوجة أو الأسوار بمفهومها الدارج
ثمة فرق بين صخور أودعها الله ليستقيم توازن وتناسق وجمالية
واحتياجات الكون ، وبين صخور تمركزت في عقول بعض البشر
إنهم الوباء في محيط ما زلنا نعاني من تحجر أفئدتهم
وغلاظة وجفاء عقولهم ...
وهل ما نعانيه من ويلات ومآسٍ وكوارث إلا جرّاء هذه الطغمة
التي تفشى في نسيها الشر وتفاقمت في أعطافها الظلمات
ليس أشدَّ وبالاً من صخرة أودعت في مخ أحدهم !!

بدرية دورسن

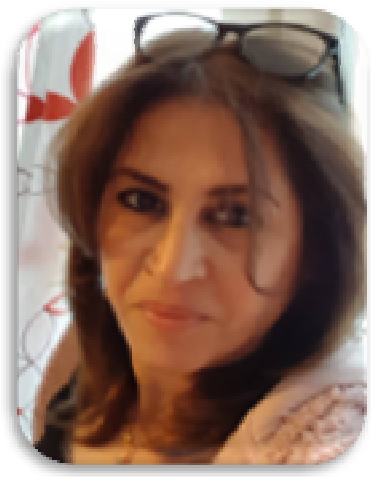

ما بيني و بينك

مابيني وبينك حبل مقطوع على خاصرة الحياة
حديقة نرجس وشتلات ياسمين يابسة
ذكريات مفقوهة العين ومواعيد مبتورة
فيضانات شوق سُحلت في دروب الحياة
سكة قطار في مدينة مهجورة
وسلسلة احداث لاحداث مفقودة
مابيني وبينك
انا وانت ومجموعة رسائل تائهة
عبارات على اوراق شجرة زيزفون هرمة
آمال في ضباب الصباح مبعثرة
وعويل قلبينا بشحوب الغيمة مختلطة
كل هذا السرد بيني وبينك
ومابين كل هذا احداث تفوق المخيلة

خالد ديريك

الوردة الخالدة

كذرات رمل تحاول اختراق المحار !
لتصبح قطعة من لؤْلؤة...
أخبريني عن قانون الاستيطان
تحت مناخ الأبجدية !
الأبجدية التي تعزف نهاوندا
عند التحامها على أوتار السمع ...
مهلًا ....
وكيف يمكن التقاط هدير النظرات ؟
الهدير الذي يلامس حافة اللهفة ...
صبح مساء !
للظفر بتلك الوردة الخالدة على خدك ...

فيروز رشك

-1-

هذا المساء
كل ماحولي يشعل رغبة وحيدة
أريد أن أصرخ:
المارة المنهكون
الخلاص
الجبل الهش الذي
يستند إليه الفقراء في الحرب
أزيز الخوف
زهر الحضور العقيم
ورغيف الذاكرة اليابس
اللقاء بيني وقصيدة ناقصة
والوقت وجهك الغائب
زوبعة إمل يحتضر لن تملأ الفراغ
أمتحن روحي قليلا
لأنهض

-2-

رغبة ثانية تنافس الأولى
أريد أن أبكي
الخريف بدأ مخيفا
صديقتي القوة ماتت
هاتفي بدا بليدا
مزعجا للغايه
لايحمل سوى أخبار الخطف
والفئران التي تقرض الوطن
وتسرق الكحل من عينيه
إطلالة بيتي عشر دمعات
لأمهات شهداء يشكون الشوق
تشطرني الرغبتان
وشجرة الكينا تحدثني عن غوغاء
غزا روحها توا

ليلى علي (Diya Ayaz)

تفاصيل صغيرة

أريد أن أهوى نفسي
ابحث في همسي
واقرأ صغر كلمات
أتوه في كل تفاصيل
لعل ولعسى اتخلص من أحرف العلة
فيكون لي سبيلا في لقياك
وطني.....
يتجمد أبجديات العالم عند غضبك
وثورتك.....
يتصنعون آلاف مصطلحات
ويبدعون في الهرطقة والوسواس
ربٌ واحد وجبل واحد
في الاعتماد والغفران
نُزِلَ الوحي وأُعلن رسولا للعالمين
وكثرة شيوخ ما قيل وقال
عن ربط الإسلام بالحبال
وربط الفكر بالسلاسل والاجبار
في اخر مطاف اصبحنا من الجان
يا ذاالجلال والإكرام .....
ما لا تعرفونه!!!!!!
ما لا تتعقلونه!!!!!!
الرحمة والسلام والاخوة والعدل
سقفنا
الرأفة والصدق وحقوق والعلم
مبتغانا
ما تعلمتموه!!!!!!
ما طبقتموه!!!!!!!
إن لحم الخنزير .....حرام
إن رجم الحق.....إنتصار
إن شوارب رجال..... ثوار
إن صوت المرأة ..... عورة
إن الجنة تسبح فيها.....حور العين
لا بارك الله فيما ابتدعتم
طهارة زمزم لن تطُهركم
أعلنُ الثورةَ على عقولكم
ظلمكم استفحل في الكيان
ولن يخلصكم تشاطركم في
النحو والصرف والإملاء
افعالكم تقطع أنفاس
وتخنق الأرواح
وتجهض المني
لما كل هذا الدعاء
الدعاء تعب من دعاء
آتخافون من يوم الحساب
فنسلكم لن ينتهي
المسخ يولد مسخ
قبح في الوجة والقلب
افاقون حتى في نسلكم
نشرتم وزرعتم في الأرض فسادا
انقراض المعروف وتكاثر المنكر
ظلمكم استرسل أفكار ي
ناسية قوة الأقدار
وعن قوة وعظمة الله
في تحقيق العدالة والأمان
والقضاء على والاشرار
ونرفع العلم الأحرار
نسقي زهور أوطان
ونحيا حياتنا دون العربان؟؟؟؟؟.....

خورشيد شوزي

جليد الخجل

غداً في الفجر ...
ذاهب إلى الجبل
أمشي مع عيوني
ثابت على أفكاري ،
دون رؤية شيء
وعند وصولي ،
سأرسم في عيوني
باقة ألم

****

لكن:
النهار مثل الليل
موشح بالأحمر
وإبادة جماعية
وهروب من جحيم

والعثور على ملاذ
والعيش في مخيم
دون شكوى ،
يغزل المأساة

****

سنوات مرَّت ،...
شكراً لميتمهم!!
كرامتي تلعق الصراخ...
جراحي تنعق الألم...
رغباتي تشوى
في قلبي الأعمى
المعاناة تلتصق بجبيني
والكدمات تلتحفني
فاغتنم فرصتك

أيها الشقي
ليس لديك خيار
سوى الركوع

****

ألا تشعر بالخجل
أن تظل هكذا ،
تذرف الدموع ،...
لتغسل الشر
ربما سيُغفَر لك يوماً ما
في حياة أخرى
حيث السعادة
مفقودة عذريتها
سحقت نقاوتها
كانت تجلس

مع جليد الخجل
بعيون ذابلة
ترنو سماع شكاويها
لم يفهمها أحد
أعلنت الرحيل ،...
اختفت في قوس قزح

****

قيل ...
تدثرت بالاكتئاب
فهل عادت لترابها ؟
حيث ولدت...
لتفتش عن ابتسامة أمها
التي اختفت.....
في الألم العميق.

الفنان يحيى سلو

أنس عبدالله

وردة على حائط دار

هزت الوردة..
صباح الشوق..
و عصرها..
و المساء..
تغتالني وجه الزهرة تلك..
تأخذني إلى الزمن العتيق..
إلى عشرة أعوام..
أعذروني..
أنا صديق الأشياء القديمة..
كائن عنيد..
لم أبكي..
في يوم ميلادي..
إلا على ضربات..
القابلة الروسية..
غالينا..
في طياتها حنيناً مفترساً..
تغتالني..
تلك الوردة..
روت ذاكرتي..
من ماء دموعها عطراً..
كانت جزءاً من الحب..
على ستائر روحي..
من وقتها..
أدمنت التوكل على السماء..
تتطاير في مخيلتي..
كل الأصوات الآن..
كانت تمطر حباً..
خلف الجدار..
لازال الصوت الحنون طيباً..
و قرص الشمس..

في محك الغياب..
قبل الغروب..
مضينا..
عانقت الأغصان..
خلف حائط دارٍ..
خِلسة..
في مدينتي..
حتى في شوارعها..
أختار الحب صمتاً..
تلك المدينة..
أجهدت أفكاري..
و أنا أكتب الدموع..
تلك الوردة..
ظلت على أعتاب قلوبنا..
و أنا أحملها..
همست تلك الأميرة بإستحياء..
أليست وردة محرمة..
أي ورطة تلك اللحظة..
كيف أقنع من تعلم..
الحب حديثاً ؟..
أم كيف أحكي عن العشق ؟.. !
وقتها توكلت على الله..
إلى أن علِمنا..
أنها قُطفت..
من صميم الأفئدة..
كنا وقتها نبدأ من الصفر.. !
وبعد عشرة أعوام..
لازلنا..
نبدأ من الصفر.. !

رغم أننا لم نسقط أبداً..
أروم كالجمر إشتعالاً فاحتراقاً..
سأدفن بين مطلع الفجر..
مثواي..
على أعتاب مدينتي..
قامشلو..
أحبها بدون الياء..
سأرسل لتلك الأغصان..
أشواقي..
فحتى يموت راء الحرب..
سيشيب الحروف الباقية..
كل ابتساماتنا نستعيرها من الزمن..
و أغلب الضحكات غفلة..
أو كذبة..
سنابل مدينتي..
و أشجار النخيل..
يعرفون كل شيء..
عن الراء..
المشكلة أن الملح فسد..
لازال ذلك الجسر العتيق..
يشكو إلى الآن..
و طائر اللقلق مازال..
ينتظر على قباب الجوامع..
و أجراس الكنائس..
مر الغمام..
و أمطر لعنة..
لكن.. !
لازال بيع الجرائد..
عادة..

فدوى حسن

أيلـــول

عادَ أيلولُ.... ، والعودُ أحمدُ
سرقني الحنين من صيفِ الأيامِ
ورماني على حافاتكَ
بباقاتِ القرنفلِ والأقحوان البري
انتظرتك...
وكان اللقاء
مخبئةجلّ الأسرار
في صفيحاتِ ورق أيلول
تهمسها للأرضِ خلسة
في ليالٍ باردةٍ... وتسلمُ روحها للردى
استفاقتْ كلُ اكوامُ الغيومِ المخبأةِ
في أوكارِ السماء
أطلقَ أيلول كل أسرابِ السنونو
خلفَ أسواره
أيلولُ كل خطايا الأشجارِ
وترهاتِ الصيف
ارمها في وادي الذنوب
ولتكن القيامة
لتموت وتحيا من جديد...
خالصةً من الذنوب... كطفلٍ رضيع.
عبقُ ترابكَ ياوطني بمطرِ أيلول البكر
...يسكرني
مطرهُ.. هسيسُ نغم
إلى مقاماتِ الوجدِ يحلقُ بي...
بين الصبا و النهاوند
ليلُ أيلول... عاشقٌ أوهنتهُ كلَ المحطات
وتلكَ السؤالات الخرساء عن موعدِ عودةِ الغياب.

ريبر هبون و بنار كوباني

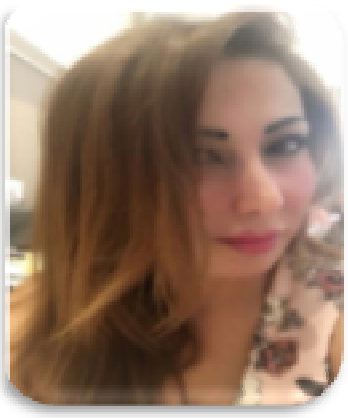

<<< أنَّاتُ المسَامير >>>

الجزء الثاني

*بنار كوباني:

هنا نحن اليوم

لسنا سوى حرفين دوّنا سهواً على سطر شهيد

بيد أعسر متثائب أتته ممحاة الصواب

اذهب اليها

دع عنك حوائجي

تفاصيلي

أشيائي المبعثرة من حولك

الضلع المهشم على جهتي اليمنى

أنيني الداكن وهو يوشم فتيلاً لشعلة الهزيمة على جهتي اليسرى

اذهب اليها

ودع النحيب يمارس مجون صراخهن في صدري

دع لهيب شهواتك تندلع بل تبتلع بقاياي المحمومة بالذل

واذهب

افض عليها من مائك

حممها من غيثك الهاطل

واسكب لعنتي عليك وعليها

ودعني اتطهر من دناسة الخيال المهترىء

اشذبها إليك واترك لسعة التصوير

تتجثم على تخوم مقلتي

دع المكان يردد صدى احتراقاتي

دع الرؤيا المكشوفة تستفرغني قيئاً مشوياً بجمر الهبل

لتقذفني على قارعات انبعاثي الوهمي نسياً منسياً

دع تأوهات زناتك

تعوم عوالمك كرنين الأجراس الأربع في ليالي الميلاد

وامضي عني

ضبضب هفهفة لعابك الممحون وأنت تلاحق أسراب الزيف الشاحب وامضي عني

لأعانق يتمي المتيمن نواح الفراغ

اذهب ودع التساؤلات تنحر عقارب الساعات وهي تهذي هنا وهناك :

كيف قبَّلها ياترى

كيف ضمها

هل أحبها

هل وجد بها ذاته الممرغة بسواد العدم

هل أجفله طيفي

أم ...

لا شيء يهب الضرير فلوات اللون

سوى سبحة تسمى الوداع

الوداع

أيها المجثو خارج عوالمي

الوداع

*ريبر هبون:

أيتها العائمة في محيط من الغبن ..

لست أستجدي من الحياة سوى روح ماتت

وقلب تجمد في أتون اليتم

فعلى الطرقات هيكل تآكل وجعاً

وعلى السهوب البعيدة هطلت ذات طفولة

والتمست من القدر .عمراً بريئا كعين الديك

فإلى التي تجيد الغياب .أقول بئساً لزيفك إنه كالوهم حين يصبح ذهباً

وللتي تجيد الثرثرات عند الفراق أقول لها

سحقاً فعلى يديك نبتت حقول الوهن والبغي

فاندفعي كالغبار خارج فقه الحب

ما أنت سوى تفاصيل لموت لابد آت

أشياؤك الصماء من أشيائه .

هو ذا قلبي يسخر من نبل تدعيه البغايا

من صدق تزعمه الساقطات

خلف جدران اللهو القديم

ضعي ملامحي جانباً

تهاوي كزجاج بيرة مكسور مكانه تحت بناطيل الشذاذ المرقعة

ضعي غبنك .لهفتك البليدة .كأقراط المثليين خلف نعوش المتخمين موتاً في برادات الجثث

ما أنا إلا حلمي

ما أنا سوى حياتي ما قبل الموت

كيف عشت ذات يوم طفلاً لا يريد أن يلعب

كيف عشت خلف الأبواب

ألتمس أطيافاً تعرَّت لي في قبلة الليل الأسود

بت أشتاق صوت ديك .

نباح كلب يوقظني

بعد ليل طويل لا يخلو من تطفل لدغات البعوض الصغير .

مصاص دمي الحالم

ما أنا إلا حلمي

فدعيني أبتسم حزيناً أو ضجراً

لا تجفلي الغيمات في قلبي

انها مستمسكات عمري الغض

على تخوم الحنين إليك .

علقت مشنقتي مراراً

ولم أزل أسمع من بعيد

دبيب خطواتك تفيني بتقارير الحلم المزعوم

آه من وطن رماني خارج احتمالاته

ومن امرأة لن تأتي

***بنار كوباني :**

ما أسخف التهم الرعناء

حينما تنزع عنها جلابيب البغي لتلثم به كماً جريحاً منكوباً

أواه يارجلاً سخرت منه الرجولة

فرشقته أبابيل الغفلة

حتى ما عاد يدرك نفسه

ماجن الإغواءات أنت حد التخمة

صدعتني انكسار تلو ى انكسار

ولا زال حرفك المذعور يمارس التواري خلف هرطقات الكلم

عله يخفي جائحات أكاذيب أدمنت سكرة احتضاري

موغل في الضياع

تمتشق لسانك سهماً لترمي حمائم طهري

وأنت مبسط أطرافك في حوض الخيانة والنفور

أي هسيس سيمور في نفسك السوداء

وأنت تستجير الرضى من نفايات الطرق

تسحب أفخاذك الضامرة بشلل الإخلاص

حيث مهاوي اللذة العمياء

سخطاً لحلمي

سخطا لكبوة ارتأيت فيها النهوض

سخطاً لعالم ممرغِ بشحوار الكذب والنفاق والأنا

سحقاً لنقاء بلغ بي ذؤابة التيه والتلاشي

ريبر هبون:

ذلك السخف وباء الداخل المترع وجعاً

من جحافل التفاهة خارج معاقلنا الرهيفة

وذلك البغي علَّمنا

أن ندمن موتنا الرديء دون هوادة

وذلك المجون سهم الموت فينا .

فلا مفر من لعنة الفناء

لا مفر من صوت الناي الواجف في دموعنا

لا مفر من حب عشته

تخبطت فيه حد التصوف

آه من سعادة تحطمت عليها أمانيي الغائرات في الجرح

توقظني دماء الوهم في عيني امرأة

تجيد التعري دونما وجل من رهبة الحزن فيي

غارق هو العمر في جموح الحنان

أحتاج في نفسي صهيلاً

يحتويني في براري القفار

لا أحتاج سوى يدي حين تستولي على الغيمات

لتخرج منه أحلاماً بحجم الحب

هدهدي فيي الجنون

لأكون شراعاً يصل إليك

ولاتكوني محلاً .يباباً .سيلاً

فتنبذك صلواتي

يوم الشعر الكردي

الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الكرد في سوريا، اتحاد كتاب كوردستان سوريا و بالتعاون مع جمعية هيلين الثقافية مدينة إيسن الألمانية يدعوانكم للمشاركة في يوم الشعر الكردي وذلك في يوم الأحد 2018.10.21 الساعة الواحدة ظهرا وعلى العنوان التالي 45138Essen, Werder Str 13

للاستفسار يرجى الاتصال مع السادة

هجار بوطاني 01763238592 4

علوان شفان 017634104580

Yekîtiya Nivîskarên Kurdistana Sûriya

اتحاد كتاب كوردستان سوريا

Wexwendin

Yekîtiya giştî ya Nivîskar û Rojnemevanên kurd li Suryê û Yekîtiya Nivîskar Kurdstan Suryê û bi Alîkariya Komela Hêlîn ya Çand û Hunerê li bajarê Essen we vexwendeyî beşdarya roja Helbesta Kurdî dikin

roja yekşem ,Saat: 13.00

Navnîşan: 45138 Essen, Werder Str.13

pêwendî : Hejar Botani 017632385924

Alwan Şivan 017634104580

الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الكرد في سوريا

مؤسسة ثقافية أدبية فكرية مستقلة

تضم الكتاب والصحفيين الكرد في سوريا

تسعى إلى إعلاء الكلمة الكردية وتطوير الأدب والثقافة الكرديين

كما تهدف إلى تطوير الإعلام الكردي

تأسست في 22 نيسان 2004

البريد العام للاتحاد :

REWSENBIRINKURD1001@GMAIL.COM

البريد العام للجريدة :

R.PENUSANU@GMAIL.COM

رئيس التحرير:

خورشيد شوزي

نائب رئيس التحرير:

د.محمود عباس

القسم الفني والكاريكاتير:

عنايت ديكو

يحيى سلو

أكرم سيتي

الإخراج:

خورشيد شوزي

شروط النشر في الجريدة

- أبواب الجريدة مفتوحة امام الجميع وهي ترحب بأي مساهمة أدبية أو فكرية.
- الجريدة ترحب بمساهمات أصدقاء الكرد من الكتاب والأدباء السوريين .
- ليست بالضرورة أن تعبر المواد والآراء المنشورة عن رأي وتوجهات الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الكرد في سوريا.
- تخضع المواد المرسلة إلى تقييم من جانب هيئة التحرير في الجريدة.
- الجريدة تعتذر عن نشر المواد المرسلة في حال تم نشرها مسبقاً أو تم إرسالها الى أي جهة إعلامية أخرى.
- الجريدة ترفض نشر المواد الخارجة عن قواعد الآداب العامة.